سلسلة العقائد السلفية

٢

عقيدة الإمام مالك

تأليف

الشيخ محمد بن عبد الرحمن المغراوي

مكتبة التراث الإسلامي

٨ شارع الجمهورية - عابدين القاهرة

ت : ٣٩١١٣٩٧ - فاكس : ٣٩١٣٤٠٦

سلسلة العقائد السلفية

٢

عقيدة الإمام مالك

تأليف

الشيخ محمد بن عبد الرحمن المغراوي

مكتبة التراث الإسلامي

حقوق الطبع محفوظة للناشر

مكتبة التراث الإسلامي

٨ شارع الجمهورية عابدين القاهرة ت : ٣٩١١٣٩٧ فاكس : ٣٩١٣٤٠٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إن الحمد للَّه نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ باللَّه من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده اللَّه فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ۝٧١ ﴾ .

وبعد فنحمد اللَّه إذ وفقنا لإخراج سلسلة « العقيدة السلفية » مبتدئين هذه السلسلة بكتاب : عقيدة الإمام مالك بن أنس رضى اللَّه تعالى عنه ، مأخوذة من موطئه ومن المدونة ، ومن غيرهما مما يذكر فى قائمة المراجع ، فيلاحظ القارئ أننا استعملنا كل موقف على حدة حتى يُعْلَم أن أئمة السلف رضى اللَّه تعالى عنهم ما تركوا ضلالًا يدخل على الأمة إلا وجاهدوه بأقلامهم ، وألسنتهم ، وأموالهم ، كل على حسب استطاعته وما وفق إليه ، فنرجو اللَّه تبارك وتعالى أن يجعلنا على منهاجهم .

ولم أعتن بترجمة الإمام مالك واستقراء مناقبه ، فهذا شيء مبذول ومكرر فى كثير من المراجع ، ولكننى انتقيت مواقفه العقدية وما يدل على ذلك ، فأرجو اللَّه تعالى أن يجعل عملي خالصًا لوجهه ، وأن يحشرنى فى زمرة ممن خدم العقيدة السلفية ودافع عنها . وأبى اللَّه أن يَتِمَّ كتابٌ إلا كتابه ، فالعجز والتقصير والغلط والأخطاء من شيمنا ، ويكفينا أن لا نتعمّد الخطأ ، وأن ننشد الصواب ونتحرّاه قدر ما نستطيع وهو حسبى ونعم الوكيل .

المؤلف

مصادر الإمام مالك بن أنس العقدية

- **المصدر الأول** : القرآن الكريم .
- **المصدر الثاني** : السنة المشرفة .
- **المصدر الثالث** : مشايخه وأساتذته .

المصدر الأول من مصادر الإمام مالك العقدية

القرآن الكريم

معلوم أن الإمام مالكًا رحمه اللَّه وُلد فى سنة ثلاث وتسعين ، عام موت أنس خادم رسول اللَّه ﷺ ، ونشأ فى صون ورفاهية وتجمل .

وطَلَب العلم وهو حَدَثٌ ، بُعيد موت القاسم وسالم ، أفاده الذهبى فى السير[1] .

ومعلوم أن الإمام مالكًا رضى اللَّه عنه ولد فى بيئة العلم والعلماء ، وأخذ ميراث الرسول ﷺ وأدرك كبار القراء والمحدثين .

وعناية الإمام مالك بكتاب اللَّه جلية واضحة ، فقد عقد فى موطئه كتابًا كبيرًا سماه « كتاب القرآن » ذكر فيه :

آداب قراءة القرآن .

وكيف حُزّب القرآن .

واختلاف القراءات فى القرآن .

وكيف كان ينزل القرآن على النبى ﷺ .

وبعض أسباب نزول القرآن .

وما جاء فى سجود القرآن ، وبعض فضائل بعض السور فى القرآن .

وبعض الأذكار التى تتعلق بالقرآن .

وقيام الليل بالقرآن .... وغير ذلك مما يتعلق بدراسة القرآن دراسة واسعة .

ونُقل عنه رضى اللَّه تعالى عنه أنه دائمًا كان يقول : القرآن هو الإمام .

وحكى عنه أهل بيته أن متعته كانت فى تلاوة القرآن .

---

(١) سير أعلام النبلاء [٨/٤٩] .

وله جزء فى التفسير يرويه خالد بن عبد الرحمن المخزومى يرويه القاضى عياض عن أبى جعفر أحمد بن سعيد عن أبى عبد الله محمد بن الحسن المقرئ عن محمد ابن على المصيصى عن أبيه بإسناده[1] .

وقد صنف مكى القيسى كتابًا فيما روى عن مالك فى التفسير ومعانى القرآن .

وقد ذكره أبو عمرو الدانى فى طبقات القراء ، وأنه تلا على نافع بن أبى نُعيم .

وقال بهلول بن راشد : ما رأيت أنزع بآية من مالك مع معرفته بالصحيح والسقيم[2] .

فإذا تقرر ما ذُكر ، فإن القرآن هو الأصل الكبير للعقيدة السلفية ، كما بَيَّنَّا ذلك فى كتابنا : أصول العقيدة السلفية .

---

(١) سير أعلام النبلاء [٨/٨٩] .

(٢) سير أعلام النبلاء [٨/٩٥] .

المصدر الثانى من مصادر الإمام مالك العقدية

السنة المشرفة

لقد ضرب مالك بسهم كبير فى معرفة سنة رسول اللَّه ﷺ وفقهها ، إضافة إلى علمه بالقرآن ، وأصبح إمامها ، حتى إنهم نزلوا عليه الحديث الذى رواه الإمام أحمد والترمذى وأبو داود عن أبى هريرة يبلغ به النبى ﷺ قال : « ليَضْرِبنَ الناسُ أكباد الإبل فى طَلَبِ العلم ، فلا يَجدِون عالماً أعلمَ من عالمِ المدينةِ »[1] .

قال الذهبى : ويروى عن ابن عيينة قال : كنت أقول هو سعيد بن المسيب حتى قلت : كان فى زمانه سليمان بن يسار وسالم بن عبد اللَّه وغيرهما ثم أصبحت اليوم أقول : إنه مالك ، لم يبق له نظير بالمدينة .

قال الذهبى : قلت : كان عالم المدينة فى زمانه بعد رسول اللَّه ﷺ وصاحبيه وزيد بن ثابت وعائشة ثم ابن عمر ثم سعيد بن المسيب ثم الزهرى ثم عبيد اللَّه بن عمر ثم مالك .

وعن ابن عُيينة قال : مالك عالم أهل الحجاز وهو حجة فى زمانه .

وقال الشافعى : وصدق وبر ، فإذا ذُكر العلماء فمالك النجم .

قال الزبير بن بكار فى حديث : « ليضربنَّ الناس أكباد الإبل » كان سفيان بن عيينة إذا حدث بهذا فى حياة مالك يقول : أراه مالك ، فأقام على ذلك زمانًا . ثم رجع بعد فقال : أراه عبد اللَّه بن عبد العزيز العمرى الزاهد .

قال ابن عبد البر : وغير واحد ليس العمرى ممن يلحق فى العلم والفقه بمالك وإن كان شريفًا سيدًا عابدًا .

---

(١) رواه الترمذى [٢٦٨٠] ، وأحمد [٢٩٩/٢] ، والحاكم [٩١،٩٠/١] ، والنسائى فى الكبرى [٤٢٩١] ولم أجده عند أبى داود .

قال أحمد بن أبى خيثمة : حدثنا مصعب قال : أخبرنا سفيان نرى هذا الحديث أنه هو مالك وكان سفيان يسألنى عن أخبار مالك .

قلت : قد كان لهذا العمرى علم وفقه جيد وفضل ، وكان قوّالًا بالحق آمرًا بالمعروف ، منعزلًا عن الناس ، وكان يحض مالكًا إذا خلا به على الزهد والإنقطاع والعزلة فرحمهما اللّه .

قال الذهبى : ولم يكن بالمدينة عالم من التابعين يشبه مالكًا فى العلم والفقه والجلالة والحفظ ، فقد كان بها بعد الصحابة مثل سعيد بن المسيب والفقهاء السبعة والقاسم وسالم وعكرمة ونافع وطبقتهم ، ثم زيد بن أسلم وابن شهاب وأبى الزناد ويحيى بن سعيد وصفوان بن سليم وربيعة بن أبى عبد الرحمن وطبقتهم ، فلما تفانوا اشتهر ذُكر مالك بها ، وابن أبى ذئب وعبد العزيز ابن الماجشون وسليمان بن بلال وفليح بن سليمان والداروردى وأقرانهم ، فكان مالك هو المقُدَّم فيهم على الإطلاق والذى تضرب إليه آباط الإبل من الآفاق . انتهى من السير[1] .

قال الذهبى : وكان مالكٌ إمامًا فى نقد الرجال حافظًا مجودًا متقنًا .

قال بشر بن عمر الزهراني : سألت مالكًا عن رجل فقال : هل رأيته فى كتبى ؟

قلت : لا . قال : لو كان ثقة لرأيته فى كتبى .

فهذا القول يعطيك بأنه لا يروى إلا عمن هو عنده ثقة ، ولا يلزم من ذلك أنه يروى عن كل الثقات ، ثم لا يلزم مما قال أن كل من روى عنه وهو عنده ثقة أن يكون ثقة عند باقى الحفاظ ، فقد يخفى عليه من حال شيخه ما يظهر لغيره ، إلا أنه بكل حال كثير التحرى فى نقد الرجال رحمه اللّه .

ابن الرقى حدثنا عثمان بن كنانة عن مالك قال : ربما جلس إلينا الشيخ فيحدث جُلَّ نهاره ، ما نأخذ عنه حديثًا واحدًا ، وما بنا أن نتهمه ، ولكن لم يكن من أهل الحديث .

---

(١) سير أعلام النبلاء [٥٨/٨] .

إسماعيل القاضى حدثنا عتيق بن يعقوب ، سمعت مالكًا يقول : حدثنا ابن شهاب ببضعة وأربعين حديثًا ثم قال : أعدها عليَّ فأعدت عليه منها أربعين حديثًا .

وقال نصر بن على : حدثنا حسين بن عروة عن مالك ، قدم علينا الزهرى فأتيناه ومعنا ربيعة ، فحدثنا بِنيِّفٍ وأربعين حديثًا ، ثم أتيناه من الغد فقال : انظروا كتابًا حتى أحدثكم منه ، أرأيتم ما حدثتكم به أمس ، أىُّ شىءٍ فى أيديكم منه ؟ فقال ربيعة : ههنا ، من يرد عليك ما حدثت به أمس . قال : ومن هو ؟ قال : ابن أبى عامر . قال : هات . فسرد له أربعين حديثًا منها ، فقال الزهرى : ما كنت أرى أنه بقى من يحفظ هذا غيرى .

وروى على بن المدينى عن سفيان قال : رحم اللَّه مالكًا ، ما كان أشد انتقاده للرجال .

ابن أبى خيثمة حدثنا ابن معين قال : ابن عيينة ما نحن عند مالك ؟! إنما كنا نتبع آثار مالك وننظر الشيخ ، إن كان كتب عنه مالك كتبنا عنه .

وروى طاهر بن خالد الأيلى عن أبيه عن ابن عيينة قال : كان مالك لا يبلغ من الحديث إلا صحيحه ، ولا يحدث إلا عن ثقة ، ما أرى المدينة إلا ستخرب بعد موته . يعنى من العلم .

الطحاوى ، حدثنا يونس ، سمعت سفيان ، وذكر حدياً فقالوا : يخالفك فيه مالك . فقال : أتعرفنى بمالك ، ما أنا وهو إلا كما قال جرير :

وابنُ اللبــونِ إذا ما لزَّ فى قرن ... لم يستطع صولةَ البُزِّ لي العناقيس

ثم قال يونس : سمعت الشافعى يقول : مالك وابن عيينة القرينان ، ولولا مالك وابن عيينة لذهب علم الحجاز .

وقال أشهب : سألت المغيرة بن عبد الرحمن عن مالك وابن الماجشون ، فرفع مالكًا وقال : ما اعتدلا فى العلم قط .

ابن المدينى : سمعت عبد الرحمن بن مهدى يقول : أخبرنى وهب وكان من أبصر الناس بالحديث والرجال ، أنه قدم المدينة قال : فلم أر أحدًا إلا تعرف وتنكر ، إلا مالكًا ويحيى بن سعيد الأنصارى .

قال عبد الرحمن بن مهدى : لا أقدِّم على مالك فى صحة الحديث أحدًا .

الحارث بن مسكين ، سمعت ابن وهب يقول : لولا أنى أدركت مالكًا والليث لضللت .

هارون بن سعيد ، سمعت ابن وهب ذكر اختلاف الحديث والروايات فقال : لولا أنى لقيت مالكًا لضللت .

وقال يحيى القطان : ما فى القوم أصح حديثًا من مالك ، كان إمامًا فى الحديث .

قال الشافعى : قال محمد بن الحسن : أقمت عند مالك ثلاث سنين وكسر ، وسمعت من لفظه أكثر من سبعمائة حديث ، فكان محمد إذا حدث عن مالك امتلأ منزله ، وإذا حدث عن غيره من الكوفيين لم يجئه إلا اليسير .

قال ابن أبى عمر العدنى : سمعت الشافعى يقول : مالك مُعلِّمى ، وعنه أخذت العلم .

وعن الشافعى قال : كان مالك إذا شك فى حديث طرحه لحينه [1] .

ولو تتبعنا ما ذكره علماء الجرح والتعديل فى الإمام مالك ، وفي الثناء عليه والتعظيم لقدره ، لسودنا صفحات كثيرة ، والذى يهمنا أن نذكر للقارئ ما يقتنع به أن الإمام مالكًا كان من كبار علماء الحديث ، والمتضلعين منه ، والحافظين لروايته ، والعالمين بأسانيده ورجاله ، وإذا كان ذلك كذلك فمن الواضح ومن المعلوم عند أئمة السلف أن السنة هي الأصل الثاني للعقيدة السلفية ، فلذا كل ما ذكر فى هذا البحث من المواقف العقدية للإمام مالك فليس بالغريب ، فالأمر على أصله والابن ابن بيته ، وأهل مكة أدرى بشعابها ، فخبرته بالقرآن والسنة مكنته من

---

(١) سير أعلام النبلاء [٨/٧٥] .

إمامته فى العقيدة ، وقبل أن نغادر هذا الأصل نذكر نموذجًا لتمسك الإمام مالك بالآثار السلفية والدفاع عنها مهما كانت الجبهة ، ولو كانت حاكمًا متسلطًا .

جاء فى السير : قال محمد بن جرير : كان مالك قد ضُرب بالسياط واختلف فى سبب ذلك ، فحدثنى العباس بن الوليد ، حدثنا ابن ذكوان عن مروان الطاطرى ، أن أبا جعفر نهى مالكًا عن حديث : « ليس على مستكره طلاق »[1] ، ثم دس إليه من يسأله فحدثه به على رؤوس الناس فضربه بالسياط .

وحدثنا العباس : حدثنا إبراهيم بن حماد أنه كان ينظر إلى مالك إذا أقيم من مجلسه حمل يده بالأخرى .

ابن سعد حدثنا الواقدى قال : لما دعى مالكًا وشُوِرَ وسُمع منه وقبل قوله ، حسد وبغوه بكل شىء ، فلما ولى جعفر بن سليمان المدينة سعوا به إليه ، وكثروا عليه عنده وقالوا : لا يرى إيمان بيعتكم هذه بشىء وهو يأخذ بحديث رواه عن ثابت بن حنيف فى طلاق المكره أنه لا يجوز عنده . قال : فغضب جعفر فدعا بمالك فاحتج عليه بما رفع إليه عنه ، فأمر بتجريده وضربه بالسياط ، وجذبت يده حتى انخلعت من كتفه ، وارتكب منه أمر عظيم ، فواللّه ما زال مالك بعد فى رفعة وعلو .

قال الذهبى : هذا ثمرة المحنة المحمودة ، أنها ترفع العبد عند المؤمنين ، وبكل حال فهى بما كسبت أيدينا ويعفو اللّه عن كثير ، « ومن يُرد اللّه به خيرًا يصب منه »[2] .

وقال النبى ﷺ : « كل قضاء المؤمن خير له »[3] .

وقال اللّه تعالى : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [محمد : ٣١] .

---

(١) سير أعلام النبلاء [٨/٨٠] .

(٢) أخرجه البخارى [٥٦٤٥] .

(٣) أخرجه مسلم [٢٩٩٩] بلفظ : « عجباً لأمر المؤمن ، إن أمره كله له خير ... » .

وأنزل تعالى فى وقعة أُحد : ﴿ أَوَ لَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ﴾ [آل عمران : ١٦٥] .

وقال : ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴾ .

فالمؤمن إذا امتُحن صبر واتعظ واستغفر ، ولم يتشاغل بذم من انتقم منه ، فالله الحكم المقسط ثم يحمد الله على سلامة دينه ويعلم أن عقوبة الدنيا أهون وخير له[1] .

ومن الآثار الكبيرة فى السنة : موطأ الإمام مالك ، وهو يعتبر من أوائل كتب السنة ، وهو شاهد لصاحبه بالإمامة . أَلَّفه مالك خوفًا من طائفة الجهمية التى انتشر ضلالها ، كما بَيَّنا ذلك فى مواقفه العقدية فيما ذكره ابن تيمية .

ومعلوم فى الأئمة الأوائل أن الإمامة فى السنة هى الإمامة فى العقيدة السلفية ، فرأس إمامته وذروة سنامه وتاجها المكلل هو العقيدة السلفية .

---

(١) سير أعلام النبلاء [٨/٨١] .

المصدر الثالث من مصادر الإمام مالك العقدية

مشايخه وأساتذته

لقد التقى الإمام مالك بكبار المشايخ والفقهاء والمحدثين والقراء ، الذين ورثوا علم الرسول ﷺ وصحابته الكرام ، ومعلوم أثر الشيخ فى تلميذه فى حركاته وسكناته فضلًا عن علمه وعقيدته ، وكل متتبع لعلم الجرح والتعديل يرى أن علم الجرح والتعديل أُسس أول ما أسس على العقيدة ، وكان سببه والدافع إلى إنشائه هو العقيدة ، فما أحدثته الفرق الضالة من مذاهب عقدية مخالفة لمنهاج أهل السنة والجماعة ، وما أحدثوه من كذب وافتراء على اللّه ، واختلاق على رسول اللّه ﷺ دفع المحدثين إلى تأسيس علم الجرح والتعديل ، فالرواية كان لا يُسمح بها للمنحرف فى عقيدته ، ومن ثبت عنه انحراف فى عقيدته تُركتْ الرواية عنه إذا تبين ضلاله ، أو على الأقل تحفظ منه ، فلهذا مشايخ الإمام مالك رحمه اللّه كان منبعهم عقدي ، ولهذا ورث عنهم تلك الحكم العقدية التى ذكرناها فى هذا البحث المبارك .

فلقد لقى الإمام مالك مئات المشايخ وسجلهم فى موطئه ، وسجلت روايته عنهم فى غير موطئه فإحصاؤهم يعسر ويطول ، والذى يهمنا أن مالكًا استقى عقيدته من محدثين وفقهاء كبار منهم :

محمد بن شهاب الزهرى ، وإمامته فى الحديث معروفة .

ومنهم : ربيعة بن عبد الرحمن الإمام الكبير .

ومنهم : هشام بن عروة .

ومنهم : عطاء الخراساني .

ومنهم : سهيل بن أبى صالح .

ومنهم : يحيى بن سعيد الأنصارى .. قد ذكرهم الذهبى فى سيره مرتين على الحروف ، وذكر ما لكل واحد منهم من الأحاديث فى الموطأ .

ما جاء فى الموطأ فى البيعة على العقيدة

عَقَد الإمام مالك رحمه اللَّه كتابًا فى موطئه سماه : « كتاب البيعة » وأدخل تحته أحاديث يدلل بها على العنوان .

والبيعة التى شرعها رسول اللَّه ﷺ هى البيعة على العقيدة ، فبيعة الأنصار التى كانت فى العقبة لم تكن إلا لحماية الرسول ﷺ مما يحمون أنفسهم وأولادهم فى تبليغ رسالته ، وعمود رسالته ﷺ هو محو الشرك وآثاره ، ونشر العقيدة الصحيحة التى جاءت من عند اللطيف الخبير نقية طاهرة فى كتاب مكنون ، لا يمسه إلا المطهَّرون .

فالبيعة لا تكون إلا لإمام المسلمين وخليفتهم ، بشروطها التى سيذكرها لنا الإمام مالك فى النصوص المرفوعة إلى الرسول ﷺ ، فلهذا ما يفعله بعض الدَّجَاجِلة الصوفية فى الاحتيال على الجهال والغافلين من بيعة بالأوراد ؛ فهو عمل شيطانى لا أصل له فى الكتاب والسنة ، وما تفعله أيضًا بعض الجماعات والحركات الإسلامية فى الاحتيال على الشباب وإلزامهم فى التحزُّب معهم فى جمهورياتهم ، فهذا لا أصل له ، وهاك البيعة الشرعية من سنة رسول اللَّه ﷺ .

○ روى مالك عن عبد اللَّه بن دينار أن عبد اللَّه بن عمر رضى اللَّه تعالى عنهما قال : كنا إذا بايعنا رسول اللَّه ﷺ على السمع والطاعة يقول لنا رسول اللَّه ﷺ : « فيما استطعتم »[1] .

فالسمع والطاعة للَّه ولرسوله فى أحكامه ، ومن يبلّغ عن اللَّه وعن رسوله ، ويقيم شرع اللَّه ، ويقيم الحدود ، ويأخذ الحق من الظالم إلى المظلوم ، ويقيم العدل بينهم ، ويقيم الصلوات فيهم ، ويأخذ منهم الزكاة ، ويقيم لهم الحج ، ويجاهد بهم الكفار ، ويحميهم مما يحمى منه نفسه ، ويطعم فقيرهم ، ويداوى مرضاهم

---

(١) الموطأ [كتاب البيعة - ١] ، وأخرجه البخارى رقم [٧٢٠٢] ، ومسلم [١٨٦٧] .

فهذا الذى يستحق أن يعطى الولاء والبيعة الشرعية ، وما سوى ذلك فهو مجرد تلصُّص ولصوصية يقوم بها جماعة من المحتالين على العقول البشرية .

○ وروى مالك عن محمد بن المنكدر عن أُميمة بنت رُقَيْقة أنها قالت : أتيت رسول اللَّه ﷺ فى نسوة بايعنه على الإسلام ، فقلن : يا رسول اللَّه ، نبايعك ألا نشرك باللَّه شيئًا ولا نسرق ولا نزنى ولا نقتل أولادنا ولا نأتى ببهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا ولا نعصيك فى معروف . فقال رسول اللَّه ﷺ : « فيما استطعتن وأطقتن » .

قالت : فقلن : اللَّهُ ورسولهُ أرحم بنا من أنفسنا ، هلم نبايعْكَ يا رسول اللَّه . فقال رسول اللَّه ﷺ : « إنى لا أصافح النساء ، إنما قولى لمائة امرأة كقولى لامرأة واحدة . أو مثل قولى لامرأة واحدة »[1] .

التعليق : فالحديث الأول شَرْحُه يطول ، والذى يهمنا منه بيعة النساء على التوحيد والعقيدة ، وأن النبى ﷺ كان يبايع الذكور والنساء على التوحيد ، وهكذا خلفاؤه مِنْ بعده ، كانوا يفعلون ، فكانوا يبايعون على التوحيد ؛ لأن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ما جاءوا إلا لإقامة التوحيد ، قال تعالى : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴾ [الأنبياء : ٢٥] .

ومما استُفيد من الحديث : تَركُ مصافحة النساء مع طلبهن لذلك من رسول اللَّه ﷺ ، وقد ورد فى النهى عن مصافحة النساء أحاديث كثيرة ، لكن المسلمين لجهلهم لها وتشوقهم إلى الخلاعة والانحلال دَرَجُوا على مصافحتهن ، كبارهم وصغارهم ، بل لم يقف الأمر عند المصافحة ، بل المعانقة والقُبَل فى الوجوه ؛ بزعم أنهم يؤدون تحية الإسلام ، والإسلام برئ منهم ، ولكنه اختلاس شيطانى يختلسه منهم ، فصلى اللَّه على نبينا ورضى اللَّه عن صحابته الكرام ، حيث وقفوا عند النصوص ، وبها اقتدوا ، وعليها قاتلوا .

---

(١) الموطأ [كتاب البيعة /٢] ، والترمذى [١٥٩٧] ، والنسائى [٤١٨١] .

○ وروى مالك أيضًا عن عبد اللَّه بن دينار : أن عبد اللَّه بن عمر كتب إلى عبد الملك بن مروان يبايعه فقال : بسم اللَّه الرحمن الرحيم ، أما بعد ، لعبدِ اللَّه عبدِ الملك أمير المؤمنين ، سلام عليك ، فإنى أحمد إليك اللَّه الذى لا إله إلا هو ، وأُقرُّ لك بالسمع والطاعة على سُنَّة اللَّه وسنة رسوله ، فيما استطعت[1] .

(١) الموطأ [كتاب البيعة /٣] .

حديث الفطرة فى موطأ مالك

○ روى مالك عن أبى الزناد عن الأعرج عن أبى هريرة رضى اللَّه عنه أن رسول اللَّه ﷺ قال : « كل مولود يولد على الفطرة ، فأبواه يُهوِّدانه أو ينصِّرانه ، كما تنتج الإبل من بهيمة جمعاء ، هل تحس فيها من جدعاء » .

قالوا : يا رسول اللَّه ، أرأيت الذى يموت وهو صغير ؟

قال : « اللَّه أعلم بما كانوا عاملين » (١) .

التعليق : هذا الحديث مما اختلفت فيه أنظار العلماء وتوجيهاتهم ، والذى يظهر أن الحديث يعنى أن اللَّه خَلَق الإنسان وأعطاه من الاستعداد للتعرف به والاستقامة على دينه ما لم يُعْطِهِ للبهائم والحيوانات ، فهو مستعد لقَبول ما يُطبع فيه من خير ، فلهذا يجب علينا أن نستغل أبناءنا وموالدنا فى تعليمهم العقيدة الصحيحة التى وجدوا من أجلها ، قال اللَّه تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات : ٥٦] فخلقهم لعبادته وحده ولم يخلقهم لغير ذلك ، فاستعداد الإنسان لعبادته وحده هو الأصل ، وهو صريح القرآن وصريح السنة : « خلقت عبادى حنفاء فاجتالتهم الشياطين »(٢) فهذا التحريف عن هذا الأصل هو الطارئ ، قال تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ ﴾ [الأعراف : ١٧٢] فاللَّه تبارك وتعالى أخرجهم فى عالم الذر ، واستفهمهم عن نفسه ، فشهدوا له بالربوبية ، فلهذا في هذا الحديث قال : « يهودانه أو ينصرانه » ، ولهذا اختلفوا فى أبناء المشركين ؛ ما مصيرهم فى الدنيا وفى الآخرة ؟ والذى دلت عليه النصوص وأعمال رسول اللَّه ﷺ ، وهو الموافق لعدل اللَّه ورحمته بعباده ، هو البراءة ، ولا يُلْزَمون بأى حكم من الأحكام التى تجرى على آبائهم .

---

(١) رواه مالك فى الموطأ [كتاب الجنائز/٥٢] ، وابن عبد البر فى التمهيد [٥٧/١٨] ، وأخرجه البخارى [٦٥٩٩،٦٦٠٠] ، ومسلم [٢٦٥٨] .

(٢) أخرجه مسلم [٢٨٦٥] .

موقف مالك من البدع والـمُبتدعَة

نسوق فى هذا الموقف نصوصا جاءت عن الإمام مالك فى ذم البدع والمبتدعة كيفما كان نوعها :

جاء فى الاعتصام للشاطبى :

وقال مالك : قُبض رسول اللّه ﷺ وقد تم هذا الأمر واستكمل ، فينبغى أن تتبع آثار رسول اللّه ﷺ وأصحابه ، ولا يتبع الرأى ، فإنه من اتَّبع الرأى جاءه رجل أقوى فى الرأى منه فاتبعه ، فكلما غلبه رجل اتبعه ، وأرى أن هذا بعد لم يتم .

○ واعملوا من الآثار بما روى عن جابر رضى اللّه تعالى عنه أن النبى ﷺ قال : « قد تركت فيكم ما لن تضلوا بعدى إذا اعتصمتم به : كتاب اللّه وسنتى ، ولن يفترقا حتى يردا علىَّ الحوض » [1] .

التعليق : هذا النص من جوامع الحكم والكلم لعلماء الإسلام ، ترى الإمام مالكًا يحصر الدين فى الكتاب والسنة ، ويرى أن الأمر قد انتهى بقبض رسول اللّه ﷺ إلى الرفيق الأعلى ، وأنه لم يترك مجالًا لأحدٍ يأتى بعده ، وأن الكمال فى اتباعه ﷺ ، وأن الرأى لا قرار له ولا ميزان مهما كان قائله ، وإلا لا معنى للنبوة والرسالة ، إن فتحنا باب الرأى فى دين اللّه فعلماء المسلمين يجب عليهم أن يتعلموا النصوص القرآنية والنبوية ، وأن ينوروها بالآثار السلفية ، وأن يوجهوها بما مَنَّ اللّه تبارك وتعالى عليهم بفهم منتزع من الكتاب والسنة ؛ هذا فى مجالات محدودة .

---

(١) كتاب االاعتصام [٢/٦٦٠] . والحديث أخرجه مالك [كتاب القَدَر/٣] ، والترمذى [٣٧٨٨] .

وجاء فى سير أعلام النبلاء قال الذهبى : وبه حدثنا محمد بن أحمد بن على حدثنا الحلوانى ، سمعت مُطرِّفَ بن عبد اللَّه ، سمعت مالكًا يقول : سن رسول اللَّه ﷺ وولاةُ الأمور بعده سننًا ، الأخذ بها اتباع لكتاب اللَّه ، واستكمال لطاعة اللَّه ، وقوة على دين اللَّه ، ليس لأحد تغييرها ، ولا تبديلها ، ولا النظر فى شيء خَالفَهَا ، من اهتدى بها فهو مهتد ، ومن استنصر بها فهو منصور ، ومنْ تركها اتبع غير سبيل المؤمنين ، وولاه اللَّه ما تولى وأصلاه جهنم وساءت مصيرًا [1] .

التعليق : هذا نص عظيم وقاعدة كبرى فى الدين ، من تمسك بها نُجِّى ، ومن انحرف عنها هلك ؛ فالدين كُمل بسنة رسول اللَّه ﷺ ، وخلفاؤه رضى اللَّه تعالى عنهم بعده . أحيوها وثبتوها فى قلوب المسلمين ، وأقاموا معالمها عقيدة وعبادة وأخلاقًا ونكاحًا وطلاقًا وبيعًا وشراء وحكمًا وقضاء وجهادًا وغزوًا ولباسًا وذهابًا وإيابًا ، وفى كل الحركات والسكنات ، أقاموا دولة الإسلام وقضوا على أعلام الكفر والشرك والأصنام ، ومحقوا البدع والمبتدعة ، وما تركوا أحدًا يرفع رأسًا إلا بسنة وكتاب ، فبهما يتحركون وبهما يغزون وإليهما يدعون ، تسبيحهم وذكرهم هو كتاب اللَّه ، وغرسهم وثمارهم هو سنة رسول اللَّه ﷺ ، فماذا يستدرك المتأخرون وما عساهم أن يفعلوا ، ألمْ يبين أولئك المنهاج ، واستكملوا الطريق وعَبَّدوها ، فالاستدراك عليهم وقاحة ، والبدعة ضلال وانحراف وغرور وظلم وخروج عن دين اللَّه ، فهدى النبى ﷺ والسلف هو الهدى الذى يجب اتباعه ، ومن ابتغى غيره ، فكما قال هذا الإمام - طيب اللَّه ثراه ، وجعل الجنة مثوانا ومثواه - : ومن تركها اتبع غير سبيل المؤمنين ، وولّاه اللَّه ما تولى ، وأصلاه جهنم وساءت مصيرًا . فهل هناك أصرح من هذه العبارة من هذا الإمام فى الدعاء على المبتدعة على اختلاف أنواعهم ؟! واللَّه المستعان .

---

(١) سير أعلام النبلاء [٨/٩٨] .

وفيه أيضًا عنه ، قال : وبه إلى الحلوانى ، سمعت إسحاق بن عيسى يقول : قال مالك : أكلَّما جاءنا رجل أَجدلُ من رجلٍ تركنا ما نزل به جبريل على محمد ﷺ لجدله ؟!

○ وبه حدثنا الحسن بن سعيد حدثنا زكريا الساجى حدثنا أبو داود حدثنا أبو ثور سمعت الشافعى يقول : كان مالك إذا جاءَ بعض أهل الأهواءِ قال : أما إنى على بينة من دينى ، وأما أنت فشاكٌّ ؛ اذهب إلى شاكٍ مثلك فخاصمه [1] .

التعليق : رحمة اللّه على الإمام مالك حيث أُشربَ النصوص فى قلبه ، وأُشرب حبها ، وأَصبحت نوره الذى يستضىء به ، ويرفض كل ما سواها ، ويعتبر أصحاب الخُصومات شاكين فى دينهم ليس عندهم إلا الظن والتخمين والخرص ، فهم الخرَّاصون ، كما قال اللّه تعالى : ﴿ قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى غَمْرَةٍ سَاهُونَ ۝١١ ﴾ [الذاريات] فترْكُ النصوص عند الإمام مالك جريمة كبرى يلزم منها التنقل فى دين اللّه فى كل لحظة ، فالرجال الذين لا عناية لهم بالنصوص لا ينبغى لنا أن نأبه بهم ، ولا أن نقيم لهم وزنًا مهما بلغت عقليتهم وفرط ذكائهم ، فقد يُؤتى الرجل ذكاء ولا يؤتى زكاة ، والتزكية هى العلم بكتاب اللّه وسنة رسوله ﷺ ، والفقر والفرقة هو الاشتغال بأقوال الرجال والخصومات التى لا تنتهى إلا باللعن والشتم ، وربما تؤدى إلى المفارقة والقتل ، فمعرفة النصوص والعناية بها هو جمع كلمة المسلمين على منهاج واحد ، مهما بعدت أقطارهم ومنازلهم ، والاشتغال بأقوال الرجال والعكوف عليها والوقوف عندها ، تفرق بين المرء وزوجه وبين الابن وأبيه وبين الأخ وأخيه ؛ فضلًا عن أن تجمع شمل المسلمين ، فالذين يريدون جمع شمل المسلمين ولم ترضهم الفرقة الحاصلة فى صفوف المسلمين ، فعليهم أن يكرسوا جهودهم فى إرجاع المسلمين إلى مصادر السنة الصحيحة ، وأن يبعدوهم عن كتب الخرافات والدجل والآراء الفقهية والصوفية البعيدة عن الدليل ، بل بعيدة عن الأصول الإسلامية الكبرى ، واللّه المستعان .

---

(١) سير أعلام النبلاء [٩٩/٨] .

○ وجاء فى المدارك : قال رحمه اللّٰه : ولم يكن من أمر الناس ولا مَنْ مضىٰ من سلفنا ولا من الذين يُقتدى بهم ومعول الإسلام عليهم أن يقولوا : هذا حلال وهذا حرام ، ولكن يقولون : أنا أكره كذا وأرى كذا ، وأما حلال حرام ، فهذا الافتراء على اللّٰه ؛ أما سمعتم قول اللّٰه تعالى : ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴾[1] [يونس : ٥٩] .

التعليق : هذا النص العظيم يبين لنا توارث المنهاج السلفى خلفًا على سلف ، فى الوقوف مع النص وعدم الجرأة على التلفظ بتحليل أو تحريم ، وإن فهموا من النص ما يدل على ذلك ، أو بدراسة الأصول ومقارنتها ما يفهم من ذلك ، ومع ذلك خوفهم من اللّٰه يمنعهم مقارنة أنفسهم بمن لا ينطق عن الهوى ، الذى يأخذ أحكامه من السماء ، وهو على يقين من أمره ؛ لأنه مبلغ عن اللّٰه ، فالحلال ما أحله اللّٰه ، والحرام ما حرمه اللّٰه ، والشرع ما شرعه اللّٰه ، والفرض ما فرضه اللّٰه ، والواجب ما أوجبه اللّٰه ، والمستحب ما أحبه اللّٰه ، والمكروه ما كرهه اللّٰه ، والمباح ما أباحه اللّٰه . فليس لأحد نصيب من هذه الأحكام مهما بلغ علمه ومهما شاخ عمره ، فما بال أهل زماننا وقبله شرعوا للناس عبادات ودعوهم إليها وقيدوها بزمان ومكان وبإعداد وأوراد ، وشرعوا مواسم وأوقاتًا وحدودًا وأعدادًا ، وقعدوا قواعد ما أنزل اللّٰه بها من سلطان ، وخصصوا لأناس شكلًا ولباسًا معينًا ، واعتقدوا التحليل والتحريم لمشايخهم وساداتهم وأئمتهم ، وقراءة مثل هذه النصوص من أئمة السلف كافية فى معرفة بطلان ما عليه القوم الذين ملؤوا الدنيا بدعًا وصياحًا وشطحًا وزعقًا ، وغير ذلك مما هو مشاهد فى هذا الزمان ، واللّٰه المستعان .

---

(١) ترتيب المدارك [١/١٧٩] .

وجاء فى الاعتصام : قال أبو مصعب : قدم علينا ابن مهدى ، فصلى ووضع رداءه بين يدى الصف ، فلما سلم الإمام رمقه الناس بأبصارهم ورمقوا مالكا ، وكان قد صلى خلف الإمام ، فلما سلم قال : مَنْ ههنا من الحرس ؟ فجاءه نَفْسَان ، فقال : خذا صاحب هذا الثوب فاحبساه ، فقيل له : إنه ابن مهدى ، فوجه إليه وقال له : ما خِفْتَ اللَّه واتقيته أنْ وضعت ثوبك بين يديك فى الصف وشغلت المصلين بالنظر إليه ، وأحدثت فى مسجدنا شيئًا لم نكن نعرفه ، وقد قال النبى ﷺ : « من أحدث فى مسجدنا حدثًا فعليه لعنة اللَّه والملائكة والناس أجمعين »[1] .

فبكى ابن مهدى وآلى على نفسه ألَّا يفعل ذلك أبدًا فى مسجد رسول اللَّه ﷺ ولا فى غيره [2] .

التعليق : ما أحسن هذه النصوص وما ألطفها وألذها ، تعطى نموذجًا صالحًا صارمًا فى التمسك بالسنة ، وسد أبواب الذرائع على البدع ، قليلها وكثيرها ، وتخبرنا بأن علماء سلفنا الصالح كانت حراستهم على السنة والكتاب أكثر من حراسة أصحاب الكنوز على كنوزهم ومن الخائفين من أعدائهم ، فلم يتوان الإمام مالك فى عقوبة من رآه يعمل عملًا لم يكن عليه السلف الصالح ، فهؤلاء هم العلماء وهؤلاء هم الشعوب الصالحة الذين لا يتأخرون عن كلمة علمائهم ، فيرون أمرهم واجب الطاعة ؛ وذلك لما يرونه فيهم من تمسكهم بسنة رسول اللَّه ﷺ ، فأين علماء اليوم من أعلام الشرك ومظاهره ؟ ومن البدع الكبرى والصغرى التى لا يخلو منها زمان ولا مكان ، فبدلوا وغيروا ووقفوا مثل هذه الوقفات العظيمة من هذا الإمام الكبير . وأين من يزعمون أنفسهم مالكية ، ومالك مُشَرِّقٌ وهم مُغَرِّبون ، فهو ينصر السنة ويذب عنها ، وهم يحاربونها أينما حلت وارتحلت ، بأشكال وألوان المحاربة ، فإن كانوا مالكية حقًّا فبمثل هذه المواقف فليقتدوا ، وإلا كما قال القائل : والدعاوىٰ ما لم تقيموا عليها بيّنات ؛ أبناؤها أدعياء . واللَّه المستعان .

---

(١) لم أقف عليه بهذا اللفظ ، ولعله رواية معنى لحديث الصحيفة ، وهو عند البخارى [٧٣٠٦] ، ومسلم [١٣٦٦] .

(٢) كتاب الاعتصام [٦٨/٢] .

وجاء فى الاعتصام : قال : وحكى ابن العربى عن الزبير بن بكار قال : سمعت مالك بن أنس وأتاه رجل فقال : يا أبا عبد اللّه ، من أين أحرم ؟ قال : من ذى الحليفة من حيث أحرم رسول اللّه ﷺ . فقال : إنى أريد أن أحرم من المسجد . فقال : لا تفعل . قال : فإنى أريد أن أحرم من المسجد من عند القبر . قال : لا تفعل ،فإنى أخشى عليك الفتنة . فقال : وأىُّ فتنة هذه ، إنما هى أميال أزيدها ؟ قال : وأى فتنة أعظم من أن ترى أنك سبقت إلى فضيلة قصر عنها رسول اللّه ﷺ ، إنى سمعت اللّه يقول : ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[1] [النور : ٦٣] .

التعليق : فلا أدرى ماذا يقول مبتدعةُ أهل هذا الزمان ، الذين أباحوا لأنفسهم حق التشريع الذى لا حدّ له ولا مقياس ، فكلما رأوا أنه يخدم مصلحتهم قالوا فيه : بدعة حسنة . وماذا ؟ فإن هذه طاعةٌ للّه ، فمن ينكرها يعتبرونه ملحدًا وأتى بدين جديد ، وربما نبذوه بلفظ وهّابى أو أصولى أو متطرف أو من الإخوان المسلمين أو من أهل التكفير والهجرة ، وما إلى ذلك من الألفاظ التى يلقيها إبليس على ألسنتهم ، ولا يسأل : هل فعل هذا الأمر رسول اللّه أو قاله رسول اللّه أو فعله الصحابة أو قاله الصحابة ؟ لأن مثل هذا البحث نتيجة الوقوف عند المشروع من كتاب أو سنة ، والإمام مالك رحمة اللّه عليه لا يسمح لمستفتيه أن يتجاوز ما فعله رسول اللّه ﷺ فى الإحرام ، ولا يرى أن الزيادة ، وهو ما يسميه المبتدعة : البدعة الحسنة ، فتنة ، وأى فتنة أعظم من الزيادة على شرع اللّه ؟! سواء سميناه بدعة حسنة أو أعطيناه أى لفظ آخر . فالمبتدعة على كل حال أصحاب فتنة وهم مفتونون ، فكل من أحدث فى أمة محمد ﷺ ما لم يشرعه النبى ﷺ فهو صاحب فتنة ، والمتتبع لتاريخ الإسلام والمسلمين وأحوالهم الاجتماعية والتربوية يرى أن الفتن التى توالت عليهم طيلة تاريخهم سببها فتنة البدع والمبتدعة ، فجمع الشمل فى اتباع السنة والفرقة الكبرى فى إحداث

---

(١) كتاب الاعتصام [١٣٢/١] .

البدعة والدعوة إليها ، وما أكثر هذا فى أهل هذا الزمان ، نسأل اللّه لنا ولهم الهداية ، وقد جاء تفسير الفتنة فى الآية بالشرك ، فليحذر المسلم من أن تصدق عليه الآية بكل معانيها .

ماذا يقول من يقول : إنما هى أذكارٌ أزيدها ، وإنما هى صلوات على النبى ﷺ أصليها ، واقرأ كتاب : دليل الخيرات ، لمحمد بن سليمان الجزولى ، وانظر فيه كم من الصلوات المشروعة التى صحت عن رسول اللّه ﷺ والصلوات المضافة ، وانظر حزب البَرّ وحزب البحر للناصرى ، وصلاة ابن مشيش ، وغيرها مما انتشر على ألسنة العوام وأشباههم ، الذين لا يبالون بالمشروع وغير المشروع ، فأصل الإمام مالك هذا ينطبق على كل كتاب وكل ذكر وكل طريقة وشيخها ، وكل من يزعم أنه يتعبد اللّه ويتقرب إليه ، فمن كان يحب مالكًا ويرى فيه الأهلية للاجتهاد والاستنباط فهذا أصله وقاعدته التى استخرجها من كتاب اللّه وسنة رسوله ، ومن عمل السلف الصالح رضوان اللّه عليهم .

فأين الثرى من الثريا ؟ وأين مالك ومن يزعمون أنهم مالكية ؟ واللّه المستعان .

وجاء فى ذم الكلام : عن مالك رحمه اللّه قال : السُّنة سفينةُ نوح ، من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق [1] .

التعليق : هذا التصوير العظيم لسنة رسول اللّه ﷺ يدل على بلاغة الإمام مالك وتصوره الواسع وفراسته القوية ، وأنه من المحدثين ، أى : المُلْهَمين ، فأهل السنة والجماعة المعتصمون بالكتاب والسنة فى أمن وأمان ، فى نجاة وسلامة ، ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ [الأنعام : ٨٢] ، وأهل البدع والشرك فارقون مفتونون ، بكل فتنة متنقلون ، شاكون لا قلب مطمئن ولا جسم مستريح ، أموال تنفق بلا حد ولا حصر ، وموائد تقدم بألوان من الأكل ، وبيوت تفتح بالليل والنهار يدخلها عشرات المبتدعة ، وزوايا تعج بجماعات من الحيارى ، كل هذا سيكون - وهو كائن - حسرة على أصحابها ، نعوذ باللّه من الخذلان ، أجسام تنفق ساعاتها فى عبادات - بزعمها - لم تُؤْمر بها ، ومع ذلك كما قال اللّه تعالى : ﴿ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ۝٣ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ۝٤ ﴾ [الغاشية] ، وكما قال تعالى : ﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا ﴾ [فاطر : ٨] ، فلهذا كرس علماؤنا جهودهم فى تثبيت هذه القاعدة ، وهذا الأصل الذى أشار إليه الإمام مالك ، فانظر هداك اللّه ورعاك ببصرك وبصيرتك فى شرق العالم وغربه ، واعتبر الناس كلهم فى صعيد واحد تشاهدهم وتشرف عليهم ، هل ترى أنهم راكبون فى سفينة النجاة وهى سنة رسول اللّه ﷺ ، أو هم كما صورنا فى هذه الكلمة القصيرة تتلاطمهم أمواج البدع والكفر والشرك والمذاهب الكفرية الهدامة ، والبدع على اختلاف أنواعها ، وتقتل منهم ملايين البشر فى كل ثانية ونَفَس ، ومع ذلك لا ينتبهون ولا يلتفتون ، ويحسبون أنهم محسنون ومهتدون ، وهم عن الحق عادلون ، فرحمة اللّه على الإمام مالك ، ما أغزر حكمته وأجمعها لمن شاء أن يعقل عنه .

---

(١) ذم الكلام [ص : ١٧٤] .

جاء فى الاعتصام : وحكى ابن وضاح قال : ثَوَّبَ المؤذنُ بالمدينة فى زمان مالك ، فأرسل إليه مالك فجاءه ، فقال له مالك : ما هذا الذى تفعل ؟ فقال : أردت أن يعرف الناس طلوع الفجر فيقوموا ، فقال له مالك : لا تفعل ، لا تُحْدث فى بلدنا شيئًا لم يكن فيه ، قد كان رسول اللّه ﷺ بهذا البلد عشر سنين ، وأبو بكر وعمر وعثمان ، فلم يفعلوا هذا ، فلا تُحْدِث فى بلدنا ما لم يكن فيه . فكف المؤذن عن ذلك ، وأقام زمانًا ثم إنه تنحنح فى المنارة عند طلوع الفجر ، فأرسل إليه مالك ، فقال له : ما الذى تفعل ؟ فقال : أردت أن يعرف الناس طلوع الفجر ، فقال له : ألم أنهك لا تُحْدِث عندنا ما لم يكن . فقال : إنما نهيتنى عن التثويب . فقال له : لا تفعل ، فكفَّ زمانًا ، ثم جعل يضرب الأبواب ، فأرسل إليه مالك ، فقال له : ما هذا الذى تفعل ؟ فقال : أردت أن يعرف الناس طلوع الفجر ، فقال له مالك : لا تفعل لا تحدث فى بلدنا ما لم يكن فيه [1] .

التعليق : رحم اللّه الإمام مالكًا فبمثله حفظ اللّه هذا الدين ، وكأنه ينزل من السماء آيات وأحاديث ، كأن رسول اللّه ﷺ يخاطب أمته ، فلم يبدل ولم يغير ، وذلك لما هيأ اللّه له من رجال جهابذة قَدَروا القرآن والسنة حق قدرهما ، وها هو الإمام مالك ؛ يتبع النقير والقطمير ، وَيَذُبُّ عن سنة رسول اللّه ﷺ القليل والكثير ، ويسد جميع الثغرات والنوافذ التى يمكن أن يلج منها من يريد بالإسلام ما يريده ، ولو عرضت هذه الصورة التى وقفها الإمام مالك على أحد علماء المسلمين الجهلة بدين اللّه لقال : وماذا فى هذا ؟ مؤذن يريد الخير للمسلمين ، يوقظهم للصلاة بوسائله الخاصة ، فمن يقف أمام هذا فهو متنطع متشدد غال !! ولكن لا يدرى المسكين ماذا يحدث بعد هذا ، وقد كان ما توقعه الإمام مالك رحمة اللّه عليه ، فقد حدث من الألفاظ والأصوات الشركية والبدعية على منارات المسلمين بالليل والنهار ، بأنغام وأناشيد ، وأشعار واستغاثات بغير اللّه ، وشركيات وبدع ، أحدثها الروافض ومن صار فى

---

(١) كتاب الاعتصام [٦٩/٢] .

دربهم ، واستحسنها المسلمون فى كل بقعة من بقاع الأرض إلا بعض البلاد التى طهّرها اللّه من الشرك والبدع ، وهى قليلة لا تمثل نقطة فى بحر ، وعلماء المسلمين ساكتون مستحسنون لهذه الأعمال البدعية الشركية ، ويشاركون فى ذلك ، ويثنون ويمدحون هذه الأعمال ، بل ربما خصصت أوقاف وجوائز للقائمين بهذه الأعمال البدعية .

ولو قام الإمام مالك ورأى ما أحدثه المُحْدِثون من تثليث فى الأذان يوم الجمعة ، وغير منصت بين يدى الخطيب ، وتلاعب بكتاب اللّه قبل صعود الخطيب ، وضجيج فى المساجد ، والأسواق أهدأ منها ، ماذا سيقول الإمام مالك ؟ أيستحسن هذا !! أم يقول : لا تُحْدِثوا فى ديننا ما لم يكن منه . ولكن أين المقتدون بالإمام مالك ، والذابون عن سنة النبى ﷺ ؟! هم فى القبور ، ولعل اللّه تعالى يهيىء لأمة محمد مثل هذا الإمام ، ويهيىء رعية تسمع لمثل هذا الإمام ، ويهيىء أعوانًا وأنصاراً تنصر مثل هذا الإمام ، واللّه المستعان .

وجاء فى ذم الكلام : عن الإمام مالك قال : من أراد النجاة فعليه بكتاب اللّه وسنة رسوله ﷺ [1] .

وجاء فى الاعتصام : قال ابن حبيب : أخبرنى ابن الماجشون أنه سمع مالكًا يقول : التثويب ضلال . قال مالك : ومن أحدث فى هذه الأمة شيئًا لم يكن عليه سلفها ، فقد زعم أن رسول اللّه ﷺ خان الدين ؛ لأن اللّه تعالى يقول : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ [المائدة : ٣] ، فما لم يكن يومئذ دينًا لا يكون اليوم دينًا [2] .

التعليق : وهل بعد هذه الصراحة من صراحة ، وهل بعد هذا الحكم من حكم آخر ؟ الإمام مالك يُرْجعُ دين اللّه إلى الكتاب والسنة ، وإلى تطبيق الصحابة والتابعين لهما ، ويرى فى ذلك كمال الدين ؛ عقيدة كاملة منتهية ، عبادات تامة ، أخلاقًا كاملة ، زهدًا وتربية وورعًا فى غاية التمام ، فماذا بعد هذا ؟ ألا يكفى للمسلم أن يكون هذا نموذجه وقدوته ؟! فماذا سيأتى به المبتدعة من جديد ؟ اللّهُمَّ إلا إذا كانت رسالة جديدة تقوم مقام السابقة ، فلذا كان يرى الإمام مالك أن عدم الكفاية والاكتفاء بما كان عليه سلف الأمة بما فيها نبيها ﷺ هو اتهام للنبى ﷺ بالخيانة فى رسالته ولا شك أن من اعتقد هذه العقيدة هو كافر إجماعًا ، وهذا الإلزام الذى ألزم به الإمام مالك كل مبتدع ؛ يجعل كل عاقل مسلم يقشعر جلده ويقف شعره ولا يخطو خطوة فى دينه إلا بنص من كتاب أو سنة ، وإلا كما قال الإمام مالك : فقد زعم أن محمدًا قد خان الرسالة ، ويا لها من عقيدة سيئة تجرى بصاحبها فى أسفل سافلين .

---

(١) كتاب ذم الكلام [ص : ١٧٥] .

(٢) كتاب الاعتصام [٢/٥٣] .

جاء فى الاعتصام : وخَرَّجَهُ ابن وضاح ، وهو في العتبية من سماع ابن القاسم عن مالك رحمه اللّه ، أنه سئل عن قراءة : قل هو اللّه أحد ، مرارًا فى الركعة الواحدة ، فكره ذلك وقال : هذا من محدثات الأمور التى أحدثوا [1] .

التعليق : هذا فى زمان الإمام مالك ، وما بينه وبين الرسول ﷺ إلا التابعون والصحابة ، ومع ذلك يشتكى من أهل زمانه فى إحداث أمور جديدة فى دين اللّه ، فماذا يقول فى القرون المتأخرة التى نُسيت فيها سنة رسول اللّه ﷺ علمًا وعملًا وحكمًا وعقيدة وعبادات ومعاملات ؟! فكل من أراد أن يحتال على جماعة من الناس نصب لهم فخًا وقال : هذه قربات ، ولجهل الناس يتسابقون إليها ، ولا يدرى المساكين أنهم واقعون فى المصيدة ، وبُعْدُهم عن اللّه هو المصيبة ، وعلى كل حال ، فالإمام مالك يمنع الأشياء المحدثة ، ولو كان ذلك فى أمهات القرآن ، فمَنْ يعترض على قراءة سورة الإخلاص وهى تعدل ثلث القرآن ؟! ولكن الكيفية فى قراءتها زمانًا ومكانًا وصفة وطريقة لم تكن من أمر رسول اللّه ﷺ ولا صحابته الكرام ولا التابعين لهم بإحسان ، فالهَدْى هديهم ، والنهج نهجهم ، والخير خيرهم ، والبركة بركتهم ، فاتباعهم نجاح وفلاح ، ومفارقتهم سخط وعقاب ، ويالله من حال المسلمين من مفارقتهم للمنهاج السلفى الواضح السليم واتباعهم لكل شاهق وناهق .

---

(١) كتاب الاعتصام [٢/١٥] .

جاء في الاعتصام : قال مالك : أول من جعل مصحفًا ابن يوسف ، يريد أنه أول من رتب القراءة فى المصحف إثر صلاة الصبح فى المسجد ، قال ابن رشد : مثل ما يصنع عندنا اليوم ، قال الشاطبى : فهذه محدثة ، أعنى وضعه فى المسجد ؛ لأن القراءة فى المسجد مشروعة في الجملة معمول بها ، إلا أن تخصيص المسجد بالقراءة على ذلك الوجه هو المحدث ، ومثله وضع المصاحف فى زماننا للقراءة يوم الجمعة ، وتحبيسها على ذلك القصد [1] .

التعليق : قراءة القرآن من أفضل القُرَبِ إلى اللّه ، وخير ما يُتعبَّد به ، وقراءة الحافظ له أجر وثواب ، والقارئ فى المصحف مأجور على قراءته ، ولكن إحداث ما يخالف المنهاج السلفى الصحيح يؤدى بصاحبه إلى الإثم ؛ لأن المساجد مشاعة بين المسلمين وأنها ملك جماعة المسلمين ، فهى بيوت اللّه ، فتجب صيانتها من الأقذار والأوساخ الحسية ، وتطييبها وتهييئها للمصلين ، جماعات وفرادى ، والذاكرين والقائمين والراكعين فلا تشويش ولا ضوضاء ولا رفع للأصوات ، فمن أحدث فيها ما لم يكن عليه سلف الأمة ولو كان ذلك بالذكر والقراءة فى المصحف ، فهو مبتدع ، ويَصْدق عليه أحاديث اللعن لكل مبتدع ، فترتيب قراءة الأحزاب والأوراد والأدعية بصفة جماعية إثر كل الصلوات أمر مبتدع محدث ، يأثم فاعله والمشارك فيه والمؤيد له والقائم عليه ، هذه هى الحقيقة التى يرمى إليها الإمام مالك وابن رشد والشاطبى ، وكلهم فحول وأئمة ، فبالسلف نقتدى .

(١) كتاب الاعتصام [١٩٢/١] .

وجاء فى الاعتصام أيضًا : ويشبه هذا ما فى سماع ابن القاسم عن مالك فى القوم يجتمعون جميعًا فيقرأون فى السورة الواحدة مثل ما يفعل أهل الإسكندرية ، فكره ذلك وأنكر أن يكون من عمل الناس .

وسئل ابن القاسم عن نحو ذلك فحكى الكراهية عن مالك ونهى عنها ورآها بدعة ، وقال فى رواية أخرى عن مالك : وسئل عن القراءة بالمسجد فقال : لم يكن بالأمر القديم ، وإنما هى شىء أُحْدِثَ ولم يأت آخِرُ هذه الأمة بأهدى مما كان عليه أولها ، والقرآن حسن [1] .

التعليق : هذا النص يؤكد ما سبق من مذهب الإمام مالك وأصوله العظيمة التى لا ترضى بغير السنة بديلًا ، وقد وقع ما حذّر منه الإمام مالك ، فاجتمع الناس فى المساجد وصاح بعضهم على بعض بالقرآن ،وقطعوا آياته وحرفوا معانيه ، وبعضهم يبدأ بأول الكلمة فيقرأ نصفها ، والآخر يكمل له ، زيادةً على الأشعار والصلوات البدعية التى تُقرأ فى كل وقت وحين ، فأين مالك وأصحابه من مبتدعة أهل هذا الزمان الذين أباحوا لأنفسهم كل عمل ، ورأوا تثبيت أمورهم ومصالحهم الشخصية العامة والخاصة فى القيام على هذه الأمور البدعية وحمايتها والذَّوْد عنها ؛ بتأليف الكتب وإصدار الفتاوى التى لا مستند لها إلا الصَّدْر ، وادعاء أن هذه من مقومات الوطن ، فمتى كان الوطن ومقوماته حاكمًا على الإسلام ؟ فالمسلمون جميعًا وطنهم الأرض كلها ، ودينهم واحد وعقيدتهم واحدة ، فلا دين لمشرق وحده ولا دين لمغرب وحده ، ولا للشمال وحده ولا للجنوب وحده ، فدين اللّه واحد ووطن المسلمين واحد ، وما حدث من تسمية دول معينة بأسماء مختلفة ؛ إنما هو من تخطيط الصهاينة القدماء والمحدثين ، ومن أعمال المستعمر القديم والحديث ، وإلا فما معنى الخلافة الإسلامية التى يجب أن يدخل تحت لوائها كل مسلم ، وهى حماية لكل مسلم من كل معتد ظالم ، اللَّهُمَّ أَيقظِ المسلمين وألهمهم رشدهم وخذ بيدهم إلى الطريق المستقيم ، وامحق البدع والمبتدعة وكل من يقوم عليها ويدعو إليها ، كائنًا من كان ، أميرًا أو مأمورًا ، واللّه المستعان .

---

(١) كتاب الاعتصام [٣/٢] .

جاء فى الاعتصام : قال ابن الماجشون : سمعت مالكًا يقول : من ابتدع فى الإسلام بدعة يراها حسنة فقد زعم أن محمدًا ﷺ خان الرسالة ؛ لأن اللّه يقول : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ [المائدة : ٣] ، فما لم يكن يومئذ دينًا فلا يكون اليوم دينًا [(١)] .

وجاء فى الاعتصام : حكى عياض عن مالك من رواية ابن نافع عنه قال : لو أن العبد ارتكب الكبائر كلها دون الإشراك باللّه شيئًا ، ثم نجا من هذه الأهواء ؛ لرجوت أن يكون فى أعلى جنات الفردوس ؛ لأن كل كبيرة بين العبد وربه هو منها على رجاء ، وكل هوى ليس هو على رجاء إنما يهوى بصاحبه فى نار جهنم[(٢)] .

التعليق : ما نزال نعيش مع هذه النصوص القيمة التى تؤكد لنا صدق نوايا سلفنا الصالح ، وتبيِّن لنا مدى مفارقتهم للبدع والمبتدعة ، فالإمام مالك رحمة اللّه عليه يرى أن الذنوب كبيرها وصغيرها صاحبها على رجاء ، يرجو من اللّه مغفرتها ، وأما صاحب البدع ليس على رجاء ؛ لأن البدع مشاركة للّه تعالى فى تشريعه ودينه ، فالتشريع خاص به ومقصور على حقه ، فمن نازعه فيه قصم ظهره وأصلاه سعيره ، فلو كان المبتدعة يقفون على هذه المواقف من هؤلاء الأئمة ، ما أظنهم يستمرون على بدعهم ، ولكن إعراضهم عن قراءة هذه النصوص وهذه المواقف المشرفة جعلهم يذهبون وراء كل مبتدع وبدعة ، ويرون فيها القُرْبة ، هذا إن أحسنَّا بهم الظن ، وأنه لا مصلحة لهم دنيوية ؛ وإلا فالأمر أعظم وأَطَمُّ .

..

---

(١) و (٢) كتاب الاعتصام [٤٩/١] و [١٣٠/١] .

وجاء فى السير : عن إبراهيم بن المنذر حدثنا أبو مصعب عن مالك قال : لا يؤخذ العلم عن أربعة : سفيه يُعْلِن السفه ، وإن كان أروى الناس ، وصاحب بدعة يدعو إلى هواه ، ومن يكذب فى حديث الناس ، وصالح عابد فاضل إذا كان لا يحفظ ما يُحدِّث به [1] .

التعليق : انظر – رعاك اللّه – إلى هذا النهج الدقيق فى تلقى العلوم الشرعيّة ، وأن صاحبها وشيخها ، مهما توفرت فيه الأهلية العلمية ، لا بد أن يكون صاحب سنة ، وألا يخالط البدعة عقيدة وعلمًا وعملًا . وأما إن كان فيه فرع من فروع البدعة قليلها وكبيرها ، فلا يصلح للرواية أخذًا وتلقيًا وإعطاءً وتعليمًا وتعلمًا ، فالمبتدع عند أهل السنة منبوذ على كل حال لا يؤخذ منه إلا ما يؤخذ من اليهود والنصارى من علوم دنيوية ، وأما العلوم الشرعية فلا يؤخذ شيء منها ، وهذه المقارنة التى ذكرها الإمام مالك فى هذه القولة العظيمة ؛ تدل دلالة واضحة على نبذ السلف للمبتدعة ، وأنهم فى درجة السفهاء المعلنين عن سفههم ووقاحتهم وخروجهم فى أفعالهم وأقوالهم عن حد المروءة واللياقة ، والكذابين الذين لا ثقة بأخبارهم ، والمغفلين الذين لا يعرفون ما يدور حولهم ، فكيف ببعض شبابنا الآن ينضوون وراء رايات المبتدعة ، ودعاة البدعة الصريحة الذين يصرحون ببدعهم فى كتبهم ومقالاتهم وترويجهم لكتب المبتدعة القدماء ، وحث الشباب على اقتنائها والاغتراف من شرها ، فياللّه العجب ما أجهل هؤلاء الشباب بدين اللّه !! وجريهم وراء العاطفات التى لا ضابط لها إلا الانسياق وراء الشعارات البراقة التى لا تحمل إلا رعود وبرق البدع .

---

(١) سير أعلام النبلاء [٦٧/٢] .

وجاء فى السير أيضًا : عن أصبغ ، حدثنا ابن وهب عن مالك ، وسئل عن الصلاة خلف أهل البدع القدرية وغيرهم فقال : لا أرى أن يُصلىٰ خلفهم ، قيل : فالجمعة ؟ قال : إن الجمعة فريضة ، وقد يُذكر عن الرجل الشيء وليس هو عليه . فقيل له : أرأيت إن استيقنت أو بلغنى من أثق به ، أليس لا أصلى الجمعة خلفه ؟ قال : إن استيقنت . كأنه يقول : إن لم يستيقن ذلك فهو فى سعة من الصلاة خلفه [1] .

التعليق : هكذا يرى الإمام مالك رحمه اللّٰه فى هذه الفتوى العظيمة ، أنَّ من شرط الإمام أن يكون الإمام سُنِّيا خاليًا من البدعة ، فإن كان ، وإلا فلا تصح الصلاة وراء المبتدع إنْ تيقنا ببدعته .

فماذا يقول الإمام مالك لو بُعِثَ إلى أهل هذا الزمان ، فرأى أئمتهم ما بين صاحب طريقة صوفية : إما تيجانية ، وهى من أخبث الطرق على الإطلاق وأضلها وأبعدها عن الشريعة ، وإما صاحب شعوذة مهرج يزعم أنه يشتغل بالكهانة ، أو مبتدع يقرأ على القبور ويتأكَّل بكتاب اللّٰه ، أو جاهل لا يدرى ما الصلاة وما شرعيتها وما تحتاج إليه ، فواللّٰه لو قام الإمام مالك ورأى ما عليه أهل هذه المجتمعات التى اختارت لنفسها البدع منهاجًا وسلوكًا وارتزاقًا ووظيفة ، لجالدهم بالسيف ولدعاهم إلى الحق من جديد ، ولكن فى ورثة الأنبياء بعده خيراً كثيراً ، وأما شباب المسلمين الغيورين على هذا الدين عامة وعلى السنة خاصة ، فلا يرضون بالمتبدعة أئمة ، ولا بالمرتزقة الدجالين مفتين وموجهين . واللّٰه المستعان .

---

(١) سير أعلام النبلاء [٦٨/٨] .

وجاء فى ذم الكلام : عن الإمام مالك : ما قلَّتِ الآثار فى قوم إلا ظهرت فيهم الأهواء ، ولا قلَّت العلماء إلا ظهر فى الناس الجفاء [1] .

التعليق : اللَّه أكبر ، ما أعظم هذه الحكم وأسد هذا الكلام ، يَعْرف ذلك من يعيش واقع المسلمين ويحيا فى وسط المذاهب الهدَّامة على اختلاف أشكالها وأنواعها وشعاراتها ، والبدع تلتهب وتأكل أجسام المسلمين ولا تترك منهم خلية إلا أماتتها وأصبحوا كما قال اللَّه تعالى : ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ﴾ [المنافقون : ٤] ، والألبسة إذا رأيتها على أظهرهم تعجبك ، واللحاء على وجوههم منظر جميل ، والعمامة تعلو رؤوسهم أحيانًا ، ولكن أين العمل وحديث رسول اللَّه ، وأين صحيح البخارى بين أظهرهم وفى بيوتهم ومكتباتهم ، وأين إخوانه من المحدثين وبقية الكتب الحديثية ، تسمع بكليات الشريعة وتدخلها وتتفحص مناهجها، وتجد الغالب عليها القانون الوضعى ، وتعد الثانويات والابتدائيات ، وتسمع بأسماء الأساتذة والمعلمين والمفتشين والموجهين والمجالس العلمية واللجان العلمية ، ولكن كما قال الإمام مالك : ما قلَّت الآثار فى قوم إلا ظهرت فيهم الأهواء . فارفع بصرك كَرَّتيْن أو كَرَّاتٍ تجد هذه كلها مدارس أهواء وكليات أهواء ، وأسماء ومجالس أهواء ، إلا من شاء اللَّه .

وقانا اللَّه شر أهل هذا الزمان ، الذين انعدمت فيهم الآثار ، ومات علماؤهم ، وذهب قراؤهم ، وبقى حثالة الناس ، فهم المتصدرون لأمرهم ، وبيدهم مقالدهم إلى أن تنبعث الآثار من جديد ، وتأخذ الصدارة فى علومهم ، ولا يزاحمونها بسفاسف وسفاهات لا تنفع فى دنيا ولا أخرى ، ويكون المتولون لأمرهم علماء عاملون وسادات متقون ، منهجهم منهج السلف الصالح ، وقدوتهم كتاب اللَّه وسنة رسوله ﷺ ، وعدوهم اليهود والنصارى والمجوس ، وما تفرّع عن هذه الفرق الكافرة ، التى باضت وفرَّخت فى العالم أجمع ، فيا حسرتى على ما فرط المسلمون فى جانب الكتاب والسنة .

---

(١) كتاب ذم الكلام [ص : ١٧٤] .

وفى جامع بيان العلم وفضله : قال الهيثم بن جميل : قلت لمالك بن أنس : يا أبا عبد اللّه ، الرجل يكون عالماً بالسنة ، أيجادل عنها ؟ قال : لا ، ولكن يخبر بالسنة ، فإن قُبلتْ منه وإلا سكت[1] .

التعليق : يرى الإمام مالك رضى اللّه عنه أن الطريق فى نشر سنة رسول اللّه ﷺ هو تعليمها وتكوين أطر يقومون بنشرها فى أبناء المسلمين ، كما فعل سيد الأولين والآخرين ، ويرى أن الإغراق فى الجدال مع أمة جاهلة لا تعرف قدرًا للسنة ، ربما يؤدى ذلك إلى محاربتها ومحاربة السنة ، فكل زمان له طريقته ، وكل وقت يُعامَل حسب ظروفه وأهله ، ويبقى نشر السنة والدفاع عنها أمرًا حتميًّا لا مناص منه ، والمتأخر عنه آثم مذنب متخلف ، قاعد عن الجهاد فى سبيل اللّه ، فنشر العلم هو مهنة الأنبياء والرسل ، ونشر السنة وعلومها والقرآن هو نيابة عن النبوة وأصحابها ، فتعزيز هذا المقام والدفاع عنه فرض على كل مسلم ، يعرف عن اللّه تعالى مراده وعن النبى ﷺ حاله وعن الصحابة رضى اللّه تعالى عنهم أعمالهم ، وإلا فسلام عليك لا نبتغى الجاهلين .

---

(١) كتاب جامع بيان العلم وفضله [٢/٩٤] .

وجاء فى التمهيد : فى ترجمة ربيعة الرأى : وكان مالك يفضِّله ويرفع به ويثنى عليه فى الفقه والفضل ، على أنه ممن اعتزل حلقته لإغراقه فى الرأى [1] .

التعليق : هذا مالك المحدث الملهَم ، الذى كان يتوقد ذكاء ، ويتحلى ورعًا ، وقد خالطت السنة لحمه ودمه ، ولا يريد سماع غيرها ولا مذاكرة ما سواها ، يفارق شيخه ، ويخاف أن يتأثر به ، ويغلب له الرأى على الآثار كما وقع لربيعة ، فيضطر إلى اعتزاله ومفارقته ، ولا شك أن ربيعة كان من أكبر أئمة التابعين ، وكان أحد فقهاء المدينة الثقات ، الذين عليهم مدار الفتوى ، ومع ذلك نرى هذا الموقف لإمامنا مالك ، فكيف بمن سلّموا أنفسهم وأسلموها وأسلموا أبناءهم وسلموهم إلى جماعة من المنحرفين والفاسقين والمجرمين والمدخنين السكارى ، باسم أنهم أساتذة ومعلمون ، إلا من شاء اللّه منهم ، فوقاه اللّه شر هذا الزمان ، فاختيار الأستاذ الناطق بالكتاب والسنة ، واختيار الجليس الصالح الناطق بالكتاب والسنة ، واختيار التلميذ المقبل على الكتاب والسنة ، ورفض أهل البدع والفلسفات والكلام المذموم الذى هو عبارة عن زبالات الرأى ونفاياته ، منهجٌ سلفى مطلوب ، فقارن بين رأى ربيعة الذى فارقه مالك وبين أعداء الإسلام الذين يعثون فى الأرض فسادًا ، باسم الفلسفات والفكر الإسلامى وغير الإسلامى والمنهج الغربى والشرقى ، وغير ذلك مما هو مُعاش فى الواقع ، فردَّ اللّه أمة محمد ﷺ إلى الصواب .

---

(١) كتاب التمهيد [٢/٢] .

○ وروى مالك فى موطئه أنه بلغه أن رسول اللّه ﷺ قال : « تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما ؛ كتاب اللّه وسنة نبيه »[1] .

التعليق : هذه حكمة نبوية أدخلها مالك فى موطئه بلاغًا ، والحديث صحيح عنده ، وهو الفَيْصل والمرجع ، فالتمسك بالكتاب والسنة يورث الخير ويورث جنة الرضا ، وخلافهما يورث الضلال والسعير ؛ فلذا ينبغى أن تكون هذه الحكمة النبوية مفزع كل مسلم يفزع إليه ، ومنهاجه الذى يسير عليه ، فرحمة اللّه على إمامنا حيث يتحفنا فى مصنفه بهذه الحكم ، وصلاة اللّه وسلامه على نبينا حيث هدانا إلى الصراط المستقيم .

(١) رواه مالك فى الموطأ [كتاب القدر/٣] ، والترمذى [٣٧٨٨] .

وجاء فى **الاعتصام** : قال مالك : لن يأتى آخر هذه الأمة بأهدى مما كان عليه أولها [1] .

التعليق : كيف يأتى آخر هذه الأمة بأفضل مما كان عليه سلفها ، والله تبارك وتعالى قد زكاهم فى القرآن وأثنى عليهم وجعلهم من المهديين المرضيين ، وقال فيهم : ﴿ وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [التوبة : ١٠٠] .

وقال : ﴿ لَّقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ [الفتح : ١٨] .

وقال فيهم : ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الفتح : ٢٩] .

وقد جاء فى الصحيح عن الرسول ﷺ : « خير القرون قرنى ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم »[2] .

فكيف بمن جمعت له تزكية الله ورسوله وكان مثالًا عمليًا فى السبق لكل مَكْرُمة ، ودماء انهمرت فى سبيل الله ، وأموال أنفقت فى نشر دين الله ، وعلوم أنارت الكرة الأرضية ، وبلاغة سامقة ، وأنوف شامخة ، وشجاعة نادرة ، وذكاء وحفظ لا يقارن بأمة من الأمم ، وصحبة صادقة ، وإخلاص مستمر ، وهم مثال فى كل خير ، فالتعبير عن حالتهم يعجز القلم واللسان عن استيفائها والتعبير عنها ، ولو لم يكن

---

(١) كتاب الاعتصام [١/٢٧٤] .

(٢) الحديث أخرجه البخارى [٣٦٥٠] ، ومسلم [٢٥٣٥] عن عمران بن حصين ولكن بالشك فى الثالثة ، وجاء الحديث بدون شك عن عائشة عند مسلم [٢٥٣٦] .

لهم إلا مباشرة النور النبوى والجلوس مع ذلك الإمام والذهاب والإياب والنظر إلى محياه المشرق الندىّ ، تحيا به القلوب وتموت به أفئدة الشرك والبدع والفسوق ، فكيف بالمتأخرين الذين بعدوا عن اللّه وفرقتهم اليهودية والنصرانية والمجوسية شذر مذر ، وأبعدتهم عن كتاب ربهم وسنة نبيهم ، ونزلت عليهم بمناهجها وتراثها الموروث العفن ، وأَقْنَعَتْهم بصلاحيته ، وتسابقوا إلى الاقتناء من تراثها والاهتداء بهديها ، يأتون بما هو أهدى من السابقين الأولين ، لعَمْرُ اللّه إن هذا لهو المحال الكبير ، وكما قال اللّه تعالى فى الكفار : ﴿ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ﴾ [الأعراف : ٤٠] فإذا كان المتأخرون يأتون بما هو أهدى ويتقربون إلى اللّه بقرب ما فعلها السابقون ، فنقول : هذا من المستحيل الذى ذكر اللّه تعالى فى كتابه فى الآية السابقة ، مضت القرون الأولى ولم يُحدِّث أحد نفسه بإقامة احتفال مولد للنبى ﷺ ، ويأتى المتأخرون ويزعمون محبة النبى ﷺ والإشادة به ، فيقيمون حفلات رقص وطرب ، واجتماع على بدع وشر ، ما أنزل اللّه بها من سلطان ، فأين هم من السلف المحبين للنبى ﷺ القائمين على سنته ؟! وهذا مثال واحد ذكرته ؛ لانتشاره بين المسلمين وإقامة علمائهم عليه، وإلا فالبدع فى العالم مع الأسف قدر رمل علج .

وجاء فى الإبانة عنه : قال : القرآن هو الإمام ؛ فأما هذا المِرَاء فما أدرى ما هو . وفيها عنه المِرَاء يقسى القلب ويورث الضغن[1] .

التعليق : هذا هو أصل مالك العظيم الذى استقى منه علومه وفقهه ، فلهذا اعتبره الإمام هو محل القدوة ، فقدوة الإمام مالك كتاب اللّه وسنة رسوله ﷺ ، وما سوى ذلك فهو مراء لا معنى للاشتغال به ؛ لأنه خال من نور النبوة والرسالة ، وهو سبب قسوة القلب والقلوب ، وهو سبب الأضغان والفرقة ، فبقدر ما يكثر الإنسان من المراء والجدال الفارغ ، بقدر ما تكثر عداوته ومفارقته لجماعة المسلمين الحقة ، وبقدر ما ينتشر الرأى والمراء والجدال فى الأمة بقدر ما تتفكك صفوفها وتتشتت كلماتها ، وهذا أمر مشاهد فى هذه الأعصار ، فالصوفية أكثر من مائةٍ وخمسين فرقة وطائفة ، ومن شاء عَدَّ عددهم رجع إلى دائرة المعارف الإسلامية ، لقد ذكرهم وعدَّد أصولهم وفروعهم فى المقال المكتوب فيها ، فبعضهم يلعن بعضًا ويضلل بعضًا ، والفرق الكلامية من أشعرية وماتُرْديّة ومعتزلة ورافضة ، وغير ذلك مما هو على سطح العالم الإسلامى ، وكلهم - بزعمهم - ينتسبون إلى الإسلام ، وهل الإسلام فرق وطوائف متباينة متكاثرة ، أم هو وَحدةٌ واعتصام بالكتاب والسنة تحت إمام المسلمين الذى توفرت فيه شروط الخلافة ، يحكم الناس بكتاب اللّه وسنة رسوله ، ويطرح ما سواهما فى زبالة القمامة ، كما قال الشعبى رضى اللّه عنه وأرضاه .

فهذه القولة الجامعة التى قالها الإمام مالك تفسيرها والتعبير عنها بالواقع المُعَاش يحتاج إلى مجلدات ، ولكن فى الإشارة ما يكفى اللبيب للفهم والعبرة والتشمير عن ساعد الجد لإصلاح هذا الواقع المنتن المر .

وجاء فى ذم الكلام : عن الإمام مالك رحمه اللّه : لا تحملن أحدًا على ظهرك ، ولا تمكّن الناس من نَفْسِك ، أدّ ما سمعت وحسبك ، ولا تقلد الناس قلادة سوء[1] .

التعليق : يقصد الإمام مالك فى هذا النص النير ، أن على المسلم أن يبرئ ذمته ولا يتحمل مسئولية أحد فى تحليل أو تحريم أو اعتقاد أو تشريع ، وليقف عند النص ولا يتجاوزه فإن مجاوزة النص والقول على اللّه وعلى رسوله بغير علم يبقى ذلك فى عنقه إلى يوم القيامة ، ويصدق عليه قول اللّه تعالى : ﴿ لِيَحْمِلُوٓاْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴾ [النحل : ٢٥] .

(١) كتاب ذم الكلام [ص : ١٧٣] .

موقف الإمام مالك من الزنادقة والمشركين

جاء فى المدونة : قلت : هل كان مالك يكره أن يستعين المسلمون بالمشركين فى حروبهم ؟ قال : سمعت مالكًا يقول : بلغنى أن رسول الله ﷺ قال : « لن أستعين بمشرك » ، قال : ولم أسمعه يقول فى ذلك شيئًا ، قال ابن القاسم : ولا أرى أن يستعينوا بهم يقاتلون معهم ، إلا أن يكونوا نواتية أو خدمًا ، فلا أرى بذلك بأسًا .

○ عن مالك عن الفُضيل بن أبى عبد الله عن عبد الله بن نِيَار الأسلمى عن عروة بن الزبير عن عائشة زوج النبى ﷺ أنها قالت : خرج النبى ﷺ قبل بدر ، فلما كان بحرَّة الوَبَرة أدركه رجل ، قد كان يُذكر منه جرأة ونجدة ، ففرح أصحاب رسول الله ﷺ حين رأوه ، فلما أدركه قال : يا رسول الله ، جئت لأتبعك وأصيب معك . فقال له رسول الله ﷺ : « تؤمن بالله ورسوله ؟ » قال : لا ، قال : « فارجع فلن أستعين بمشرك » . قالت : ثم مضى حتى إذا كنا بالشجرة أدركه الرجل فقال له كما قال أول مرة ، فقال له النبى ﷺ : « أتؤمن بالله ورسوله ؟ » فقال : لا ، قال : « فارجع » ، فرجع ثم أدركه بالبيداء فقال له كما قال أول مرة فقال : « أتؤمن بالله ورسوله ؟ » ، قال : نعم ، قال رسول الله ﷺ : « فانطلق »[1] .

وذكر ابن وهب عن جرير بن حازم أن ابن شهاب قال : إن الأنصار قالت يوم أحد : ألا نستعين بحلفائنا من يهود ؟ فقال رسول الله ﷺ : « لا حاجة لنا فيهم »[2] . انتهى من المدونة [3] .

---

(١) أخرجه مسلم فى صحيحه [١٨١٧] ، وأبو داود [٢٧٣٢] ، والترمذى [١٥٥٨] .

(٢) وهو حديث مرسل . فيه عنعنة ابن إسحاق ، وهو مدلس ، وإرسال الزهرى ، وأورده ابن كثير فى البداية والنهاية [١٤/٤] .

(٣) المدونة [٤١/٢] .

التعليق : قلت : هذه النصوص المنقولة تحت عنوان الاستعانة بالمشركين على قتال العدو ، يفهم منها أن مالكًا رحمه اللّه لا يجيز الاستعانة بالمشركين فى القتال وإلا ما فائدة هذا الاستدلال ؟!

ومالك رحمه اللّه كان يعرف خطر الالتصاق بالمشركين فى كل شئون الحياة ؛ لأن الالتصاق بهم والاختلاط معهم يهوِّن الشرك فى نفوس المسلمين ، وهذا ما لا يرضاه إمام من أئمة الهدى ، فما جاء القرآن والنبوة إلا لمحاربة الشرك والمشركين ، فكيف لو عاش الإمام مالك رحمه اللّه فى القرن الخامس عشر من الهجرة ورأى حالة المسلمين مع الشرك والمشركين فى مشارق الأرض ومغاربها .

وجاء فى المدونة : قلت : أرأيت المرتد ، هل يعقد النكاح على بناته الأبكار فى قول مالك ؟ قال : لا يعقد فى رأى ، ألا ترى أن ذبيحته لا تؤكل ، وأنه على غير الإسلام ، ولو كان أبوها ذميًّا وهى مسلمة لم يجز أن يعقد نكاحها ، كالمرتد أيضًا ، وألا يجوز أحرى ، ألا ترى أنَّ المرتد لا يرثه ورثته من المسلمين ولا غيرهم عند مالك ، فهذا يدلك على أن ولايته قد انقطعت حين قال : لا يرثه ورثته من المسلمين ولا يرثهم [1] .

التعليق : هكذا يقرر ابن القاسم مذهب مالك فى انقطاع ولاية المرتد على ابنته أو قريبته التى له أن يعقد لها ، فالجامع بين البنت وأبيها أو قريبها هو الإسلام ، وتحصل المفارقة بينهما بالنكوص والرجوع على الإسلام ، وفى هذا الزمان مع الأسف قد يقع الكثير من الناس فى الردة ، وهو لا يشعر أو يجهل ذلك جهلًا كاملًا ، وأما المثقفون المتشدقون بكثير من المبادئ الكفرية ، فيرتدون فى كل لحظة ، ويزعمون أنهم متمسكون بالإسلام ، والإسلام منهم برىء ؛ لأن الإسلام لا يمكن أن يجتمع مع الكفر فى يوم من الأيام ، إما إسلام خالص أو ردة سوداء ، فحذار من الشعارات الجاهلية المنمقة البراقة .

---

(١) المدونة [١٧٦/٢] .

وجاء فى المدونة : قلت : أرأيت المرتد ، أتنقطع العصمة فيما بينهما إذا ارتد مكانه أم لا ؟ قال : قال مالك : تنقطع العصمة فيما بينهما ساعة ارتد .

قلت : أرأيت المرأة إذا ارتدت ؟ قال : لم أسمع من مالك فيه شيئًا ، إلَّا أنى أرى إذا ارتدت المرأة أيضًا أن تنقطع العصمة فيما بينهما ساعة ارتدت .

قلت : أرأيت إذا ارتد الزوج ، أيجعله مالك طلاقًا أم لا ؟ قال مالك : إذا ارتد الزوج كانت تطليقة بائنة ، لا يكون للزوج عليها رجعة إن أسلم فى عدتها .

قلت : لِمَ ؟ قال مالك فى هذا : إنها بائنة ، وهو لا يعرف البائنة . قال : لأنه قد تركها حين ارتد ولم يكن يقدر فى حال ارتداده على رجعتها .

قلت : أرأيت المرتد إذا تزوج يهودية أو نصرانية وهو مرتد ، ثم رجع إلى الإسلام ، أيقيم على ذلك النكاح أم لا ؟ قال مالك : إذا ارتد فقد وقعت الفرقة بينه وبين أزواجه إذا كنّ مسلمات .

قال ابن القاسم : وتقع الفرقة بينه وبين أزواجه إذا كنّ من أهل الكتاب ، فهذا يدلك على أن نكاحه إياهن فى حال ارتداده لا يجوز ، رجع إلى الإسلام أم لم يرجع ، ألا ترى أنه لا يقر على امرأته اليهودية أو النصرانية حين ارتد ، وكذلك لا يجوز نكاحه إياهن فى حال ارتداده .

قلت : أرأيت المسلم تكون تحته اليهودية ، فيرتد المسلم إلى اليهودية ، أيفسد نكاحه أم لا ؟ قال : لم أسمع من مالك فيه شيئًا إلا أنه قال فى المرتد : تحرم عليه امرأته . فأنا أرى فى هذا أن تحرم عليه امرأته ، يهودية كانت أو نصرانية [1] .

التعليق : وهكذا نلاحظ الإمام مالكًا والمالكية رحمهم الله ، يجعلون مفارقة الإسلام رافعة للعصمة والولاية ، وأنه لا لقاء بين مرتد ومسلمة ، وبين مرتدة ومسلم ، فكيف فى هذه الأزمنة التى اختلط فيها الحابل بالنابل ، لا يميز فيها بين المرتدين والمرتدات ، وبين المسلمين والمسلمات ، وما أكثر الأولين وأقل الآخرين ، وما أكثر ما نسمع عن عقود تعقد من كثير من المرتدين على المسلمات . والله المستعان .

---

(١) المدونة [٣١٦/٢] .

وإضافة إلى ما نقلناه عن مالك فى المدونة من أحكام الزنادقة والمرتدين ، ننقل ما جاء فى موطئه فيما رواه عن زيد بن أسلم أن رسول اللَّه ﷺ قال : « من غَيَّر دينه فاضربوا عنقه » .

ومعنى قول النبى ﷺ فيما نرىٰ واللَّه أعلم : « من غَيَّر دينه فاضربوا عنقه » ، أنه من خرج من الإسلام إلى غيره ، مثل الزنادقة وأشباههم ، فإن أولئك إذا ظُهِر عليهم قُتلوا ولم يستتابوا ؛ لأنه لا تُعرف توبتهم ، وأنهم كانوا يسرون الكفر ويعلنون الإسلام ، فلا أرى أن يستتاب هؤلاء ولا يقبل منهم قولهم .

وأما من خرج من الإسلام إلى غيره وأظهر ذلك فإنه يستتاب ، فإن تاب وإلا قتل ، وذلك لو أن قومًا كانوا على ذلك رأيت أن يُدْعَوا إلى الإسلام ويستتابوا ، فإن تابوا قُبِلَ ذلك منهم ، وإن لم يتوبوا قتلوا ، ولم يُعْنَ بذلك فيما نرى واللَّه أعلم ، من خرج من اليهودية إلى النصرانية ، ولا من النصرانية إلى اليهودية ، ولا من يُغير دينه من أهل الأديان كلها إلا الإسلام ، فمن خرج من الإسلام إلى غيره ، وأظهر ذلك ، فذلك الذى عُنِىَ به . واللَّه أعلم[1] .

التعليق : هكذا نرى مالكًا رحمه اللَّه يؤصّل العقيدة ، ويبيّن أحكامها للمسلمين ، ويبين أحكام الزنادقة ، وما أكثرهم فى هذا الزمان ! وقد تكلمنا عنهم بما فيه الكفاية فى المواقف السابقة ، والمهم أن مالكًا رحمه اللَّه يرى أن حرمة الإسلام ليست كغيره من الأديان المحرفة التى ثبت عليها أهل التحريف ، ولا يرى للزنديق إلا الإبادة والقتل ، فجزاه اللَّه خيرًا ، ويجب على المسلمين أن يكونوا مالِكِيِّين لا بالمفهوم المنتشر عند الناس ؛ أى التقليد المذهبى ، فهذا مرفوض عند مالك وغيره ، كما سيأتى إن شاء اللَّه فى موقف مالك من الـمُقلِّدة ، ولكن مالكيون فىْ نشر سنة رسول اللَّه ﷺ وتوضيحها لهُم ، ونشر وتوضيح العقيدة السلفية التى هى عقيدة الأنبياء والرسل والصحابة والتابعين لهم بإحسان ، اللَّهُمَّ وفق أمة محمد لاتباع دينها ورسولها ، اللَّهُمَّ رُدَّ كيد أعدائها عنها من أهل المشرق والمغرب .

---

(١) رواه مالك فى الموطأ [٢/٥٦٥] وهو مرسل عند جميع الرواة ، ولكنه موصول عند البخارى عن ابن عباس برقم [٣٠١٧] .

○ ورَوىٰ عن عبد الرحمن بن محمد بن عبد اللَّه بن عبد القارىّ عن أبيه ، أنه قال : قدم على عمر بن الخطاب رجل من قِبَلِ أبى موسى الأشعرى ، فسأله عن الناس ، فأخبره ، ثم قال له عمر : هل كان فيكم من مُغَرِّبَة خَبر ؟

فقال : نعم ، رجل كفر بعد إسلامه .

قال : فما فعلتم به ؟

قال : قربناه فضربنا عنقه .

فقال عمر : أفلا حبستموه ثلاثًا وأطعمتموه كل يوم رغيفًا ، واستتبتموه لعله يتوب ويراجع أمر اللَّه ؟! ثم قال عمر : اللَّهُمَّ إنى لم أحضر ، ولم آمر ، ولم أرض ، إذ بلغنى[1] .

التعليق : هذا الأثر العظيم يدلنا دلالة واضحة على عناية أمير المؤمنين رضى اللَّه عنه بالعقيدة الصحيحة ، ويرى أن من خالفها ينبغى أن يحبس ثلاثة أيام حتى يحاور وتزال عنه الشُّبه إن كانت له شبه ، فإن رجع عن شبهه وضلاله وزندقته وكفره قُبلت توبته ، وإلا طُبِّق فيه حق القتل ، فرضى اللَّه عنه وعن سلفنا الصالح ، ورحم إمامنا مالكًا ؛ إذ ينقل لنا هذه المواقف العقدية المشرفة .

---

(١) رواه مالك فى الموطأ [كتاب الأقضية / ١٦] .

وجاء فى **الصارم المسلول** على شاتم الرسول لشيخ الإسلام ابن تيمية قال : قال ابن المنذر : أجمع عوام أهل العلم على أنَّ من سبَّ النبى ﷺ فحَدُّه القتل ، وممن قاله مالك والليث وأحمد وإسحاق ، وهو مذهب الشافعي[1] .

وجاء فيه أيضًا : وقال ابن القاسم عن مالك : من سبَّ النبى ﷺ قُتل ولم يستتب . قال ابن القاسم : أو شتمه أو عابه أو تنقصه فإنه يقتل كالزنديق ، وقد فرض اللَّه توقيره .

وكذلك قال مالك فى رواية المدنيين عنه : من سَبَّ رسول اللَّه ﷺ أو شتمه أو عابه أو تنقصه قُتل ، مسلمًا كان أو كافرًا ، ولا يستتاب .

وروى ابن وهب عن مالك : من قال : إن رداء النبى ﷺ وسخ ، أراد به عيبه ، قُتل .

وروى بعض المالكية إجماع العلماء على أن من دعا على نبى من الأنبياء بالويل أو بشىء من المكروه أنه يقتل بلا استتابة .

وذكر القاضى عياض أجوبة جماعة من فقهاء المالكية المشاهير بالقتل بلا استتابة فى قضايا متعددة أفتى فى كل قضية بعضهم :

منها : رجل سمع قومًا يتذاكرون صفة النبى ﷺ ، إذ مر بهم رجل قبيح الوجه واللحية فقال : تريدون تعرفون صفته ؟ هذا المار فى خلقه ولحيته .

منها : رجل قال : النبى ﷺ أسود

منها : رجل قيل له : لا وحق رسول اللَّه . فقال : فعل اللَّه برسول اللَّه كذا وكذا . ثم قيل له : ما تقول يا عدو اللَّه ؟! فقال : أشد من كلامه الأول ، ثم قال : إنما أردت برسول اللَّه العقرب ، قالوا : لأن ادعاء التأويل فى لفظ صراح لا يقبل ؛ لأنه امتهان ، وهو غير مُعزِّر لرسول اللَّه ﷺ ، ولا موقر له فوجبت إباحة دمه .

---

(١) كتاب الصارم المسلول على شاتم الرسول [ص : ٥٧٥] .

منها : عشار قال أدواشك إلى النبى ، أو قال : إن سألت أو جهلت فقد سأل النبى وجهل .

منها : متفقه كان يستخف بالنبى ﷺ ويسميه فى أثناء مناظرته اليتيم وختن حيضر ، ويزعم أن زهده لم يكن قصدًا ، ولو قدر على الطيبات لأكلها ، وأشباه هذا .

قال : فهذا الباب كله مما عده العلماء سبًّا وتنقصًا يجب قتل قائله ، لم يختلف فى ذلك متقدمهم ومتأخرهم ، وإن اختلفوا فى سبب حكم قتله [1] .

وجاء فيه أيضًا : قال مالك وأحمد : كل من شتم النبى ﷺ أو تنقّصه ، مسلمًا كان أو كافرًا ؛ فإنه يقتل ولا يستتاب . فنصًّا على أن الكافر يجب قتله بتنقصه له كما يقتل بشتمه ، وكما يُقتل المسلم بذلك ، وكذلك أطلق سائر أصحابنا أنَّ سب النبى ﷺ من الذمى يوجب القتل[2] .

---

(١) كتاب الصارم المسلول على شاتم الرسول [ص : ٥٧٢] .

(٢) المصدر السابق [ص : ٥٥١] .

موقف الإمام مالك من بدعة القبورية

وجاء فى المدونة : فى تجصيص القبر : قال : وقال مالك : أكره تجصيص القبور والبناء عليها ، وهذه الحجارة التى يبنى عليها .

ابن لهيعة عن بكر بن سوادة قال : إن كانت القبور لتسوّى بالأرض .

ابن وهب عن ابن لهيعة عن يزيد بن أبى حبيب عن أبى زمعة البلوى صاحب النبى ﷺ ، أنه أمر أن يُصنع ذلك بقبره إذا مات .

قال سحنون : فهذه آثار فى تسويتها فكيف من يريد أن يبنى عليها [1] .

التعليق : هذه هى المدونة ، وهذا مالك وهذا مذهبه ، وهؤلاء أصحابه ، وهذه آثار صحابة رسول اللّه ﷺ ؛ تؤكد ما عليه مذهب مالك ، فكيف حال المسلمين فى مقابرهم فقراء وأغنياء ، علماء وجاهلين ؟! كلهم - إلا من شاء اللّه - يعمل على خلاف مذهب مالك ، ويقتدون بالنصارى والرهبان والهنود والروافض الباطنية أعداء اللّه ورسوله وأصحابه ؛كلهم يرغب فى هذه الكارثة . ويشيدون القبور ويزخرفونها ويضعون لها القباب والتوابت والكساوى ، ويأتون لها بأحدث أنواع الفنون المعمارية ، وبأحدث أنواع التجصيص والتزويق ، ويأتون لها بأفضل أنواع التذهيب والتفضيض ، ويعلقون لها من أحدث أنواع المصابيح ، وهكذا تنفق عليها من الأموال ، ما المسلمون فى حاجة إليه ، فتنفق الملايين والبلايين على ميتة جيفة لا ندرى ما فعل اللّه بصاحبها ، فلعلها من أهل النار . وإن كانت من أهل الجنة ؛ فهذا الفعل من عبث العابثين ، وهو لمنهاج السلف من المخالفين ، ومآله إلى تجمع الشرك والمشركين ، يعبد فيه هؤلاء الموتى من دون اللّه ، والمسكين لا يدرى ، ويعتقد أن هذه مكرمة لأمه وأبيه ، وهى فى الحقيقة مفسدة لمجتمعه ولدينه ، وأى مفسدة ، فإنا للّه وإنا إليه راجعون على حالة المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها ونصوص أئمتها نابذة لأعمالها ، فما هذا العمل إلا مأوى للشرك والمشركين كما هو واقع فى حال العالمين .

---

(١) كتاب المدونة [ص : ١٨٩] .

جاء فى المدخل لابن الحاج : وقال مالك فى المبسوطة : وليس يلزم من دخل المسجد وخرج منه من أهل المدينة الوقوف بالقبر ، وإنما ذلك للغرباء ، فقيل له : إنّ ناسًا من أهل المدينة لا يقدمون من سفر ولا يريدونه إلا يفعلون ذلك فى اليوم مرة ، أو أكثر فيسلمون ويدعون ساعة ؟ فقال : لم يبلغنى هذا عن أحد من أهل الفقه ببلدنا ، ولا يُصْلِح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها ، ولم يبلغنى عن أول هذه الأمة وصدرها أنهم كانوا يفعلون ذلك ، ويكره ذلك إلا لمن جاء من سفر أو أراده . قال ابن القاسم : ورأيت أهل المدينة إذا خرجوا منها أو دخلوا أتوا القبر فسلموا . قال : وذلك دَأبى[1] .

التعليق : انظر حماك اللّه من أعمال الشرك والمشركين ما يقوله الإمام مالك فى هذه الفتوى التى استفتى فيها وبين آداب الزيارة للنبى ﷺ فى قبره ، وأن تكرار الزيارة مرة ومرتين فى اليوم لم يكن من عمل السلف الصالح ، وأن السلام على قبره ﷺ هو للغرباء القادمين من الخارج ، وكأن مالكًا رحمه اللّه يشير إلى الحديث الذى رواه فى موطئه عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار أن رسول اللّه ﷺ قال : « اللّهُمَّ لا تجعل قبرى وثنًا يُعْبَدُ ، اشتد غضب اللّه على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد »[2] .

ولا يعنينا أن نخوض فى الكلام على طرق الحديث صحةً وضعفًا ، فمالك احتج به فى موطئه ولا يحتج إلا بما يراه صالحًا للحجية ، والذى يهمنا من هذه المواقف ما ذهب إليه مالك من أقوال وأفعال فى مواقفه العقدية .

فمالك رحمه اللّه يرى أن الزيارة الشرعية للنبى ﷺ من الغرباء بالسلام عليه وعلى صاحبيه ، وبالدعاء باستقبال القبلة دون توجه إلى القبر ، فضلاً عما يفعله الجهلة والمشعوذون والمنحرفون الذين يرون أن التمسح بشبابيك النحاس وجدران الحجرة وتقبيلها وتمريغ الوجوه والخدود ، والاستغاثة بالنبى والاستعانة به وطلب الحاجات

---

(١) كتاب المدخل [١٦٢/١] .

(٢) رواه مالك فى الموطأ [كتاب قصر الصلاة / ٨٥] وهو مرسل ، وقد روى موصولًا من حديث أبى هريرة عند أحمد [٢٤٦/٢] .

والأرزاق والأولاد وتفريج الكربات ، مما كان يحاربه ﷺ ويقاتل عليه ويأمر بإفراده لله تعالى ، فالحجر الأسود هو المُقَبَّلُ وحده ، لا غيره من أحجار الدنيا وترابها ، والاستغاثة بالله وحده ، ودعاؤه فى السراء والضراء ، لا يُصرف شيء من ذلك إلى غيره ؛ نبيًّا كان أو رسولاً ، فالسلام على الرسول ﷺ وعلى صاحبيه وصلاة ركعتين فى المسجد النبوى هى الزيارة الشرعية التى بينها الإمام مالك فى هذا الموقف وغيره . وأما لو رأى مالك وأصحابه وأتباعه ما يراه عباد القبور بمقبورهم ، من تقبيلٍ لجدرانهم ، وتعفير وجوههم بترابهم ، واستغاثة بهم ، وطلب الحاجات منهم ، وعقد مواسم أسبوعية وسنوية ، وتقديم القربان والهدايا ، وصلوات فى حرم المقبور ، ولياذٍ وعبادة بحرم المقبور ، وغير ذلك من الأعمال والأقوال ، مما لم يخطر على بال أهل الجاهلية المشركين الذين كانوا يعبدون أصنام الحجارة وغيرها ، فماذا سيقول الإمام مالك فى هذه الأحوال الشيطانية التى اخترعها إبليس وأعوانه من شياطين الإنس ؟ فحالة العالم الإسلامى بشرقه وغربه حالة من لم ينزل فيه قرآن ، ولا بُعِثَ فيه نبى ، ولا تقدم فيه سلف صالح ، مثل الإمام مالك الذى نسجّل له هذه المواقف وقلوبنا تتفطر لما لم نجد ما تهدف إليه هذه المواقف السلفية ، ولكن الخير فى شباب أمة محمد ﷺ التى ستتلقى السنة بصدورها الرحبة وقلوبها الواعية ، وتنزل النصوص مكانتها وتعطى للسنة حقها وللكتاب درجته ، فهو حاكمها وحكمها ، وهو إمامها وقدوتها ، هذا ظننا فى شبابنا وفى أمة نبينا ، نرجو الله تعالى أن يوفقهم وأن يلهمهم رشدهم .

وجاء فى **الاعتصام** : قال ابن وضاح : وكان مالك بن أنس وغيره من علماء المدينة يكرهون إتيان تلك المساجد وتلك الآثار للنبى ﷺ ما عدا قباء وحده .

وقد كان مالك يكره كل بدعة وإن كانت فى خير .

وجميع هذا ذريعة لئلا يتخذ سنة ما ليس بسنة ، أو يعد مشروعا ما ليس معروفًا .

وقد كان مالك يكره المجيء إلى بيت المقدس ؛ خِيفةَ أن يُتخذ ذلك سنة ، وقد كان يكره مجيء قبور الشهداء ، ويكره مجيء قباء ، خوفًا من ذلك ، مع ما جاء فى الآثار من الترغيب فيه ، ولكن لما خاف العلماء عاقبة ذلك تركوه .

وقال ابن كنانة وأشهب : سمعنا مالكًا يقول : لما أتى سعد بن أبى وقاص قال : وددت أن رجلى تكسَّرت وأنى لم أفعل .

وسئل ابن كنانة عن الآثار التى تركوا بالمدينة ، فقال : أَثْبتُ ما فى ذلك عندنا قباء ، إلا أن مالكًا كان يكره مجيئها خوفًا من أن يتخذ سنة [1] .

التعليق : ماذا يقول عباد الآثار على اختلاف أنواعها ، من مبان وأقواس ومنارات وحجارات وتماثيل وبقايا للأمم والمحبون لها والمنفقون عليها من الأموال الطائلة التى لا تقدر بقدر ، وذلك بزعمهم أنها من مقومات البلاد ومن الآثار الوطنية ، ولكن لا يدرى المساكين أن ذلك ربما سينقلب إلى عبادات من دون اللّه كما وقع لكثير من الأمم ، وهو واقعنا الآن فى كثير من المزارات المخترعة وغير المخترعة التى يزعم عبادها أن فيها فلانًا وفلانًا ، وكثيرًا ما فحصت هذه المزارات فوجدت فيها عظام الكلاب والحمير وجثث اليهود والنصارى ، وهناك مزارات أخرى خالية من كل شيء كما هو واقع فى مزار الحسين فى مصر ، فلا حسين ولا جسده ولكن المشركين لا يعقلون !! وأما المغارات فى الجبال والأودية والسهول فنماذجها كثيرة لا تعد ولا تحصى ، فالعناية بالآثار وترميمها وتخليدها هو من عمل المشركين البطالين الذين لا عمل لهم ولا دين .

---

(١) كتاب الاعتصام [٣٤٧/١] .

وأما الآثار التى ينبغى العناية بها فهى ميراث النبوة من كتاب وسنة وأقوال وأفعال للسلف الصالح ، فهذه هى التى تستحق العناية ، وما فيه خدمة للأمة فى دينها ودنياها ، وما يخدم أهدافها ، وأما تحنيط الجثث وإيقافها فى أمكنة معينة ، والمحافظة على آثارها من ذهب وفضة وصناديق وأوانى وغير ذلك ، فهو من عمل أهل الجاهلية ، وهذا هو الذى يحاربه النص المنقول عن الإمام مالك رحمه اللّه ، لأن الإمام مالكًا يعرف نتيجة هذا الأمر الخطير ، وقد كان كما توقع وأشرت إليه فى هذه الكلمة القصيرة .

وجاء فى المدونة : قلت : أرأيت من ارتد عن الإسلام يسقط عنه ما كان قد وجب عليه من النذور ، وما ضَيَّع من الفرائض الواجبة التى وجب عليه قضاؤها ، أو مرض فى رمضان فوجب عليه قضاؤه ، أو الحدود التى للّه أو للناس ، إذا رجع إلى الإسلام ، أيسقط عنه شيء من هذه الأشياء ؟ قال : نعم ، يسقط عنه كل ما وجب له عليه ، إلا الحدود والفِرْية والسرقة وحقوق الناس ، وما لو كان عمله كافرًا فى حال كفره ثم أسلم لم يوضع ، ومما يبين لك ذلك أنه يوضع عنه ما وضع من الفرائض التى هى لله ، أنه لو حج حجة الإسلام قبل ارتداده ثم ارتد ثم رجع إلى الإسلام ، أنَّ عليه أن يحج بعد رجوعه إلى الإسلام حجة أخرى ؛ حجة الإسلام ، قال مالك : لأن اللّه تبارك وتعالى يقول فى كتابه : ﴿ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [الزمر : ٦٥] فحجه من عمله ، وعليه حجة أخرى ، فهذا يخبرك أن كل ما فُعل من الفرائض قبل ارتداده لم ينفعه ، فكذلك ما ضيع قبل ارتداده ، ولا يكون عليه شيء وهو ساقط عنه .

قلت : ويأتى القتل على القصاص الذى هو للناس ؟ قال : نعم ، قلت : وتحفظ هذا عن مالك ؟ قال : نعم .

قلت : أرأيت الرجل يوصى بوصايا ثم يرتد ، فيقتل على ردته ، أيكون لأهل الوصايا شيء أم لا ؟ قال مالك : لا يرثه ورثته ، فأرى أنه لا شيء لأهل الوصايا أيضًا ، ولا تجوز وصية رجل إلا فى ماله ، وهذا المال ليس هو للمرتد ، وقد صار لجماعة المسلمين ، ووصاياه قبل الردة بمنزلة وصيته بعد الردة ، ألا ترى أنه لو أوصى بعد الردة بوصية لم تجز وصيته ، وماله محجوب عنه إذا ارتد .

قلت : أرأيت إن مرض فارتد ، فقتل على ردته ، فقامت امرأته فقالت : فَرَّ بميراثه منى . قال : بلغنى عن مالك أنه قال : لا يتهم ههنا أحد أن يرتد عن الإسلام فى مرضه لئلا يرتد ورثته وميراثه للمسلمين[1] .

---

(١) المدونة [٣١٨/٢] .

وجاء فى غاية الأمانى فى الرد على النبهانى : أما مالك ، فقد قال القاضى عياض : وقد قال مالك فى المبسوط : لا أرى أن يقف عند قبر النبى ﷺ يدعو ويسلم ، ولكن يسلم ويمضى . وهذا الذى نقله القاضى عياض ذكره فى المبسوط قال : وقال مالك : لا أرى أن يقف الرجل عند قبر النبى ﷺ يدعو ولكن يسلم على النبى ﷺ وعلى أبى بكر وعمر ثم يمضى ، وقال مالك : ذلك لأن هذا المنقول عن ابن عمر أنه كان يقول : السلام عليك يا رسول اللّه ، السلام عليك يا أبا بكر ، السلام عليك يا أبتِ ويا أبتاه ثم ينصرف ولا يقف يدعو ، فرأى مالك ذلك من البدع ، قال : وقال مالك فى رواية ابن وهب : إذا سلم على النبى ﷺ ودعا يقف ووجهه إلى القبر لا إلى القبلة ، ويدنو ويسلم لا يمس القبر بيده [1] .

التعليق : هذا الموقف فيه آداب الزيارة لقبر النبى ﷺ كاملة ، وقد تقدم الكلام عليها ، ويضاف إلى ذلك قوله : ولا يمس القبر بيده . فالإمام مالك يقطع الذرائع على الشرك من لمسٍ وتقبيل وتعفير للخدود والوجوه ، الذى يفعله كثير من الجهلة بقبر النبى ﷺ ، وبغيره من القبور كما تقدم ، فكيف يجيزه الإمام مالك وهو إمام من أئمة الهدى ، وهذا عمل أئمة الضلال والجهل والتقليد ، وهو الذى يروى رضى اللّه عنه الحديث المعروف عن عمر بن الخطاب رضى اللّه عنه وهو يطوف بالبيت للركن الأسود : إنما أنت حجر ، ولولا أنى رأيت رسول اللّه ﷺ قبلك ما قبلتك ، ثم قبله[2] .

فهذه هى قدوة الإمام مالك من أمير المؤمنين الذى يصرح بأن الحجر لا ينبغى أن يقبل ، ولكن هذا الحجر له خصوصيته ؛ لأن إمام المتقين قبله ، ولا شك أن هذا تعبد للّه ، أما ما سواها من الحجارة والتراب والجدران والشبابيك والتوابيت وغير ذلك ، فتقبيله كالحجر الأسود ؛ شرك فى العبادات ، وهذا العمل من عمل المشركين .

---

(١) غاية الأمانى [١/١٧٨] .

(٢) التمهيد لابن عبد البر [٢٢/٢٥٥] ، والحديث أخرجه البخارى [١٥٩٧] ، ومسلم [١٢٧٠] .

موقف الإمام مالك من السحر والسحرة

الواقع أن السحر مصيبة قديمة ، اتخذها الفراعنة فى قديم الزمان وحديثه لمحاربة عِلْم النبوة ، وفى مقدمته العقيدة . وما ذكره اللّه تعالى عن سحرة فرعون قبل توبتهم أمر لا يخفى على مسلم يقرأ كتاب اللّه عز وجل ، وقد ذكر اللّه السحر فى القرآن فى آية عظيمة من قرأها لا يمكن أن يهادن السحر ولا السحرة ، وإن كان حاكما مسلمًا فلا يسمح بوجود هذا السرطان الخبيث فى رعيته ، والعلماء مهمتهم دفع هذا الخبث وأمثاله مما لحق بعقيدة الإسلام الصافية : ﴿ وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة : ١٠٢] .

والإمام مالك رحمه اللّه من أشد الناس محاربة لهذا الأصل الفاسد الذى استشار واستطار شره فى القديم والحديث ، وكل من أراد حيلة نسب نفسه إليه وزعم أنه ساحر ، وأتاه العوام والجهال من كل قطر ومصر ؛ طالبين منه أن يفعل لهم سحرًا ، وهذا مع الأسف فى المجتمعات الإسلامية التى تدعى الوعى والتقدم .

جاء فى موطأ مالك : عن محمد بن عبد الرحمن بن سعد ، أنه بلغه أن حفصة زوج النبى ﷺ قتلت جارية لها سحرتها ، وقد كانت دبرتها ، فأمرت بها فقتلت .

قال مالك : الساحر الذى يعمل السحر ولم يعمل ذلك له غيره ، هو مثل الذى قال اللّه تبارك وتعالى فى كتابه : ﴿ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْآخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ﴾ فأرى أن يقتل ذلك إذا عمل ذلك هو نفسه[1] .

وجاء فى تيسير العزيز الحميد : واختلفوا هل يكفر الساحر أو لا . فذهب طائفة من السلف إلى أنه يكفر ، وبه قال مالك وأبو حنيفة وأحمد [2] .

التعليق : هكذا مذهب مالك رحمه اللّه بَيِّنٌ ؛ القتل والتكفير للساحر ، وهكذا يكون الحكم على كل المشعوذين الذين يَدَّعون لأنفسهم علم الغيب الذى اختص اللّه به ، ويدعى لنفسه التصرف فى الأكوان والذوات وتغيير القلوب وإحداث البغض والكراهية وإماتة الناس وإحيائهم وتصحيحهم وإمراضهم ، بل ويَدَّعون قلب الذوات من بشر إلى كلب أو خنزير أو ماء إلى ذهب أو فضة ، وما إلى ذلك من الدعاوى الطويلة العريضة ، ولهذا قارنه النبى ﷺ بالشرك كما جاء فى الحديث الصحيح ﷺ : « اجتنبوا السبع الموبقات . قالوا : يا رسول اللّه ، وما هن ؟ قال : الشرك باللّه ، والسحر ، وقتل النفس التى حرم اللّه قتلها إلا بالحق ، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم ، والتولى يوم الزحف ، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات »[3] .

وصح عن ثلاثة من أصحاب النبى ﷺ قتل الساحر ، وهم عمر أمير المؤمنين ، وحفصة أم المؤمنين ، وجندب الصحابى الجليل ، كل هذا ومع ذلك تجد هذه الظاهرة منتشرة انتشارًا فاحشًا فى المجتمعات الإسلامية .

---

(١) رواه مالك فى الموطأ [٦٦٣/٢] .

(٢) تيسير العزيز الحميد [ص : ٣٩٣] .

(٣) أخرجه البخارى [٢٧٦٦] ، ومسلم [٨٩] .

ما جاء فى الموطأ من الأخبار عن :
الرقى والتمائم

الإمام مالك رحمه اللّه اشتُهر من بين الأئمة فى سدِّ الذرائع التى يُتذرع بها إلى كل مكروه ، وكان أهل الجاهلية يعلقون القلائد والأوتار على بهائمهم ، ويعتقدون أنها تدفع المرض وتدفع البلاء ، وجاء الإسلام فأبدلنا اللّه بذلك كتابه وأسماءه وصفاته ، فرُقْية المسلم قراءة كتاب اللّه والأدعية الثابتة عن رسول اللّه وما سوى ذلك لم يصح عن رسول اللّه ﷺ من وجه من الوجوه ، فما يذكر فى بعض الكتب من خلاف فى تعليق بعض الآيات القرآنية أو بعض الأدعية المأثورة لا معنى له ، فقد استفاضت رقى رسول اللّه ﷺ ورقية جبريل له ، والأدعية الكثيرة التى علمها فى الرقى ، فلماذا العدول عن هذا الشىء الصحيح والبيضاء الواضحة إلى ما يمكن أن يدخل به المبتدعة والسحرة الذين يكتبون الكثير من الرموز والخطوط فى كثير من الحروز وكثير من الأدعية الشركية ؟ والاستغاثات بالشياطين والجن ، وبكثير من الأموات الأحياء الغائبين ،وهذا شرك مجمع عليه لا يشك فيه إلا مشرك ، فالرجوع إلى السنة والرجوع إلى مذهب الإمام مالك فى سدِّ الذرائع هو الواجب والصواب ، فالعقيدة فى القلائد والتمائم والحلق والخرق والنحاس الذى يربط فى العنق والأيدى ، من اعتقد فيه نفعًا أو ضرًّا فلا شك أنه مشرك ، فالنفع والضر بيد اللّه ، فالضراعة له بالقلوب والألسنة وبكتابه وبأدعية نبيه ﷺ ، والاستقامة على دينه ، وبالابتعاد عن مأوى الشياطين والفسقة وكثرة الصدقات والتلاوة والذكر ، هكذا كانت رقية السلف الصالح رضى اللّه عنهم وأرضاهم ، وأما ما يُشاهد فى المجتمعات المتخلفة علميًّا وعقليًّا واقتصاديًّا واجتماعيًّا فتلجأ إلى مثل هذه الأمور التى لا معنى لها .

روى مالك عن عبد اللَّه بن أبى بكر بن عمر ، وابن حزم عن عَبّاد بن تميم : أن أبا بشير الأنصارى أخبره أنه كان مع رسول اللَّه ﷺ فى بعض أسفاره قال : فأرسل رسول اللَّه ﷺ رسولاً - قال عبد اللَّه بن أبى بكر : حسبت أنه قال : والناس فى مَقِيلهم - : « لا تَبقينَّ فى رقبةِ بعيرٍ قلادةٌ من وَتَر ، أو قلادةٌ إلا قطعتِ » ، قال مالك : أرى ذلك من العين [1] .

(١) التمهيد [١٥٩/١٧] . والحديث أخرجه البخارى [٣٠٠٥] ، ومسلم [٢١١٥] .

رواية الإمام مالك لأحاديث التصاوير

روى عن إسحاق بن عبد الله بن أبى طلحة ، أن رافع بن إسحاق مولى الشفاء أخبره قالت : دخلتُ أنا وعبد الله بن أبى طلحة على أبى سعيد الخدرى نعوده ، فقال لنا أبو سعيد : أخبرنا رسول الله ﷺ أن الملائكة لا تدخل بيتًا فيه تماثيل أو تصاوير . يشك إسحاق لا يدرى أيتهما ، قال أبو سعيد الخدري [1] .

وقد جاء عن النبى ﷺ فى هذا المعنى أحاديث كثيرة ، منها حديث أبى هريرة رضى الله عنه ، خرَّجه البخارى ومسلم وغيرهما عن النبى ﷺ قال : « قال الله تعالى : ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقى فليخلقوا ذرة أو ليخلقوا حبة أو ليخلقوا شعيرة »[2] .

ومنها : ما أخرجاه عن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ قال : « أشد الناس عذابًا يوم القيامة الذين يضاهئون بخلق الله »[3] .

ومنها : عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « كل مصور فى النار يُجعل له بكل صورة صورها نَفْس ، يعذب بها فى جهنم »[4] .

ومنها : عن ابن عباس أيضًا أن رسول الله ﷺ يقول : « من صور صورة فى الدنيا كُلف أن ينفخ فيها الروح وليس بنافخ »[5] .

---

(١) ذكره ابن عبد البر فى التمهيد [٣٠٠/١] . والحديث أخرجه البخارى [٣٢٢٥] .

(٢) أخرجه البخارى [٥٩٣٥] ، ومسلم [٢١١١] .

(٣) أخرجه مسلم [١٦٦٨] ، وأبو داود [٣٩٥٨] ، والترمذى [١٣٦٤] ، وابن ماجة [٢٣٤٥] .

(٤) أخرجه البخارى [٢٢٢٥] ، ومسلم [٢١١٠] .

(٥) المصدر السابق .

ومنها : عند مسلم عن أبى الهياج قال : قال لى علىّ : ألا أبعثك على ما بعثنى عليه رسول اللّه ﷺ : ألا تدع صورة إلا طمستها ، ولا قبرًا مشرفًا إلا سويته [1] .

هكذا تتوارد الأحاديث عن النبى ﷺ بصيغ مختلفة فى تحريم الصور ، وأن أصحابها أشد الناس عذابًا يوم القيامة ، وعلل النبى ﷺ ذلك ؛ بأنهم يتشبهون باللّه فيما اختص به ، ﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ﴾ [الأعراف : ٥٤] ، وبيّن اللّه تبارك وتعالى فى الحديث القدسى أنهم يخلقون كخلقه ، ولهذا يمتحنهم يوم القيامة ويأمرهم بأن يخلقوا ذرة أو حبة أو شعيرة ، وليسوا بقادرين على ذلك ، وأن رسول اللّه ﷺ بعث صهره وابن عمه إلى طمس كل صورة وجدها ، وإلى تسوية كل قبر مشرف ، فالأحاديث واضحة فى المنع من التصوير . وإن فاعل ذلك متشبه باللّه ومعتد عليه فيما اختص به كما تقدم ، فلهذا أدخل الإمام مالك أحاديث تحريم الصور ، ولا شك أن هذا من العقيدة، فعقيدة المسلم يجب أن تكون نقية من كل شائبة شركية ظاهرة وباطنة ، ولا فرق فى هذا الباب عندى بين الصور المجسمة وغير المجسمة ، فالكل من باب واحد ، والنصوص لم تفرق . وخلاف العلماء فى المسألة لا يعطى المشروعية ، فالشرع ما صح عن اللّه وعن رسوله ﷺ ، وأهل هذا الزمان لم ينقادوا إلى شرعه وإلى حكمه وإلى تطبيقه ، فرادى وجماعات ، ويستثنى من هذا ما كان فيه مصلحة للمسلم ، كالصور الطبية وغيرها ، مما يحتاج إليه ويضطر إليه ، وما سوى ذلك فهو داخل فى المضاهاة كما أخبر سيد الأولين والآخرين وإمام المتقين وقائد الغر المُحجّلين ﷺ .

---

(١) أخرجه مسلم [٩٦٩] ، والترمذى [١٠٤٩] ، وأبو داود [٣٢١٨] .

موقف الإمام مالك من الشؤم والتطير

لا شك أن الإمام مالكًا رحمه اللَّه من أكمل الناس عقيدة ، ودعوته فى موطئه إلى تصحيح العقيدة واضحة ؛ ومن ذلك ما رواه فى موطئه :

عن ابن شهاب عن سالم وحمزة ابنى عبد اللَّه بن عمر عن أبيهما أن رسول اللَّه ﷺ قال : « الشؤم فى الدار والمرأة والفرس »[1] .

إن عقيدة العرب كانت مبنية على أصل التطير والتشاؤم ، بل وعقيدة من قبلهم أيضًا كما حكى اللَّه عن آل فرعون لما تطيروا بموسى وأصحابه ، كما قال اللَّه تعالى عنهم : ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣٠﴾ فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُوا۟ لَنَا هَٰذِهِۦ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا۟ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ ۗ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣١﴾ ﴾ [الأعراف] .

وجاء الإسلام بمحاربة هذا الأصل الشركى الكبير الذى ابتدعه من ابتدعه ، والتطير مصدر : تطير يتطير ، والطِّيَرة أيضًا بكسر الطاء وفتح الياء ، وقد سكن مصدر ، تطير يقال : تطير طَيْرة ، وتخير خيرة . ولم يجئ من المصادر هكذا غيرهما ، وأصله فيما يقال التطير بالسوانح والبوارح من الطير والظباء وغيرهما ، وكان ذلك يصدهم عن مقاصدهم ، فإذا أرادوا أمرًا ، فإنْ رأوا الطير مثلًا طار يُمنةً تيمنوا به ، وإن طار يسرة تشاءموا به ، فنفاه الشرع وأبطله ، ونهى عنه ، وأخبر أنه ليس له تأثير فى جلب نفع أو دفع ضر . قال المدائنى : سألت رؤبة ابن العجاج : ما السانح ؟ قال : ما ولّاك ميامنه ، قلت : فما البارح ؟ قال : ما ولّاك مياسره . قال : والذى يجيء من أمامك فهو الناطح والنطيح ، والذى يجيء من خلفك هو القاعد والقعيد .

---

(١) رواه مالك فى الموطأ [كتاب الاستئذان/٢٢] ، والبخارى [٥٧٧٢] ، ومسلم [٢٢٢٥] .

واعلمْ أنَّ من كان مُعتنيًا به قابلًا له ؛ كانت إليه أسرع من السيل إلى منحدره ، وتفتحت له أبواب الوساوس فيما يسمعه ويراه ويعطاه ، ويَفتح له الشيطان فيها من المناسبات ، والقرينة فى اللفظ والمعنى ما يفسد عليه دينه ، وينكد عليه عيشه ، فالواجب على العبد التوكل على اللّه ومتابعة رسوله ﷺ ، وأن يمضى لشأنه ، لا يرده شيء من الطيرة عن حاجته فيدخل فى الشرك .

ومع الأسف ، فبعد مجيء الإسلام ومحاربته للشرك وسبله ووسائله توسع الناس فى باب الطيرة ، فهذا يتطير بالألوان ، فمن رأى أسود فى بداية صباحه تطير به وعلم بأن يومه فيه نحس ، وهذا يتطير بخِلْقَة معينة ، كالأعور والأعمى والأجذم والأقرع ، وهذا يتطير بطيور معينة ؛ كالبومة وأنواع من الطيور فى كل مكان بحسبه ، فمن رأى بومة على سطح بيته علم بها أن البلاء سينزل به من موت أو غيره ، وهكذا يتطير بأصواتها حتى إنه حُكى أن عكرمة قال : كنا جلوسًا عند ابن عباس فمر طائر يصيح ، فقال رجل من القوم : خير خير . فقال ابن عباس : لا خير ولا شر . وخرج طاووس مع صاحب له فى سفر ، فصاح غراب فقال الرجل : خير . فقال : طاووس : وأىُّ خير عند هذا ؟! لا تصحبنى . وهذا باب واسع يطول استقراؤه ، وكل قوم لهم ما يتطيرون به ، وعلاج ذلك هو العلم النافع الذى يدعو إلى نبذ هذه الأصول الشركية التى خلفتها الجاهلية .

وأما ما ذُكر فى هذا الحديث من الشؤم فى هذه الثلاثة ، فقد أَنكرت عائشة رضى اللّه عنها ذلك وقالت : كذب والذى أنزل الفرقان على أبى القاسم ما حدث بها ، ولكن رسول اللّه ﷺ كان يقول : كان أهل الجاهلية يقولون : إن الطيرة فى المرأة والدار والدابة ، قرأت عائشة : ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾[1] .

---

(١) رواه أحمد فى المسند [٦/١٥٠، ٢٤٠، ٢٤٦] ، والحاكم [٢/٧٤٩] وقال : صحيح الإسناد ، وابن خزيمة كما فى الفتح [٦/١٥١] .

وقالت طائفة أخرى : لم يجزم النبى ﷺ الشؤم فى هذه الثلاثة ، بل علقه على الشرط كما ثبت ذلك فى الصحيح ، ولا يلزم من صدق الشرطية صدق كل واحد بمفردها ، قالوا : والراوى غلط .

قلت : لا يصح تغليطه مع إمكان حمله على الصحة ، ورواية تعليقه بالشرط لا تدل على نفى رواية الجزم .

وقالت طائفة أخرى : بالشؤم بهذه الثلاثة ، إنما يلحق من تشاءم بها ، فيكون شؤمها عليه ، ومن توكل على اللّه ولم يتشاءم ولم يتطير ؛ لم تكن مشؤومة عليه . قالوا : ويدل عليه حديث أنس : « الطيرة على من تطير »[1] ، وقد يجعل اللّه سبحانه تطير العبد وتشاؤمه سببًا لحلول المكروه ، كما يجعل الثقة به والتوكل عليه وإفراده بالخوف والرجاء من أعظم الأسباب التى يُدفع بها الشر .

وقال ابن القيم : إخباره بالشؤم فى هذه الثلاثة ليست فيه إثبات الطيرة التى نفاها اللّه ، وإنما غايته أن اللّه سبحانه قد يخلق أعيانًا ، منها مشؤومة على من قاربها وسكنها ، وأعيانًا مباركة لا يلحق من قاربها منها شؤم ولا شر ، وهذا كما يعطى سبحانه الوالدين ولدًا مباركًا ، يريان الخير على وجهه ، ويعطى غيرهما ولدًا مشؤومًا يريان الشر على وجهه ، وكذلك ما يعطاه العبد ولاية أو غيرها ، فكذلك الدار والمرأة والفرس ، واللّه سبحانه خالق الخير والشر ، والسُّعود والنحوس ، فيخلق بعض هذه الأعيان سعودًا مباركة ، ويقضى بسعادة من قاربها ، وحصول اليمن والبركة له ، ويخلق بعضها نحوسًا ينحس بها من قاربها ، وكل ذلك بقضائه وقدره ، كما خلق سائر الأسباب وربطها بمسبباتها المتضادة والمختلفة ، كما خلق المسك وغيره من الأرواح الطيبة ، ولذذ بها من قاربها من الناس ، وخلق ضدها

---

(١) رواه ابن حبان فى صحيحه [٦١٢٣] ، والطحاوى فى شرح معانى الآثار [٣١٤/٤] .

وجعلها سببًا لآلام من قاربها من الناس . والفرق بين هذين النوعين مُدرَك بالحس ، فكذلك فى الديار والنساء والخيل ، فهذا لون والطيرة الشركية لون[1] . انتهى .

ولهذا يشرع لمن استفاء زوجة أو أمة أو دابة أن يسأل اللَّه من خيرها وخير ما جبلت عليه ، ويستعيذ من شرها وشر ما جبلت عليه ، وكذلك ينبغى لمن سكن دارًا أن يفعل ذلك . ولكن يبقى على هذا أن يقال : هذا جَارٍ فى كل مشؤوم ، فما وجه خصوصية هذه الثلاثة بالذِكْر ؟ وجوابه أن أكثر ما يقع التطير فى هذه الثلاثة ؛ فخُصت بالذكر ؛ لذلك ذكره فى شرح السنن .

ومنها ما روى مالك عن يحيى بن سعيد قال : جاءت امرأة إلى رسول اللَّه ﷺ فقالت : يا رسول اللَّه ، دار سكناها ، والعَددُ كثير والمال وافر ، فقلَّ العدد وذهب المال . فقال النبى ﷺ : دعوها ذميمة . رواه أبو داود عن أنس بنحوه [2] .

وجوابه أن هذا ليس من الطيرة المنهى عنها ، بل أمرهم بالانتقال ؛ لأنهم استثقلوها واستوحشوا منها ؛ لما لحقهم فيها ليتعجلوا الراحة مما دخلهم من الجزاء ؛ لأن اللَّه قد جعل فى غرائز الناس استثقال ما لهم الشرُّ فيه ، وإن كان لا سبب له فى ذلك ، وحبب من جرى على يديه الخير لهم ، وإن لم يردهم به ، ولأن مقامهم فيها قد يقودهم إلى الطيرة فيوقعهم ذلك فى الشرك ، والشر الذى يلحق المتطير بسبب طيرته ، وهذا بمنزلة الخارج من الدار التى تتوالى عليهم فيها المصائب والمحن ، وتعذّر الأرزاق مع سلامة التوحيد فى الرحلة ؛ لَلَزِم كل من ضاق عليه رزقٌ فى بلد أو قلة فائدة صناعته أو تجارته فيها ، ألا ينتقل منها إلى غيرها . وهذا باب واسع وردت فيه أدلة ونصوص كثيرة وليس هذا محل بسطها واستقرائها ؛ لأن الذى يهمنا من هذا الإشارة إلى أن مالكًا رحمه اللَّه أدخل فى موطئه كثيرًا من أحاديث العقيدة على اختلاف تنوعها ، فرحمة اللَّه عليه وعلى إخوانه المسلمين .

---

(١) مفتاح دار السعادة [٣/٣٤٢] .

(٢) رواه مالك فى الموطأ [الاستئذان/٢٣] بسند مرسل ، وأبو داود [٣٩٢٤] .

موقف الإمام مالك ممن يستسقى بالنجوم

لا شك أن الإمام رضى اللّه عنه كان يحارب الشرك صغيره وكبيره ، ولا يرضى بشعرة منه ، وهو يعرف خطره على أمة محمد ﷺ ؛ فلهذا يسوق لنا فى موطئه ما يبعدنا عن الشرك وفروعه .

وينبغى أن يُعلم أن الاستسقاء ، أى : نسبة السُّقْيا ، ومجىء المطر إلى النجوم والأنواء ؛ وهو نوعان كما جاء فى تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد :

أحدهما : أن يعتقد أن الـمُنْزِل للمطر هو النجم ، فهذا كفر ظاهر ، إذ لا خالق إلا اللّه ، وما كان المشركون هكذا ، بل كانوا يعلمون أن اللّه هو الـمُنْزِل للمطر ، كما قال تعالى : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾ [العنكبوت : ٦٣] .

ومن اعتقد أن النجم يُنْزل المطر فهو كافر .

الثانى : أن ينسب إنزال المطر إلى النجم ، مع اعتقاده أنَّ اللّه تعالى هو الفاعل لذلك ، المنزل له ، إلا أنه سبحانه وتعالى أجرى العادة بوجود المطر عند ظهور ذلك النجم ، فحكى ابن مفلح خلافًا فى مذهب أحمد فى تحريمه وكراهته ، وصرح أصحاب الشافعى بجوازه ، والصحيح أنه محرم ؛ لأنه من الشرك الخفى ، وهو الذى أراده النبى ﷺ وأخبر أنه من أمر الجاهلية ونفاه وأبطله ، وهو الذى كان يزعم المشركون ، ولم يزل موجودًا فى هذه الأمة إلى اليوم . وأيضًا فإن هذا من النبى ﷺ حماية لجناب التوحيد وسد لذرائع الشرك ولو بالعبادات الموهمة التى لا يقصدها الإنسان ، كما قال لرجل قال له : ما شاء اللّه وشئت . قال : « أجعلتنى للّه نِدًّا بل ما شاء اللّه وحده »[1] .

---

(١) كتاب تيسير العزيز الحميد [ص : ٤٥٤] . والحديث رواه أحمد [٢١٤/١] ، والبخارى فى الأدب المفرد [٧٨٣] ، وابن ماجه [٢١١٧] .

وإليك ما رواه مالك فى هذا الموضوع :

عن صالح بن كيسان عن عبيد الله ابن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن زيد ابن خالد الجهنى أنه قال : صلى لنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية على إثر سماء كانت من الليل ، فلما انصرف أقبل على الناس فقال : « أتدرون ماذا قال ربكم ؟ » .

قالوا : الله ورسوله أعلم .

قال : قال : « أصبح من عبادى مؤمن بى وكافر بى ؛ فأما من قال : مطرنا بفضل الله ورحمته ؛ فذلك مؤمن بى كافر بالكوكب ، وأما من قال : مطرنا بنوء كذا وكذا ؛ فذلك كافر بى مؤمن بالكوكب » [1] .

---

(١) رواه مالك فى الموطأ [كتاب الاستسقاء/٤] .

النهى عن سب الدهر

روى مالك عن أبى الزناد عن الأعرج عن أبى هريرة أن رسول اللّه ﷺ قال : « لا يقل أحدكم : يا خيبة الدهر ، فإن اللّه هو الدهر »[1] .

التعليق : هذا من النصوص التى تثبّت عقيدتنا وتطرد عنا كل ما يفسدها . وحديث سب الدهر يشير إلى قضية قديمة جاهلية ، ذكرها اللّه تعالى فى كتابه فى قوله : ﴿ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ ﴾ [الجاثية : ٢٤] . قال الحافظ ابن كثير فى تفسيره : يخبر تعالى عن قول الدهرية من الكفار ومَنْ وافقهم من مشركى العرب فى إنكار المعاد ، ﴿ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا ﴾ ، أى : ما ثمَّ إلا هذه الدار يموت قوم ويعيش آخرون ، وما ثمَّ معاد ولا قيامة ، وهذا يقوله مشركوا العرب المنكرون للمعاد ويقوله الفلاسفة الإلهيون منهم ، وهم ينكرون البداءة والرجعة . وتقوله الفلاسفة الدهرية المنكرون للصانع ، المعتقدون أن فى كل ستة وثلاثين ألف سنة يعود كل شىء إلى ما كان عليه ، وزعموا أن هذا قد تكرر مرات لا تتناهى ، فكابروا المعقول وكذبوا المنقول ، ولهذا قالوا : ﴿ وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ ﴾ ، ويسبون الدهر . فقال اللّه عز وجل : « يوذينى ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر ، بيدى الخير أُقلب الليل والنهار »[2] .

فإن قلت : فأين مطابقة الآية للحديث إذا كانت خبرًا عن الدهرية المشركين ؟ قيل : المطابقة ظاهرة ؛ لأن من سب الدهر فإنما شاركهم فى سبه ، وإن لم يشاركهم فى الإعتقاد . أفاده فى تيسير العزيز الحميد .

قال الشافعى فى تأويله واللّه أعلم : إن العرب كان من شأنها أن تذم الدهر وتسبه عند المصائب التى تنزل بهم من موت أو هرم أو تلف أو غير ذلك ، فيقولون : إنما يهلكنا

---

(١) رواه مالك فى الموطأ [كتاب الكلام/٣] ، والبخارى [٦١٨١] ، ومسلم [٢٢٤٦] .

(٢) تفسير ابن كثير [١٤١/٤] والحديث أخرجه البخارى [٤٨٢٦] ، ومسلم [٢٢٤٦] .

.....

الدهر وهو الليل والنهار ، ويقولون : أصابتهم قوارع الدهر وأبادهم ، فيجعلون الليل والنهار يفعلان الأشياء ، فيذمون الدهر بأنه الذى يفنيهم ويفعل بهم .

فقال رسول اللّه ﷺ : « لا تسبوا الدهر » ، على أنه الذى يفنيكم والذى يفعل بكم هذه الأشياء ؛ فإنكم إذا سببتم فاعل هذه الأشياء ، فإنما تسبون اللّه تبارك وتعالى ، فإنه فاعل هذه الأشياء . انتهى .

قال الشيخ سليمان بن عبد اللّه بن محمد بن عبد الوهّاب شارح كتاب جده ؛ كتاب التوحيد ، وهو من أنفس الكتب التى كُتبت فى العقيدة السلفية الحقة ، قلت : والظاهر أن المشركين نوعان :

أحدهما : من يعتقد أن الدهر هو الفاعل فيسبه ، لذلك فهؤلاء هم الدهرية .

والثانى : من يعتقد أن المدبر للأمور هو اللّه وحده لا شريك له ، ولكن سب الدهر لما يجرى عليهم فيه من المصائب والحوادث ، فيضيفون ذلك إليه ، من إضافة الشىء إلى محله ، لا لأنه عندهم فاعل ذلك .

والحديث صريح فى النهى عن سب الدهر مطلقًا سواء اعتقد أنه فاعل ذلك أو لم يعتقد ذلك ، كما يقع كثيرًا ممن يعتقد الإسلام ، كقول ابن المعتز :

يا دَهْرُ ويحكَ ما أَبقيتَ لى أحدًا ... وأنتَ والـدُ ســوءٍ تأكلُ الولـدَا

وقول أبى الطيب :

قُبحًا لوجْهِـكَ يا زمـــانُ إنه ... وَجْـهٌ له مِن كلِّ قُبـحٍ بُرقـعُ

وقول الطرفى :

إن تُبتـلى بلئـــامِ النـاسِ يرفعهم ... عليك دَهرٌ لأهلِ الفَضْلِ قَد خَانَا

وقول الحريرى :

ولا تَأْمنُ الدهـرَ الخَدوعَ ومَكْرَه ... فكمْ خامـلٍ أخنى عليـه وَنابَه

ونحو ذلك كثير ، وكل هذا داخل فى الحديث ، قال ابن القيم : وفى هذا ثلاث مفاسد عظيمة :

.....

أحدها : سبه من ليس أهلًا للسب ، فإن الدهر خلق مسخر من خلق اللَّه منقاد لأمره متذللٌ لتسخيره ، فسابه أولى بالذم والسب منه .

والثانية : أن سبه متضمن للشرك ، فإنه إنما سبه لظنه أنه يضر وينفع ، وأنه مع ذلك ظالم قد ظلم من لا يستحق العطاء ، ورفع من لا يستحق الرفعة ، وحرم من لا يستحق الحرمان ، وهو عند شاتميه من أظلم الظلمة ، وأشعار هؤلاء الظلمة الخونة فى سبه كثيرة جدًّا ، وكثير من الجهال يصرح بلعنه وتقبيحه .

والثالثة : أن السب منهم إنما يقع على من فعل هذه الأفعال التى لو اتبع الحق فيها أهواءهم لفسدت السموات والأرض ، وإذا وافقت أهواءهم حمدوا الدهر وأثنوا عليه ، وفى حقيقة الأمر فربُّ الدهر هو المعطى المانع ، الخافض الرافع ، المعز المذل ، والدهر ليس له من الأمر شىء ، فمسبتهم الدهر مسبة للَّه عز وجل ، ولهذا كانت مؤذية للرب تعالى ، فساب الدهر دائر بين أمرين لا بد له من أحدهما ، إما مسبة اللَّه أو الشرك به ، فإنه إن اعتقد أن الدهر فاعل مع اللَّه ؛ فهو مُشرك ، وإن اعتقد أن اللَّه وحده هو الذى فعل ذلك ، وهو يسب من فعله ؛ فهو يسب اللَّه تعالى[1] . انتهى .

وأشار ابن أبى جمرة : إلى أن النهى عن سب الدهر تنبيه بالأعلى على الأدنى ، وأن فيه إشارة إلى ترك سب كل شىء مطلق ، إلا ما أذن الشرع فيه ؛ لأن العلة واحدة [2] .

قلت : هكذا نتلقى التربية العقدية من كتاب اللَّه ومن سنة رسوله صلى اللَّه عليه وسلم ، فننسب الأمور إلى أهلها ولا نتعسف ولا نحرّف أمرًا فننسبه إلى من ليس له به علاقة ، فالليل والنهار ، والشمس والقمر ، والسموات والأرض ، أتوا طائعين للَّه تحت أمره وتسخيره والخير كله بيده والشر ليس إليه ، فمن نسب للدهر خيرًا أو شرًّا فقد ظلم اللَّه فى حقه واتهم من ليست له جريرة بذنب عظيم ، وهذه العقيدة الباطلة

---

(١) تيسير العزيز الحميد [ص : ٦١٠] .

(٢) فتح البارى [٢٠٦/١٢] .

مع الأسف قد تسربت إلى المسلمين فى كل زمان ومكان ، فتجدهم يكثرون من شتم الليالى والنهار ، ومن سب الساعات والصباح والمساء ، واتهام الأزمان بالنحس والعقاب والموت والكوارث والمصائب ، ويكثرون من سب الريح والحر والبرد وغير ذلك ، بل أدى بهم الأمر إلى تحين مواسم معينة زمنية إلى فعل الكثير من المناسبات ، بزعم أن فى هذا اليوم سعدًا وفى الآخر نحسًا ، فيجب على دعاة العقيدة الصحيحة أن يحاربوا هذه الظواهر الاجتماعية الباطلة ، وأن يعلّموا المسلمين التوحيد الحقيقى ، من نِسْبةِ الخير إلى مولاه ، وأن كل حركة وسكنة فى الكون هى له ، وصادرة عن أمره ، وكائنة فى قدره ، وكل ذلك بعلمه ، فلا حول ولا قوة إلا به ، فرحمة اللّه على مالك إذ يعلمنا هذه العقائد الطيبة التى نفلح بها وننجح ، ونخسر ونهلك إن خالفناها .

ما رواه مالك فى موطئه
من النهى عن الحلف بغير الله

روى عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ أدرك عمر بن الخطاب وهو يسير فى ركب ، وهو يحلف بأبيه ، فقال رسول الله ﷺ : « إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم ، فمن كان حالفًا فليحلف بالله أو ليصمت » (١) .

التعليق : والحديث ظاهر فى النهى عن الحلف بالآباء ، ومثله الحلف بالنبى والكعبة وبالشَّرَف وبالطعام ، وما يسمى بالأولياء والصالحين وغير ذلك ، مما هو واقع فى هذه المجتمعات التى لا تقرأ موطأ مالك ، ولكنها تتمسح باسم مالك ، فمالك أورد هذه الأحاديث فى موطئه لنصيحة الأمة فى عقيدتها أولاً وفى عبادتها ثانيًا .

فالحلف بغير الله فسّره ابن عباس رضى الله عنه فى قوله تعالى : ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة : ٢٢] ، قال الشيخ محمد بن عبد الوهّاب فى كتابه العظيم ، الذى لم يؤلف مثله فى بابه : قال ابن عباس فى الآية : الأنداد هو الشرك أخفى من دبيب النمل على صَفاة سوداء فى ظلمة الليل ، وهو أن تقول : والله وحياتك يا فلان ، وحياتى . وتقول : لولا كَلْبةُ هذا لأتانا اللصوص . ولولا البَطُّ فى الدار لأتانا اللصوص ، وقول الرجل لصاحبه : ما شاء الله وشئت . وقول الرجل : لولا الله وفلان ، لا تجعل فيها فلانًا ، هذا كله شرك . رواه ابن أبى حاتم (٢) .

وقد روى عمر بن الخطاب رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « من حلف بغير الله فقد كفر وأشرك »(٣) ، رواه الترمذى وحسنه وصححه الحاكم .

---

(١) ذكره ابن عبد البر فى التمهيد [٣٦٦/١٤] . ورواه مالك فى الموطأ [كتاب النذور/١٤] ، والبخارى [٦٦٤٦] ، ومسلم [١٦٤٦] .

(٢) ذكره ابن كثير [٨٧/١] وسنده حسن ، وابن أبى حاتم [٢٣٠] .

(٣) رواه الترمذى [١٥٣٥] ، والحاكم [٢٩٧/٤،١٨/١] ، وأبو داود [٣٢٥١] وصححه الشيخ الألبانى .

وقال كعب : إنكم تشركون فى قول الرجل كلا وأبيك ، كلا والكعبة ، كلا وحياتك ، وأشبه هذا ، احلف بالله صادقًا أو كاذبًا ، ولا تحلف بغيره [1] ، رواه ابن أبى الدنيا فى الصمت أفاده الشيخ سليمان فى التيسير [2] .

وأجمع العلماء على أن اليمين لا تكون إلا بالله أو بصفاته ، وأجمعوا على المنع بالحلف بغيره ، قال ابن عبد البر : لا يجوز الحلف بغير الله بالإجماع . انتهى .

ولا اعتبار بمن قال من المتأخرين : إن ذلك على سبيل كراهة التنزيه ، فإن هذا قول باطل وكيف يقال ذلك لما أطلق عليه الرسول ﷺ أنه كفر أو شرك ، بل ذلك مُحرَّم ، ولهذا اختار ابن مسعود رضى الله عنه أن يحلف بالله كاذبًا ولا يحلف بغيره صادقًا [3] ، فهذا يدل على أن الحلف بغير الله أكبر من الكذب مع أن الكذب من المحرمات فى جميع الملل ، فدل ذلك على أن الحلف بغير الله من أكبر المحرمات .

وقد أخذ طائفة من العلماء بظاهر الحديث الذى فيه : « فقد كفر أو أشرك » فقالوا : يكفر من حلف بغير الله كفر شرك ، قالوا : ولهذا أمره النبى ﷺ بتجديد إسلامه يقول : لا إله إلا الله ، فلولا أنه كُفْر ينقل عن الملة لم يؤمر بذلك . وقال الجمهور : لا يكفر كفرًا ينقله عن الملة ، لكنه من الشرك الأصغر كما نص على ذلك ابن عباس وغيره ، أما كونه أمر من حلف باللات والعُزّى أن يقول : لا إله إلا الله ؛ فلأن هذا كفارة له ، مع استغفاره ، كما قال فى الحديث الصحيح : « ومن حلف فقال فى حلفه : واللات والعزى ، فليقل : لا إله إلا الله »[4] ، وفى رواية فليستغفر . فهذا كفارة له فى كونه تعاطى صورة تعظيم الصنم ، حيث حلف به ، لا أنه لتجديد إسلامه ، ولو قدر ذلك فهو تجديد لإسلامه لنقصه بذلك لا لكفره ، لكن الذى يفعله عباد القبور إذا طلبت من أحدهم اليمين بالله أعطاك ما شئت من الأيمان

---

(١) أخرجه ابن أبى الدنيا فى كتاب الصمت [ص : ٦٣] .

(٢) تيسير العزيز الحميد [٥٩٤] .

(٣) رواه عبد الرزاق فى المصنف [٤٦٩/٨] ، والطبرانى فى الكبير [٨٩٠٢] ، وقال الهيثمى فى المجمع : رواته رواة الصحيح .

(٤) رواه البخارى [٦٦٥٠] ، ومسلم [١٦٤٧] عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه .

صادقًا أو كاذبًا ، فإذا طلبت منه اليمين بالشيخ أو تربته أو حياته ونحو ذلك ؛ لم يَقْدُم على اليمين إن كان كاذبًا . فهذا شرك أكبر بلا ريب ؛ لأن المحلوف به عنده أخوف وأجل وأعظم من الله ، وهذا ما بلغ إليه شرك عُبّاد الأصنام ؛ لأن جهد اليمين عندهم هو الحلف بالله كما قال تعالى : ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ ﴾ [النحل : ٣٨] ، فمن كان جهد يمينه الحلف بالشيخ أو بحياته أو تربته ، فهو أكبر شركًا منهم ، فهذا هو تفصيل القول فى هذه المسألة [١] .

(١) تيسير العزيز الحميد [٥٩٤] .

الشفاعة فى موطأ مالك

تواترت الشفاعة عند أئمة الحديث وتواردها أصحاب الصحاح والسنن والمسانيد ، وأجمع عليها أهل السنة والجماعة قاطبة ، ولم ينكرها إلا حثالة الخوارج والمعتزلة الذين أَصَّلُوا أصولاً فاسدة تصادم الوحيين القرآنى والنبوى ، والإمام مالكٌ يرد هذه الأصول الفاسدة بما جاء عن اللّه وعن رسوله ، وليعلم أن الشفاعة نوعان : مثبتة ومنفية .

فالمنفية : ما تظاهرت بها الآيات القرآنية فى الرد على المشركين الذين نسبوا الشفاعة لأصنامهم وأوثانهم : ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ... ﴿٢٣﴾ ﴾ [سبأ] .

﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ﴾ [البقرة : ٢٥٥] .

فشفاعة المقبورين لعبّادهم ، لا فرق بينها وبين شفاعة عُبّاد الأصنام ، فكل من ظن أن مقبورًا يشفع له عند اللّه ويتوسط له عنده ، فهذا لا شك فى شركه ، بإجماع العلماء ، وهذه هى التى حاربها القرآن ، ومع الأسف فإننا نسمع ونقرأ كثيرًا من الأشعار والمأثورات المملوءة بالشفاعة الشركية ، وعلماء الوقت يُقرّون ذلك ويؤيدونه ، وربما يدللون له ، فالشفاعة لله وحده لا يملكها غيره ، كما هو صريح القرآن . ورسول اللّه ﷺ غدًا يوم القيامة شفاعته مربوطة بإذن من اللّه ، كما هو مفصّل فى حديث الشفاعة الطويل . وأنه يأتى إلى العرش فيحمد ربه بمحامد لا يعرفها فى الدنيا ، فيأذن اللّه له فيقال له : سل تعطه واشفع تشفع فشفاعته فى الدنيا تَطلب من اللّه تعالى أن يشفع فى الآخرة . اللّهُمَّ شَفِّع فينا نبيك وخيار خلقك[1] .

---

(١) الموطأ [٩٨/١] . وحديث الشفاعة أخرجه البخارى [٧٤١٠] ، ومسلم [١٩٣] عن أنس .

روى مالك عن أبى الزناد عن الأعرج عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « لكل نبى دعوة يدعو بها ، فأريد أن أختبئ دعوتى شفاعة لأمتى فى الآخرة »[1] .

(١) رواه مالك فى الموطأ [كتاب القرآن/٢٦] ، وأخرجه البخارى [٦٣٠٤] ، ومسلم [١٩٨] .

إخلاص الدعاء لله من كمال التوحيد

جاء رسول اللَّه ﷺ ليُعلّم أمته التوحيد فى أقوالها وأفعالها وجوارحها وقلوبها ، ومن أعظم كمال التوحيد إخلاص الدعاء لله وعدم شركه بغيره فيه ، فمن أشرك به فى دعائه أو أخلصه لغيره أَوْكَلَه إلى نفسه ، وقد شارك الإمام مالك فى موطئه بروايات عن رسول اللَّه ﷺ فى الدعاء وآدابه ، وهذا إن دل على شىء فإنما يدل على اهتمامه بالعقيدة الصحيحة . والدعاء نوعان : دعاء مسألة ، ودعاء عبادة ، وبكلٍّ جاءت النصوص عن اللَّه وعن رسوله ، فقال اللَّه تعالى : ﴿ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ﴾ [الأعراف : ٥٥] ، ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [غافر : ٦٠] .

وفى الترمذى من حديث النعمان بن بشير رضى اللَّه عنه عن النبى ﷺ قال : « الدعاء هو العبادة »[1] .

روى مالك عن أبى الزناد عن الأعرج عن أبى هريرة أن رسول اللَّه ﷺ قال : « لا يقل أحدكم إذا دعا : اللَّهُمَّ اغفر لى إن شئت ، اللَّهُمَّ ارحمنى إن شئت ، ليعزم المسألة ؛ فإنه لا مكره له »[2] .

وروى أيضًا عن ابن شهاب عن أبى عبيد مولى ابن أزهر عن أبى هريرة أن رسول اللَّه ﷺ قال : « يستجاب لأحدكم ما لم يعجل ، فيقول دعوت فلم يستجب لي »[3] .

---

(١) روا الترمذى [٣٢٤٧، ٣٣٧٢] ، وأبو داود [١٤٧٩] ، وابن ماجه [٣٨٢٨] .

(٢) رواه مالك فى الموطأ [كتاب القرآن/٢٨] ، والبخارى [٦٣٣٩] ، ومسلم [٢٦٧٩] .

(٣) رواه مالك فى الموطأ [كتاب القرآن/٢٩] ، والبخارى [٦٣٤٠] ، ومسلم [٢٧٣٥] .

التعليق : هكذا يعملنا رسول اللّه ﷺ أن نتأدب مع خالقنا ومعبودنا ، وألا نقيسه بالمخلوق ، وألا نخاطبه بخطابنا للمخلوق ، فنقول له : إن شئت فافعل ، ونعلق إجابته بمشيئة ، فهذه قلة أدب مع اللّه وجهل بعظمته وقدرته ، ولو قدرناه حق قدره ما قلنا ذلك ، فنحن عبيده وفقراؤه ، وحاجتنا إليه لا تنقضى ولا تنتهى ، فكيف وحياتنا وموتنا بيده سبحانه ، لا إله إلا هو .

موقف الإمام مالك من الشيعة

جاء فى الصارم المسلول : وقال مالك رضى اللّه عنه : إنما هؤلاء أقوام أرادوا القدح فى النبى عليه الصلاة والسلام ، فلم يمكنهم ذلك فقدحوا فى أصحابه حتى يقال : رجل سوء ، ولو كان رجلًا صالحًا لكان أصحابه صالحين[1] .

وجاء فيه أيضًا : قال مالك : من شتم النبى ﷺ قُتل ، ومن سَبّ أصحابه أُدِّب .

التعليق : ما أصدق هذا القول من هذا الإمام فى هؤلاء الأراذل الذين سَخّروا ألسنتهم ودماءهم وأجسادهم وأقلامهم فى شتم أصحاب رسول اللّه ﷺ ، ويعتبرون أن هذا الأمر شرط من شروط الإيمان ، فلا يتم إيمان أحدهم ، بل لا يبدأ إيمان أحدهم ، إلا بهذه العقيدة السفيهة ، وشبابنا – أى شباب أهل السنة – لبعدهم عن قراءة ما يكتبه الشيعة ، ولبعد أسماعهم وعدم الاختلاط بهم فى بعض المجتمعات البعيدة عنهم ؛ يعتبرونهم الأخوة الصادقين ، وينادون فى كل مكان بالتقارب مع الشيعة ، وينسون هذه المواقف العظيمة التى سجلها أئمتنا رضوان اللّه عليهم ، فهذا هو الإمام مالك يبين لنا فى هذه القولة الخَطَّ الواضح الشنيع للشيعة ، وأنهم لا يقصدون صحابة رسول اللّه ﷺ ، ولكن القصد بالضبط هو النبى ﷺ ، لكن جبنهم وخوفهم من سطوة أهل السنة والجماعة يجعلهم يتنازلون عن الإمام الأكبر إلى أصحابه ، وهذا الخط الباطنى منذ بدايته إلى يومنا هذا لا يخفى إلا على مغفل جاهل بحال هؤلاء الأراذل زراعة اليهود والمجوس وثمارهم ، ومن رأيته يحب هذا الخط ويعززه ويثنى عليه ، فاعلم أن فى قلبه مرضًا ، نسأل اللّه العافية .

---

(١) كتاب الصارم المسلول [ص : ٥٨٠] .

وقال عبد الملك بن حبيب : من غلا من الشيعة فى بغض عثمان والبراءة منه أُدِّب أدبًا شديدًا ، ومن زاد إلى بغض أبي بكر وعمر فالعقوبة عليه أشد ، ويكرر ضربه ، ويطال سجنه حتى يموت[1] .

التعليق : فهذا مالك رحمه اللّٰه وأصحابه يُبيّنون لنا جزاء شاتم الصحابة ؛ بأنه هو الضرب والإهانة والسجن ، إن تمادى على ذلك ، حتى يكفى شره ولا يُؤذِى المسلمين بشتم أصحاب رسول اللّٰه ﷺ ، فهذا هو الخط السلفى الصحيح ، والمنهاج الثابت الذى لا مرية فيه ، فعليك بهذا ولا تَبْغِ بغيره بديلًا .

(١) كتاب الصارم المسلول [ص : ٥٦٩] .

وجاء فى المدارك للقاضى عياض : كنا عند مالك ، إذْ وقف عليه رجل من العلويين ، وكانوا يُقْبلون على مجلسه ، فناداه: يا أبا عبد اللّه ، فأشرف له مالك ولم يكن إذا ناداه أحد يجيبه أكثر من أن يشرف برأسه ، فقال له الطالبى : إنى أريد أن أجعلك حجة فيما بينى وبين اللّه إذا قدمت عليه وسألنى ، قلت : مالك ؟ قال : لى !

فقال له : قل .

قال : مَنْ خير الناس بعد رسول اللّه ﷺ ؟

قال : أبو بكر .

قال العلوى : ثم من ؟

قال مالك : ثم عمر .

قال العلوى : ثم من ؟

قال : الخليفة المقتول ظلمًا عثمان .

قال العلوى : لا أجالسك أبدًا .

قال له مالك : الخيار إليك[1] .

التعليق : انظر رحمك اللّه حالة القرون الأولى المفضَّلة ، التى كانت فيها أَعلامُ السنة منشورة ، وهى أرضها وسماؤها ، ومع ذلك تجد أمثال هؤلاء المشاغبين ، الذين ينازعون مثل هذا الإمام ، ويتوقحون عليه بهذه الوقاحات الخسيسة ، والمهم عندنا خط الإمام الواضح الذى يسوره بالكتاب والسنة ، ويلتزم به ، رضى زيدٌ أم غضب عمرو ، وهكذا ينبغى لكل سلفى قرأ هذه المواقف .

---

(١) ترتيب المدارك [١/١٧٤-١٧٥] .

وجاء في المدارك أيضًا : قال مصعب الزبيرى وابن نافع : دخل هارون الرشيد المسجد ، فركع ثم أتى قبر النبى ﷺ ، ثم أتى مجلس مالك فقال : السلام عليك ورحمة اللّه وبركاته ، فقال مالك : وعليك السلام يا أمير المؤمنين ورحمة اللّه وبركاته . ثم قال لمالك : هل لمن سب أصحاب النبى ﷺ فى الفىء حق ؟ قال : لا ، ولا كرامة . قال : من أين قلت ذلك ؟ قال : قال اللّه تعالى : ﴿ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ﴾ [الفتح : ٢٩] ، فمن عابهم فهو كافر ، ولا حق للكافر فى الفىء ، واحتج مرة أخرى . بقوله تعالى : ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ... ﴾ الآيات [الحشر : ٨-١٠] ، قال : فهم أصحاب رسول اللّه ﷺ الذين هاجروا معه ، وأنصاره الذين جاءوا من بعده يقولون : ﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ... ﴾ [الحشر : ١٠] الآية [1] .

فما عدا هؤلاء فلا حق لهم فيه [2] .

التعليق : انظر ، وفقك اللّه ، إلى هذه الفتوى الصريحة الصادرة من هذا الإمام ، والـمُستفتِى هو أمير المؤمنين فى وقته ، وعلماء المسلمين يحيطون به فى كل الأمصار ، فهذه الفتوى تعتبر بمنزلة مرسوم من خليفة المسلمين إلى بقية المسلمين في أنحاء أمصار المسلمين ، وهى بالنسبة للمسلمين الذين يأتون بعد هذا العهد حجة ومنهاج ، ففَهْم هؤلاء هو الفهم الصحيح النابع من فقه الكتاب والسنة ، فالإمام مالك يلحق الشيعة فى هذه الفتوى بالكفار الذين يغتاظون من مناقب أصحاب رسول اللّه ﷺ ، ولا يقف الأمر عند هذا الحد ، بل كما قدمنا غير ما مرة ، وهو واقع يُعاش ، أن تصب كل اللعنات على صحابة رسول اللّه ﷺ ، وكل من ذكرهم بخير فهو عدو لدود لهذه البِرذمة ، قبحهم اللّه أينما حلوا أو ارتحلوا .

---

(١) ترتيب المدارك [١/١٧٤] .

(٢) المصدر السابق .

موقفه من بدعة الجهمية وفروخهم

هذا الفصل من أهم الفصول فى هذه الرسالة ، وقد أشبعه الإمام مالك رحمه اللّه قولاً وعملاً ، وروى فى موطئه أحاديث كثيرة تنبئ على أن الإمام كان مُشبعًا بعقيدة السلف الصالح ، خلاف ما يذكره الجهلة بسنة رسول اللّه ﷺ عامة ، وبموطئه خاصة ، زعموا أن مالكًا لم يرو فى موطئه أحاديث الصفات مثلما فعله غيره ؛ كالآجرى وابن خزيمة والبيهقى ، وهذا ينبئ عن جهل عظيم ،وقد نقل هذه الفكرة القرطبى فى أسناه وفرح بها وروّج لها .

وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية القائلين بذلك فى فتاواه ، وبيّن بطلان هذا الزعم .

وقد ذكرت فى هذا البحث نماذج كثيرة توقف القارئ على أحاديث الصفات فى موطأ مالك ، وسنبدأ بأقواله ثم نأتى إلى ذكر الأحاديث ، مستعينين باللّه متوكلين عليه ، لا حول لنا ولا قوة إلا به ، وهو حسبنا ونعم الوكيل .

جاء فى جامع بيان العلم وفضله : وقال مالك : أرأيت إن جاء من هو أَجْدلُ منه ، أيدع دينه كل يوم لدين جديد ؟ (١)

التعليق : هكذا حالة الكلاميين والفلاسفة ، يتنقلون من رأى إلى رأى ، ومن فكرة إلى أخرى ، ومن عقيدة إلى أخرى تملأ قلوبهم الشكوك وظلمات الجهل بعضها فوق بعض ، بخلاف المتمسك بعقيدة السلف ، فالنور يملأ قلبه ، واليقين والبصيرة ركيزته ومنهاجه ، نصوص يقرؤها ويعتقد محتواها ، لا تبديل ولا تغيير ؛ لأن منهاج النبوة لا جدال فيه ولا مناقشة ، وإنما منهاج أهل اليونان فيدرس الرجل فيه أكثر من خمسين سنة ، ثم يعلنها صراحة أنه ما استفاد شيئًا ، وإنما جمع قيل وقالوا ويعلن أنه يموت على عقيدة العجائز ، نسأل اللّه السلامة والعافية .

---

(١) جامع بيان العلم وفضله [٢/٩٥] .

وروى ابن عبد البر فى جامع بيان العلم وفضله بالسند إلى مصعب بن عبد اللّه الزبيرى قال : كان مالك بن أنس يقول : الكلام فى الدين أكرهه ، ولم يزل أهل بلدنا يكرهونه وينهون عنه نحو الكلام فى رأى جهم والقدر ، وكل ما أشبه ذلك ، ولا أحب الكلام إلا فيما تحته عمل ، فأما الكلام فى دين اللّه وفى اللّه عز وجل فالسكوت أحب إلى ؛ لأنى رأيت أهل بلدنا ينهون عن الكلام فى الدين إلا فيما تحته عمل[1] .

التعليق : هكذا يحكى الإمام مالك عن نفسه وعن علماء أهل المدينة ؛ أنهم ينبذون الآراء الجهمية والقدرية وكل ما كان مماثلا لها ؛ لأن الكلام فى اللّه وفى صفاته وفى أفعاله وفى قضائه وقدره ؛ مستندة عند مالك وعند علماء المدينة والسلف الصالح قاطبة على النصوص من الكتاب والسنة ، وأما الجدال الفارغ الذى مستنده الظن والتخمين فالعقلاء يرغبون عنه ويحذرون منه ، وهذا الباب ليس كبقية أبواب العلم ، فلا يُدرك بقياس ولا استحسان ، ولا بفكرة زيد وعمرو ، وإنما هو النص الواضح ، والخطأ فيه ليس كالخطأ فى بقية أبواب العلم ، وإنما هو خطأ فى اللّه وفى ذاته وأسمائه وصفاته .

---

(١) جامع بيان العلم وفضله [٢/٩٤] .

وفي جامع بيان العلم وفضله : بالسند إلى أبي عبد اللّه محمد بن أحمد بن إسحاق ابن خويز منداد المصرى المالكى قال فى كتاب الإجارات من كتابه في الخلاف : قال مالك : لا تجوز الإجارات فى شيء من كتب الأهواء والبدع عند أصحابنا ، هى كتب أصحاب الكلام من المعتزلة وغيرهم ، ونفسخ الإجارة فى ذلك . قال : وكذلك كتب القضاء بالنجوم وعزائم الجن وما أشبه ذلك[1] .

التعليق : هكذا يحدد مذهب مالك أنواعًا من الكتب لا تجوز إجارتها ولا التجارة فيها ، وعقودها مفسوخة لا اعتبار بها ؛ وذلك لما تحويه من ضلال ، وهل فيه أكثر من ضلال العقيدة ؟ فماذا سيقول مالك لو بُعث هو وأصحابه ودخلوا إلى مكتبات المسلمين ؟ ولو تَصفحوا مناهج المسلمين فى المدارس والثانويات والكليات ؟ فماذا فى هذه المناهج من كتب السنة والحديث ؟ ولو تصفّح الإمام مالك كتب الغزالى والجوينى والشعرانى وغيرها مما كتبه المحرّفون والمنحرفون فى عقائدهم ، فماذا سيقول الإمام مالك ؟ إن هذه النصوص وهذه الأحكام التى تُنقل عن الإمام مالك بمقارنتها إلى الواقع نجد الفرق شاسعًا والمسافة بعيدةً ، والمعتزلة فى هذا الزمان الذين مُثّل بهم وبكتبهم فى هذا الحكم لهم أنصار وأعوان ومؤلفات ضخام ، ملأت الشرق والغرب ، وما الأشعرية إلا فرع منهم ، وعلماء العالم الإسلامى - إلا من شاء اللّه - غالبهم أشاعرة ، والذى لا يعرف حقيقة الأشاعرة ولم يدرس أصولهم يعتقد أنهم الممثلون لمنهج أهل الحديث ، وهم فى الحقيقة لا يمثلون إلا امتدادًا لأصول الجهمية ، مع تلفيق فى بعض المسائل ، فهل نصدر هذا الحكم الذى حَكَم به الإمام مالك فى هذه الفتوى على كتب الأشاعرة والمعتزلة والمرجئة والصوفية والفلسفة وكتب الغزالى بأجمعها ، ولا سيما ما سماه بإحياء علوم الدين ، أو ماذا ؟ فلينظر الناظر العاقل البصير إلى هذه الفتوى من هذا الإمام ، ويتصفح هذه الكتب التى أشرنا إليها ، فإن كان منصفًا عالمًا بالكتاب والسنة - كالإمام مالك وأصحابه - حكم على عقودها فى بيعها وإجارتها بالفسخ . واللّه المستعان .

---

(١) جامع بيان العلم وفضله [٢/٩٦] .

جاء فى ذم الكلام : قال عن مالك : من طلب الدين والكلام تزندق ، ومن طلب المال بالكيمياء أفلس ، ومن طلب غريب الحديث كذب[1] .

التعليق : سبحان اللّه ، هكذا التربية ، وهكذا العقل ، وهكذا الفهم ، وهكذا الهداية ، لكل دار بابها ، ولكل مكان طريقه ، لا يجوز دخول البيت إلا من بابه ، ومن فعل غير ذلك كان سارقًا وظالمًا ومجرمًا ، ومن سلك طريقًا لمكان غير طريقه ضل وغوى ، فالدين طريقه الوحى ، وعلمه علم النبوة ، ولا سيما فى باب العقيدة ، فمن طلب العقيدة بغير الكتاب والسنة تزندق ، وكان جزاؤه الحيرة والشك ، وأن يلقَّب بما لقبه به الإمام مالك ، وما كتب العقيدة التى تدرس فى المدارس الكبرى كلها على طريق علم الكلام ، فالعقيدة الأشعرية والماتردية والمعتزلة كل هذه العقائد مبناها على علم الكلام ، وهى المنتشرة فى كتب التفسير والأصول التى من تأليف المتأخرين ، الذين كان علماؤهم معتزلة وأشاعرة ؛ كالرازى والغزالى والبيضاوى وغيرهم ، فلذا يجب على المسلمين وعلى شبابهم الراغبين فى الحق ، طَىّ هذه المصادر والرجوع إلى ما ألفه سلفهم فى التفسير والحديث وأصول الفقه ، ففيها غنية وكفاية وهداية ونور وبرهان .

---

(١) كتاب ذم الكلام [ص : ١٧٣] .

جاء في الاعتصام : رُوى عن مالك رضى اللّه عنه فى القائل بخلق القرآن أن يوجع ضربًا ويسجن حتى يموت[1] .

التعليق : هذا هو موقف الإمام رحمه اللّه من المعتزلة وفروعهم ممن يقولون : بخلق القرآن وتعطيل الأسماء والصفات ، وأن جزاءهم هو التعزير بالضرب والسجن بعد المحاورة وإزالة الشبه التى يلقيها شياطين الإنس والجن ، ومع صراحة هذه الأحكام ووضوحها نجد هناك من يدافع عن المعتزلة والأشاعرة ، وهم من فروعهم ، فلا أدرى هل وقفوا على هذه الأحكام أم جهلوها أم يتجاهلونها .

والحقيقة أن هذه المسألة الخبيثة التى ابتدعها المعتزلة جرّت على المسلمين شرًا كثيرًا طيلة عهودهم التاريخية .

---

(١) كتاب الاعتصام [١/١٧٧] .

وجاء في السير : حدثنا ابن وهب ، سمعت مالكًا يقول : ليس هذا الجدل من الدين في شيء .

وسمعته يقول : قلت لأمير المؤمنين فيمن يتكلم في مثل هذه المسائل المعضلة : الكلام فيها يا أمير المؤمنين يورث البغضاء[1] .

التعليق : هكذا يخاطب الإمام مالك أمير وقته ويفتيه بما يراه هو الصواب ، ويبين له أن الحيد عن المنهج السلفي في أصول الدين يورث العداوة والشقاق ، وكان كما قال الإمام مالك رحمه الله : فلما ترك المسلمون الكتاب والسنة وطلبوا أصول الدين في علم اليونان والتراث النصراني واليهودي والهندي ؛ تفرقت كلمتهم وانشقوا أحزابًا وفرقًا ، ورفعوا السيوف على بعضهم ، وسفكت الدماء بينهم ،وأقيمت المحاكم لهم ، واختلفت مشاربهم ، وتوزعت كلمتهم ، وما يزال المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها يعيشون على تلك السموم القاتلة ، وتركوا النور والهدى .

---

(١) سير أعلام النبلاء [٨/١٠٥] .

وجاء فى ذم الكلام : أن مالكًا سئل عن الكلام والتوحيد ، فقال مالك : محال أن يُظن بالنبى ﷺ أنه علم أمته الاستنجاء ولم يعلمهم التوحيد . والتوحيد ما قاله النبى ﷺ : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا : لا إله إلا اللّه » [1] . فما عُصِمَ به المال والدم فهو حقيقة التوحيد[2] .

التعليق : هكذا يصرح الإمام مالك رحمه اللّه ويلقيها للمسلمين صريحة ، وهٰذا من الإمام مالك ليس بالغريب ، فهو إمام أهل القرآن فى وقته ، وإمام أهل الحديث والفقه والأصول والعقيدة ، فوضوح العقيدة من كتاب اللّه ووضوحها من سنة رسول اللّه ، وتوفيتهما لهذا الأمر بالنسبة للإمام من الأوليات ، وعنده وعند كل عالم ، من المعلوم من الدين بالضرورة ، فكيف يقع أدنى جدال فى هذه الحقيقة الكبرى التى تسطع شمسها فى قلب كل عالم بالكتاب والسنة ، فلهذا يستغرب الإمام مالك وجود غيرها فى نفوس المسلمين ، ويستغرب ما حدث فى عهده من طلب أصول الدين من غير الكتاب والسنة ، فلهذا يستشهد بأصغر الأشياء على أكبرها ، وهذه حجة – لعَمْرُ اللّه – من أوضح الحجج ، فكيف يعكف النبى ﷺ على تعليم أمته أصغر الأشياء وأقلها ومندوباتها ومستحباتها ، ويحذرهم من صغائر الأمور ، وقَطَع عليهم كل سبيل للشر ، وفتح لهم أبواب كل خير ، ونقل صحابته عنه كل حركاته وسكناته ، حتى اضطراب لحيته فى صلاته وجلوسه على أكله ونومه ويقظته فى سفره وحضره ، وما استتر عنهم فى بيته هيأ اللّه له الحافظات من نسائه ، فكيف يُظن به هذا الظن السيئ الذى هو لازم لكل من طلب علم الكلام ليصل به إلى معرفة أصول الدين ، فهذا مستحيل فى حقه ﷺ ، فقد قاتل النبى ﷺ على التوحيد ، وغزا القرى والمدن ، وسبى الذرارى والنساء ، وجعل الرجال أسارى فى يد المسلمين ، فهل يُظن بالنبى ﷺ أنه قاتل على غير التوحيد وفروعه ، وهذا منهج أصحابه بعده ﷺ ورضى اللّه تعالى عنهم ، فهم قاتلوا على التوحيد ، ونشروا التوحيد فى البلاد المفتوحة ، فالإمام مالك رحمه اللّه عليه يقرر هذه الحقيقة ويراها من بدهيات الأمور ، ويستبعد أن يخطر غيرها فى بال المسلم .

---

(١) أخرجه البخارى [١٣٩٩] ، ومسلم [٢٠] وهو حديث متواتر .

(٢) كتاب ذم الكلام [ص : ٢٢٠] .

أخرج الهروى فى ذم الكلام : من طريق عبد الرحمن بن مهدى قال : دخلت على مالك وعنده رجل يسأله فقال : لعلك من أصحاب عمرو بن عبيد ؟ لعن اللّه عمرو بن عبيد ، فإنه ابتدع هذه البدع من الكلام ، ولو كان الكلام علمًا لتكلم فيه الصحابة والتابعون ، كما تكلموا فى الأحكام والشرائع[1] .

التعليق : هكذا يصرح الإمام مالك بأسماء أصحاب البدع ، ويذكر نهجهم الباطل ، ويتبع ذلك بلعنة اللّه على رؤوسهم ، ويرجع بالناس إلى الحقيقة المقررة عنده وعند غيره من علماء السلف رضى اللّه عنهم . ولو كان الكلام علمًا لتكلم فيه الصحابة والتابعون كما تكلموا فى الأحكام والشرائع ، فكيف يتكلمون فى علم أجمعوا على التحذير منه بعد معرفة ضلاله ، وهم مأمورون بالنصيحة للمسلمين ، فنصيحتهم للمسلمين توجب عليهم تعليم المسلمين ما ينفعهم وتحذير المسلمين ما يضرهم ، فتكلموا رضى اللّه عنهم فى الأحكام والشرائع ، وبينوا أصول الدين غاية البيان ، وهى واضحة فى الكتاب والسنة غاية الوضوح .

---

(١) كتاب ذم الكلام [ص : ٧٣] .

وجاء فى شرف أصحاب الحديث للخطيب بالسند إلى إسحاق بن عيسى قال : سمعت مالك بن أنس يعيب الجدال فى الدين ويقول : كلما جاءنا رجل أَجدلُ من رجل أردنا أن نردَّ ما جاء به جبريل إلى النبى ﷺ [1] .

وجاء فى ذم الكلام بالسند إلى أشهب بن عبد العزيز قال : سمعت مالك ابن أنس يقول : إياكم والبدع .

قيل : يا أبا عبد اللّه ، وما البدع ؟

قال : أهل البدع الذين يتكلمون فى أسماء اللّه وصفاته وكلامه وعلمه وقدرته ، ولا يسكتون عما سكت عنه الصحابة والتابعون بإحسان[2] .

التعليق : هذه هى وصية الإمام مالك ونصيحته لعموم أمة محمد ﷺ ، وهى اجتناب البدع على اختلاف أنواعها وأشكالها ، وخصوصًا البدع الكلامية المنطقية التى استعملت فى تعطيل أسماء اللّه وصفاته من جهة ، وفى تشبيه أسماء اللّه وصفاته من جهة أخرى ، ولكن فى إثبات ما أثبته اللّه تعالى لنفسه ، وما أثبته له رسوله ﷺ من غير تكييف ولا تحريف ولا تعطيل ، فالسلف الصالح ، رضوان اللّه عليهم ، يقفون فى أسماء اللّه وصفاته موقف التوقيف ، فلا يطمعون فى معرفة الكيفية ولا يعطلون ما جاء به النص ، فما أعظم هذا المنهج الذى أخذ الوسطية بين المشبهة والمعطلة والمحرفة ، فالإمام مالك رحمه اللّه يحذر من المنهاج الجهمى وفروعه وفروخه كيفما تشعب وتفرع ، ولكن نصيحة الإمام مالك لم يحافظ عليها إلا قلة من السلف ، وهم جماعة من علماء الحنابلة رضى اللّه عنهم وغيرهم ممن ركب هذا المنهج واقتنع به .

---

(١) شرف أصحاب الحديث [ص : ٥] والحديث سبق تخريجه .

(٢) كتاب ذم الكلام [١٧٣/٦] .

جاء في الحلية لأبي نُعيم : بالسند إلى جعفر بن عبد الله قال : كنا عند مالك ابن أنس فجاءه رجل فقال : يا أبا عبد الله : ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ كيف استوى ؟ فما وجد مالك من شيء ، ما وجد من مسألته ، فنظر إلى الأرض وجعل ينكت بعود في يده حتى علاه الرحضاء - يعني العرق - ثم رفع رأسه ورمى بالعود وقال : الكيف منه غير معقول ، والاستواء منه غير مجهول ، والإيمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة ، وأظنك صاحب بدعة ، وأمر به فأخرج .

التعليق : هذا يدل على أن السلف رضوان الله عليهم كان لهم اهتمام بالغ بعقيدة القرآن والسنة ، وأن اتباعهم للقرآن والسنة ولمنهج الصحابة والتابعين كان أمرًا حتميًا عندهم ، والخروج عن هذا المنهج يبعث على الدهشة والاستغراب ، وكأن الإنسان يريد أن يلفظ أنفاسه لعظم الموقف ، فالإمام مالك رأى من هذا السائل الانحراف عن المنهج الصحيح ، فأوجعه ذلك وأضرَّ به فيا حبذا لو كان في كل عصر ، وفي كل مصر ، وفي كل جماعة مثل الإمام مالك الذي تأخذه الغيرة على المنهج السلفي إذا انحرف الناس عنه .

فالإمام مالك أعرب عن المنهج السلفي وبيّنه أحسن بيان في باب الأسماء والصفات ، وترك هذه القاعدة الكبرى والمعلمة العظمى ، التي تلقاها عن سلفه الصالح ، وهي قاعدة في كل الأسماء والصفات ليست في الاستواء وحده ، ولكنها في اليد والوجه والقدم واليمين والأصابع والعين والمجيء والإتيان والذات والعِلم والقدرة والإرادة وكل الصفات الفعلية والذاتية .

وكُتبُ ابن تيمية وابن القيم وما تفرع منها ليست إلا لتقرير هذه القاعدة الكبرى ، وما أتى ابن تيمية ومحبوه بشيء جديد ، إلا أنه أحيا مذهب السلف الصالح ودحض حجج المبتدعين على اختلاف أنواعهم ، فرحمة الله عليه وعلى سلفنا الصالح ، وجعلنا على منهاجهم .

جاء فى ترتيب المدارك : قال القاضى عياض : قال ابن نافع وأشهب - وأحدهما يزيد - على الآخر ، قلت : يا أبا عبد اللّه ، ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣ ﴾ [القيامة] ، ينظرون إلى اللّه ؟

قال : نعم بأعينهم هاتين .

فقلت له : فإن قومًا يقولون : لا يُنظر إلى اللّه ، إن ناظرة : بمعنى منتظرة إلى الثواب .

قال : كذبوا ، بل ينظرون إلى اللّه ، أما سمعت قول موسى عليه السلام : ﴿ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ ﴾ [الأعراف : ١٤٣] أفترى موسى سأل ربه محالًا ؟ فقال اللّه : ﴿ لَن تَرَىٰنِي ﴾ فى الدنيا ؛ لأنها دار فناء ، ولا ينظر ما يبقى بما يفنى ، فإذا صاروا إلى دار البقاء نظروا بما يبقى إلى ما يبقى ، وقال اللّه : ﴿ كَلَآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ ﴾[1] [المطففين : ١٥] .

التعليق : وهل هناك أصرح من هذا الحكم من الإمام مالك فى رؤية اللّه يوم القيامة بعين البصر ؟! فما بال الناس يختلفون فى هذه الحقيقة المقررة عند السلف ، ومعلومة عندهم من الدين بالضرورة ، فيورد المتأخرون من معتزلةٍ ومن صار فى دربهم كل شبهة ليردوا بها نصوصًا صريحة ، ومنها ما أجمع عليه الصحابة والتابعون ومن بعدهم إلا من شَذَّ من بعد الصحابة ، فالإمام مالك لم يأت بشىء جديد ، فهو تابع لما قرره سلفه الصالح فى الاستدلال بالآيات القرآنية الظاهرة الدلالة فى المسألة التى لا تقبل دفعًا بالتأويل أو التعطيل ، فهكذا منهاجهم رضى اللّه عنهم ؛ الاستدلال بالقرآن والفهم الصحيح لآياته وتنزيلها منازلها دون إيراد الشبه والعلل الباطلة التى لا مستند لها ، فكم أخذت هذه المسألة الواضحة من وقت من المعتزلة والأشاعرة الذين أخذوا منهاجهم عن غير المنهاج السلفى ، واستقوْا أصولهم من غيره فضَلُّوا وأضلوا .

---

(١) ترتيب المدارك [١/١٧٢] .

وجاء فى فتح البارى : وقد أخرج أبو العباس السرَّاج فى تاريخه عن الحسن ابن عبد العزيز ، وهو من شيوخ البخارى ، سمعت عمرو بن أبى سلمة يقول : سمعت مالك بن أنس وقيل له : يا أبا عبد اللّه قول اللّه تعالى : ﴿ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ . يقول قوم : إلى ثوابه .

فقال : كذبوا فأين هم من قوله تعالى : ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾[1] .

وجاء فى أصول الاعتقاد : وحدثنا أبو موسى الأنصارى أنه قال لمالك :

يا أبا عبد اللّه ، فإن قومًا يزعمون أن اللّه لا يُرى .

قال مالك : السيف السيف[2] .

التعليق : فلو ذهب الناس على توجيه الإمام مالك رضى اللّه عنه لهم ما ضيعوا وقتًا ولا أفسدوا عقلاً ولا سودوا صحفًا ولا حرفوا عقيدةً ، ولكن ضياع القرآن وذهاب السلطان الذى ينشر القرآن سبب هذا كله ، ووَقَع الانفلات ونَشرَ كل صاحب شبهة شبهته ، وكل صاحب زندقة زندقته ، وكل صاحب إلحاد إلحاده ، والسلطان والقرآن لا يفترقان ، فإذا ضاع القرآن والسنة ، ومحيت علومهما من الأرض ، طبق اللّه سلواته على أرضه وطواهما بيمينه . وفقدان السلطان الذى يأخذ على يد الظَّلَمة والطغاة بسبب إهمال القرآن والسنة ، ويفتح الباب لكل عاثٍ فى الأرض بالفساد ، وهذه أمور لا تخفى على اللبيب .

---

(١) فتح البارى [١٣/٤٢٦] .

(٢) أصول الاعتقاد [٢/٤٥٥] .

وجاء فى السير : روى عبد الله بن أحمد فى كتاب الرد على الجهمية إلى عبد الله ابن نافع قال : قال الله فى السماء ، وعلمه فى كل مكان ، لا يخلو منه شيء[1] .

التعليق : هكذا يقرر مالك رحمه الله حقيقة المعية ، ويفرق بين الاستواء على العرش وبين علم الله الذى لا يخلو منه مكان ، وهذه حقيقة مقرَّرة عند الصحابة والتابعين وأتباعهم ، فلا تأويل فى المعية كما يزعمه من زعمه من المفسرين والمحدثين ، فآيات الصفات بابها واحد به تفهم وبه تعلم ، فلا تفريق بين صفة وأخرى ، ولا تأويل لواحدة دون الأخرى ، فصفة المعية كغيرها ، وقد أثبت ذلك فى كتابى : « المفسرون بين التأويل والإثبات فى آيات الصفات » فى صفة المعية فى الرد على المؤولة ، والحمد لله رب العالمين .

---

(١) سير أعلام النبلاء [٨/١٠١] .

وجاء فى السير بالسند إلى أبى أويس : سمعت مالكًا يقول : القرآن كلام اللّه ، وكلام اللّه منه ، وليس من اللّه شيء مخلوق[1] .

وجاء فى ترتيب المدارك للقاضى عياض : وجاء إلى مالك رجل فقال له : ما تقول فيمن يقول القرآن مخلوق ؟ قال : زنديق فاقتلوه . قال : يا أبا عبد اللّه ، ليس هو كلامى ، إنما هو كلام سمعته . قال : لم أسمعه إلا منك[2] .

التعليق : هكذا يقرر الإمام مالك ، أن من فَرّق بين صفات اللّه وذاته فادعى أن بعض صفاته مخلوق ، فهو زنديق يجب قتله ، وليس من اللّه شيء مخلوق ، وهذه مسألة شيطانية ، خرج بها الجهمية والمعتزلة ، وشقوا بها عصا الطاعة على أهل السنة والجماعة ، فأحدثوا بسببها فتنًا لا يعلمها إلا اللّه ، فلذا كان الإمام مالك لا يتحمل سماع حكاية مثل هذه الأقوال الكافرة الباطلة ، فرحمة اللّه عليه وعلى أمثاله ممن نصروا مذهب أهل السنة والجماعة .

وبعد هذه الأقوال ، وهذه المواقف التى نُقلت عن الإمام مالك ، ننتقل إلى نقل أحاديث الأسماء والصفات من موطأ الإمام مالك ؛ حتى يعلم القارئ أن مالكًا رحمه اللّه جمع فى موطئه مجموعة من أحاديث الأسماء والصفات ، حتى إن ابن تيمية يقرر فى الفتاوى الكبرى وينقل عن الإمام مالك قوله : جمعت هذا خوفًا من الجهمية أن يضلوا الناس[3] .

وقد قرر رضى اللّه عنه فى رَدٍّ جميلٍ على أبى المعالى ، الذى يزعم أن مالكًا وغيره من جماعة السلف لم يرووا أحاديث الصفات فى مصنفاتهم ، ولنفاسة كلامه رضى اللّه عنه وجودته ، أنقله حتى يعرف القارئ مدى جهل علماء الكلام لسنة رسول اللّه ﷺ عامة ، ومدى جهل أبى المعالى الذى هو إمام الأشاعرة وإمامهم المبجّل ، وكتبه هى أناجيلهم وزبورهم ، كما قرر شيخ الإسلام فى غير ما موضع من كتبه ، رضى اللّه عنه قال رحمه اللّه فى الفتاوى الكبرى :

---

(١) سير أعلام النبلاء [١/١٧٤] .
(٢) المصدر السابق .
(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام [٥/١٥] .

وأبو المعالى يتكلم بمبلغ علمه فى هذا الباب وغيره ، وكان بارعًا فى فن الكلام الذى يشترك فيه أصحابه والمعتزلة ، وإن كانت المعتزلة هم الأصل فيه لكثرة مطالعته لكتب أبى هاشم الجبائى ، فأما الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة وقول أئمتها ؛ فكان قليل المعرفة بها جدًّا ، وكلامه فى غير موضع يدل على ذلك ، ولهذا تجده فى عامة مصنفاته فى أصوله وفروعه إذا اعتمد على قاطع فإنما هو ما يدعيه من قياس عقلى أو إجماع سمعى ، وفى كثير من ذلك ما فيه ، فأما الكتاب والسنة وأقوال سلف الأمة وأئمتها ، فهو قليل الاعتماد عليها والخبرة بها ، واعتبره بما ذكر فى الرد على الآجرى ونحوه من العلماء الذين صنفوا فى أبواب السنة والرد على أهل الأهواء ، وقد ردوا عليهم بالسنة والآثار ، وذكروا فى ذلك أحاديث الصفات .

فإنه قال – أى الجوينى – : اعلم أن أهل الحق نابذوا المعتزلة وخالفوهم واتبعوا السمع والشرع ، وأثبتوا الرؤية والنظر ، وأثبتوا الصراط والميزان وعذاب القبر ومسألة منكر ونكير والمعراج والحوض ، واشتد نكيرهم على من ينسب إلى إنكار مأثور الأخبار والمستفيض من الآثار فى هذه القواعد والعقائد ، واتفقوا على أن الحَسَن والقبيح فى أحكام التكليف والإيجاب والحذر لا يدرك عقلًا ، والمرجع فى جميعها إلى موارد الشرع وقضايا السمع ، ولكنهم لما بلغتهم أخبار متشابهة وألفاظ مُشكَلة لم يستبعدوا أن يكون فى الأخبار البين والظاهر والمجمل والمشكل ، فإن اللَّه أخبر أن كتابه العزيز الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ، منه آيات محكمات وأخر متشابهات ، أعرضوا عن ذكرها ولم يشتغلوا بها .

والدليل عليه أن أئمة السنة وأحبار الأمة بعد صَحْب رسول اللَّه ﷺ ورضى عنهم لم يودع أحد منهم كتابه الأخبار المتشابهات ، فلم يورد مالك رضى اللَّه عنه فى الموطأ منها شيئًا مما أورده الآجرى وأمثاله ، وكذلك الشافعى وأبو حنيفة وسفيان والليث والثورى ، ولم يفتوا بنقل المشكلات .

ونبغت ناشئة ضروا بنقل المشكلات ، وتدوين المتشابهات ، وتبويب أبواب ، ورسم تراجم على ترتيب فطرة المخلوقات ، ورسموا بابًا فى ضحك البارى ، وبابًا فى نزوله

وانتقاله وعروجه ودخوله وخروجه ، وبابًا فى إثبات الأضراس ، وبابًا فى خلق اللَّه آدم على صورة الرحمن ، وبابًا فى إثبات القدم والشعر القطط ، وبابًا فى إثبات الأصوات والنغمات ، تعالى اللَّه عن قول الزائغين .

قال - أى الجوينى - : وليس يعتمد جمع هذه الأبواب ، وتمهيد هذه الأنساب ، إلا مُشبِّهٌ على التحقيق ، أو متلاعب زنديق .

قال أبو عبد اللَّه القرطبى ، وهو من علماء الأشعرية فى قول أبى المعالى : هذا بعض التحامل : وقد أثبتنا فى هذا الكتاب معنى شرح الأسماء الحسنى ، فإنه ذكر الصفات فى آخره من هذه الأخبار ما صح سنده وثبت نقله ومورده ، وأضربنا على الكثير منها استغناء عنها لعدم صحتها ، فليوقف على ما ذكرنا منها لنقل الأئمة الثقات لها ، وحديث النزول ثابت فى الأمهات ، أخرجه الثقات الأثبات .

قلت - أى ابن تيمية - : هذا الكلام فيه ما يجب رده أمور عظيمة :

أحدها : ما ذكره عمن سماهم أهل الحق ، فإنه دائمًا يقول : قال أهل الحق ، وإنما يعنى أصحابه ، وهذه دعوة يمكن كل أحد أن يقول لأصحابه مثلها ، فإن أهل الحق الذين لا ريب فيهم المؤمنون الذين لا يجتمعون على ضلالة ، فأما أن يفرد الإنسان طائفة منتسبة إلى متبوع من الأمة ويسميها أهل الحق ، ويُشْعِر بأن كل من خالفها فى شىء فهو من أهل الباطل ؛ فهذا حال أهل الأهواء والبدع ، كالخوارج والمعتزلة والرافضة .

وليس هذا من فعل أهل السنة والجماعة ، فإنهم لا يصفون طائفة بأنها صاحبة الحق مطلقًا ، إلا المؤمنين الذين لا يجتمعون على ضلالة ، قال اللَّه تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱتَّبَعُوا۟ ٱلْبَٰطِلَ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّبَعُوا۟ ٱلْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ ﴾ [محمد : ٣] .

وهذا نهاية الحق والكلام الذى لا ريب أنه حق ، قول اللَّه وقول رسوله الذى هو حق وآت بالحق ، قال تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ ﴾ [الأحزاب : ٤] ، وقوله تعالى :

﴿ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ ﴾ [الأنعام : ٧٣] ، وقال الرسول ﷺ : « اكتب ، فوالذى نفسى بيده ما خرج من بينهما إلا حق »[1] .

فأهل الحق هم أهل الكتاب والسنة ، وأهل الكتاب والسنة على الإطلاق هم المؤمنون ، فليس الحق لازمًا لشخص بعينه دائرًا معه حيثما دار ، لا يفارقه قط إلا الرسول ﷺ ، إذ لا معصوم من الإقرار على الباطل غيره ، وهو حجة اللّه التى أقامها على عبْاده ، وأوجب اتباعه وطاعته فى كل شىء على كل أحد .

وليس الحق أيضًا لازمًا لطائفة دون غيرها إلا للمؤمنين ، فإن الحق يلزمهم إذ لا يجتمعون على ضلالة ، وما سوى ذلك فقد يكون الحق فيه مع الشخص أو الطائفة فى أمر دون أمر ، وقد يكون المختلفان كلاهما على باطل ، وقد يكون الحق مع كل منهما من وجه دون وجه ، فليس لأحد أن يسمى طائفة منسوبة إلى اتباع شخص ، كائنا من كان ، غير رسول اللّه ﷺ بأنهم أهل الحق ، إذ ذلك يقتضى أن كل ما هم عليه فهو حق ، وكل من خالفهم فى شىء من سائر المؤمنين فهو باطل ، وذلك لا يكون إلا إذا كان متبوعهم كذلك ، هذا معلوم البطلان بالاضطرار من دين الإسلام ، ولو جاز ذلك لكان إجماع هؤلاء حجة ؛ إذا ثبت أنهم أهل الحق .

ثم يذكر أئمته الذين جعلهم أهل الحق ، ثم هو يخالفهم كما صنع فى مسألة الصفات الخبرية وغيرها ، مع أنهم فيها أقرب إلى الحق منه ، فكيف يسوغ له أن يخالف من شهد لهم بأنهم أهل الحق فيما اختلف فيه الناس من أصول الدين ، وله فى ذلك شبه قوى ببعض أئمة الرافضة الذين كانوا بالشام ، يقال له : ابن العود ، رأيت له فتاوى يدّعى فيها فى غير موضع المحقةُ هم أتباع المعصوم المنتظر ، ويحتج بإجماع الطائفة المحقة بناء على أن قولهم مأخوذ عن المعصوم الذى لا يعرفه أحد ، ولم يسمع له بخبر ولا وقع له على عين ، ولا أثر ، حتى إنه قال : إذا تنازعوا فى مسألة على قولين : أحدهما ، يعرف قائله دون الآخر ، فالقول الذى لا يعرف قائله هو الحق ؛ لأن فى أهله الإمام المعصوم .

---

(١) الفتاوى [٤/٦٠] ، والحديث رواه أبو داود [٣٦٤٦] وصححه الشيخ الألبانى .

ثم رأيته يخالف أصحابه ويرد عليهم فى مواضع ، فأين مخالفتهم والرد عليهم فى دعوى أنهم الطائفة المحقة ، الذين لا يتفقون على باطل ، وكذلك دعاوى كثير من أهل الأهواء والضلال أنهم المحقون ، أو أنهم أهل الله أو أهل التحقيق ، أو أولياء الله ، حتى تُوقفُ هذه المعانى عليهم دون غيرهم ، ويكونون فى الحقيقة إلى أعداء الله أقرب ، وإلى الإبطال أقرب منهم إلى التحقيق بكثير ، فهؤلاء لهم شبه قوى بما ذكره الله عن اليهود والنصارى من قوله : ﴿ وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١١١﴾ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾ وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ۚ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١١٣﴾ ﴾ [البقرة] ، وقوله تعالى : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ ۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾ [المائدة : ١٨] .

الثانى : أنه ذكر عنهم أنهم اتبعوا السمع والشرع ، وقد ذكر فى أحوالهم التى بها صاروا أهل الحق عندهم أنه لم يثبت لله صفة بالسمع ، بل إنما ثبتت صفاته بالعقل المجرد ، وأن الذين أثبتوا ما جاء فى القرآن منهم من أثبته بالعقل ، ومنهم من أثبته بالسمع ، ورده على الطائفتين ، فأى اتباع للسمع والشرع إذا لم يثبت به شىء من صفات الله بالشرع ؟! بل وجوده كعدمه فيما أثبتوه ونفوه من الصفات ، فأئمتهم كانوا يثبتون الصفات بالسمع وبالعقل ، أو بالسمع ويجعلون العقل مؤكِّدًا فى الفهم فى ذلك ، فأين اتباعهم للسمع والشرع وقد عزلوه عن الحكم به والاحتجاج به والاستدلال به .

والثالث : قوله : يشتد نكيرهم على من ينتسب إلى إنكار مأثور الأخبار والمستفيض من الآثار فيقال له : إذا لم يفد منها ثبوت معناها ، فأى إنكار لها أبلغ من

ذلك ؟! وأنت قد ذكرت إعراضهم عنها ، وقلت فيها من الفرية ما سنذكر بعضه ، فهل الإنكار لمأثور الأخبار ومستفيضها إلا من جنس ما ذكرته فى هذا الكلام .

الرابـع : ما ذكره أنهم يثبتون ما يثبتونه من أمر الآخرة ، فيقال لهم : هذا يثبتونه على وجه الجملة إثباتًا يشركهم فيه آحاد العوام ، ولا يعلمون من تفصيل ذلك ما يُجابُ به أدنى السائلين ، وليس فى كتبهم ما فى ذلك من الأحاديث التى وصف بها النبى ﷺ ذلك ، ولهذا تجدهم بذلك من أقل الناس علمًا بها ، أو تجدهم مرتابين فيها أو مكذبين ، فأى تعظيم بمثل هذا وأى مزية بهذا على أوساط العوام أو أدناهم ، بل كثير من عوام المؤمنين يؤمن بتفاصيل هذه الأمور ، ويعلم منها مما أخبره به الشارع ما ليس مذكورًا فى أصول هؤلاء ، وإنما الفضيلة على عموم المؤمنين بأن يكون الإنسان أو الطائفة من أهم العلم الذى لا يوجد عند عموم المؤمنين ، وليس فيما ذكره من هذه الأصول ذلك .

الخامس : الحجة أنهم نفوا التحسين والتقبيح العقلى ، وجعلوا أحكام الأفعال لا تتلقى إلا من الشرع ، فإنه بيَّنَ بذلك تعظيمهم للشرع واتباعهم له ، وأنهم لا يعدلون عنه ليثبت بذلك تسننهم ، وهذا الأصل هو من أصول المبتدعة فى الإسلام ، لم يقل أحد من سلف الأمة وأئمتها أن العقل لا يحسّن ولا يقبح ، أو أنه لا يعلم بالعقل حُسْن فعل ولا قبحه ، بل النزاع فى ذلك حادث فى حدوث المائة الثالثة ، أما النزاع فى ذلك بين فقهاء الأمة وأهل الحديث والكلام منها ، فما من طائفة إلا وهى متنازعة فى ذلك ، ولعل أكثر الأمة تُخالف فى ذلك ، وقد كتبنا فى غير هذا الموضع فصل النزاع فى هذه المسألة ، وبيَّنَّا ما مع هؤلاء فيها من الحق ، وما مع هؤلاء فيها من الحق ، ثم يقال : ولو كانت هذه المسألة حقًا على

الإطلاق ، فليس لك ولا لأصحابك فيها حجة نافية ، بل عمدتك وعمدة القاضى ونحوكما على مطالبة الخصم بالحجة والقدح فيها فيما يبديه ، والقدح فى دليل المنازع إن صح ذلك ؛ لا يوجب العلم بانتفاء قوله إن لم يقم على اليقين دليل ، وعمدة إمام المتأخرين ابن الخطيب الاستدلال على ذلك بالجبر ، وهو من أفسد الحجج ، فإن الجبر سواءٌ كان حقًّا أو باطلاً ، كما لا يُبطل الحكم الشرعى ، لا ينفى ثبوت أحكام معلومة بالعقل ، كما لا ينفى الأحكام التى يثبتها الشارع .

وعمدة الآمدى بعده أن الحُسْن والقبح عَرَضٌ ، والعرض لا يقوم بالعرض ، وهذا من المغاليط التى لا يستدل بها إلا جاهل أو مغالط ، فإنه يقال فى ذلك ما يقال فى سائر صفات الأعراض ، وغايته أن يكون كلاهما قائمًا بمحل العرض ، ونفى الحكم المعلوم بالعقل ، مما عدَّه من بدع الأشعرى التى أحدثها فى الإسلام علماء أهل الحديث والفقه والسنة ، كأبى نصر السجزى وأبى القاسم سعد بن على الزنجانى ، دع من سواهم .

السادس : تسمية الأخبار التى أخبر بها الرسول ﷺ عن ربه أخبار متشابهة ، كما يسمون آيات الصفات متشابهة ، وهذا كما يسمى المعتزلة الأخبار المثبتة للقدر متشابهة ، وهذه حال أهل البدع والأهواء الذين يسمون ما وافق آراءهم من الكتاب والسنة محكمًا ، وما خالف آراءهم متشابهًا ، وهؤلاء كما قال اللّه تعالى : ﴿ وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُو۟لَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓا۟ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓا۟ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ ۚ بَلْ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ [النور] ، وكما قال تعالى : ﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ ﴾ [البقرة : ٨٥] ، وكما قال تعالى : ﴿ فَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾ [المؤمنون : ٥٣] .

السابع : قياسه لما سماه المتشابه فى الأخبار على المتشابه فى آى الكتاب ؛ ليُلْحقَه به فى الإعراض عن ذكره وعدم الاشتغال به ، وحاشا للّه أن يكون فى كتاب اللّه ما أمر المسلمين بالإعراض عنه وعدم التشاغل به ، أو أن يكون سلف الأمة وأئمتها أعرضوا عن شيء من كتاب اللّه لاسيما الآيات المتضمنة لذكر أسماء اللّه وصفاته ، فما منها آية إلا وقد روى الصحابة فيما يوافق معناها ويفسرها عن النبى ﷺ ، وتكلموا فى ذلك بما لا يحتاج معه إلى مزيد ، كقوله تعالى : ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ﴾ [الزمر : ٦٧] فإن المتأخرين ، وإن كان فيهم من حرّف فقال : ﴿ قَبْضَتُهُۥ ﴾ قدرته ، و ﴿ بِيَمِينِهِۦ ﴾ بقوته أو بقسمه ، أو غير ذلك ، فقد استفاضت الأحاديث الصحيحة التى رواها خيار الصحابة وعلماؤهم ، وخيار التابعين وعلماؤهم بما يوافق ظاهر الآية ويفصل المعنى ، كحديث أبى هريرة المتفق عليه ، وحديث عبد اللّه ابن عمر المتفق عليه ، وحديث ابن مسعود فى قصة الحَبْر المتفق عليه ، وحديث ابن عباس الذى رواه الترمذى وصححه ، وغير ذلك ، وكذلك أنه خلق آدم بيديه وغير ذلك من الآيات .

الثامن : قوله : والدليل عليه أن أئمة السنة وأخيار الأمة بعد صحب النبى ﷺ لم يودع أحد منهم كتابه إلا الأخبار المتشابهات ، فلم يورد مالك رضى اللّه عنه فى الموطأ منها شيئًا كما أورده الآجرى وأمثاله ، وكذلك الشافعى وأبو حنيفة وسفيان والليث والثورى ، ولم يعتنوا بنقل المشكلات ، فإن هذا الكلام لا يقوله إلا من كان من أبعد الناس عن معرفة هؤلاء الأئمة وما نقلوه وصنفوه ، وقوله رجم بالغيب من مكان بعيد ، فإن نقل هؤلاء الأئمة وأمثالهم لهذه الأحاديث مما يعرفه من له أدنى نصيب من معرفة هؤلاء الأئمة ، وهذه الأحاديث عن هؤلاء وأمثالهم أُخذت ، وهم الذين

أدوها إلى الأمة ، والكذب فى هذا الكلام أظهر من أن يحتاج إلى بيان ، لكن قائله لم يتعمد الكذب ، ولكنه قليل المعرفة بحال هؤلاء ، وظن أن نقل هذه الأحاديث لا يفعله إلا الجهال الذين يسميهم المشبهة أو الزنادقة ، وهؤلاء برآء عنده من ذلك ، فتركّب من قلة علمه بالحق ، ومن هذا الظن الناشئ عن الاعتقاد الفاسد ؛ هذا الكلام الذى فيه من الفرية والجهل والضلال ما لا يخفى على أدنى الرجال .

التاسع : قوله : لم يورد مالك فى الموطأ منها شيئًا ، وقد ذكر أحاديث النزول وأحاديث الضحك فيما أنكره ، ومن المعلوم أن حديث النزول من أشهر الأحاديث فى موطأ مالك ، رواه عن أجل شيوخه ابن شهاب عمن هو من أجل شيوخه ، أبى سلمة ابن عبد الرحمن وأبى عبد الله الأغر عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى سماء الدنيا ، حين يبقى ثلث الليل فيقول : من يدعونى فأستجب من يسألنى فأعطه من يستغفرنى فأغفر له »[1] . ورواه أهل الصحاح كالبخارى ومسلم من طريق مالك وغيره ، وأحاديث النزول متواترة عن النبى ﷺ رواها أكثر من عشرين نفسًا من الصحابة بمحضر بعضهم من بعض ، والمستمع لها منهم يصدق المحدث بها ويقره ، ولم ينكرها منهم أحد ، ورواه أئمة التابعين وعامة الذين سماهم من الأئمة رووا ذلك وأودعوه كتبهم وأنكروا على من أنكره .

قال شارح الموطأ الشرح الذى لم يشرح أحد مثله الإمام أبو عمر بن عبد البر : هذا الحديث ثابت ، فمن جهة النقل صحيح الإسناد لا يختلف أهل الحديث فى صحته . قال : وهو حديث منقول من طرق سوى هذه من أخبار العدول عن النبى ﷺ ، وفيه

---

(١) رواه مالك فى الموطأ [كتاب القرآن/٣٠] ، والبخارى [٦٣٢١] ، ومسلم [٧٥٨] .

دليل على أن اللَّه عز وجل فى السماء على العرش من فوق سبع سمٰوات ، كما قالت الجماعة ، وهو من حجتهم على المعتزلة فى قولهم : إن اللَّه فى كل مكان وليس على العرش ، وبسط الكلام فى ذلك .

وكذلك أحاديث الضحك متواترة عن النبى ﷺ وقد رواها الأئمة ، وروى مالك فى الموطأ منها حديثه عن أبى الزناد عن الأعرج عن أبى هريرة أن رسول اللَّه ﷺ قال : يضحك اللَّه إلى رجلين يَقتُل أحدهما الآخر ، كلاهما يدخل الجنة ؛ يقاتل هذا فى سبيل اللَّه فيقتل ، ثم يتوب اللَّه على القاتل فيقاتل فى سبيل اللَّه فيستشهد »[1] ، وقد خرجه أهل الصحاح من حديث مالك وغير مالك ، ورواه أيضًا سفيان الثورى الإمام عن أبى الزناد وحدث به .

وقد روى صاحبا الصحيح منها قطعة مثل هذا الحديث ، ومثل حديث أبى هريرة ، وحديث أبى سعيد الطويل المشهور فيه : « فلا يزال يدعو اللَّه حتى يضحك اللَّه منه ، فإذا ضحك اللَّه منه قال : ادخل الجنة »[2] . ورواه أعلام التابعين بإجماع المسلمين سعيد بن المسيب عن أبى هريرة وغير سعيد أيضًا ، ورواه عنه الزهرى وعنه أصحابه ، وفى هذا الحديث : « فيأتيهم اللَّه فى صورته التى يعرفون » ، وهذا الحديث فى الصحيحين من طريق أخرى عن أبى سعيد من رواية الليث بن سعد إمام المسلمين وغيره الذى زعم أنه لم يكن يروى هذه الأحاديث ، وفيه ألفاظ عظيمة أبلغ من الحديث الأول ، كقوله : « فيرفعون رؤوسهم ، وقد تحول فى صورته التى رأوه فيها أول مرة » ، وقوله فيه : « فيكشف عن ساقه » ، وقوله : « فيقول الجبار بقيت شفاعتى فيقبض قبضة من النار فيخرج أقوامًا قد امتحشوا » .

وقد روى مالك أيضًا عن أبى الزناد عن الأعرج عن أبى هريرة رضى اللَّه تعالى عنه أن رسول اللَّه ﷺ قال : « لما قضى اللَّه الخلق كتب عنده فوق عرشه : إن رحمتى

---

(١) رواه مالك فى الموطأ [كتاب الجهاد/٢٨] ، وأخرجه البخارى [٢٨٢٦] ، ومسلم [١٨٩٠] .

(٢) أخرجه البخارى [٧٤٣٧] ، ومسلم [١٨٢] .

سبقت غضبى »[1] أخرجه أصحاب الصحيح ، كالبخارى من طريقه وطريق غيره . وروى البخارى فى صحيحه عن عبيد الله عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال : « إن الله يقبض يوم القيامة الأرضين ، وتكون السلموات بيمينه ، ثم يقول أنا الملك »[2] ، رواه سعيد عن مالك .

وقد روى مالك فى موطئه عن زيد بن أسلم عن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد ابن الخطاب أنه أخبره عن مسلم بن يسار الجهنى أن عمر بن الخطاب سئل عن هذه الآية : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ﴾ [الأعراف : ١٧٢] ، فقال عمر بن الخطاب : سمعت رسول الله ﷺ يُسأل عنها فقال رسول الله ﷺ : « إن الله تبارك وتعالى خلق آدم ثم مسح ظهره ، فاستخرج منه ذرية ، فقال : خلقت هؤلاء للجنة ، وبعمل أهل الجنة يعملون ، ثم مسح ظهره ، فاستخرج منه ذرية ، فقال : خلقت هؤلاء للنار ، وبعمل أهل النار يعملون . فقال رجل : يا رسول الله ، ففيمَ العمل ؟ فقال رسول الله ﷺ : إن الله تبارك وتعالى إذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل أهل الجنة ، حتى يموت على عمل من أعمال أهل الجنة ، وإذا خلق العبد للنار استعمله بعمل أهل النار ، حتى يموت على عمل من أعمال أهل النار » ، وهذا الحديث إنما رواه أهل السنن والمسانيد كأبى داود والنسائى والترمذى وقال : حديث حسن صحيح[3] . وقد قيل : إن إسناده منقطع ، وإن راويه مجهول ، ومع هذا فقد رواه مالك فى الموطأ ، مع أنه أبلغ من قوله لقوله : « ثم مسح ظهره بيمينه فاستخرج منه ذرية ... ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية » .

ومن العجب أن الآجرى يروى فى كتاب الشريعة له من طريق مالك والثورى والليث وغيرهم ، فلو تأمل أبو المعالى وذووه الكتاب الذى أنكروه ؛ لوجدوا فيه ما يخصمهم ، ولكن أبو المعالى مع فرط ذكائه وحرصه على العلم ، وعلو قدره فى فنه ؛ كان قليل

---

(١) رواه مالك فى الموطأ [١٦٩/١] ، وأخرجه البخارى [٣١٩٤] ، ومسلم [٢٧٥١] .

(٢) أخرجه البخارى [٧٤١٢] .

(٣) رواه مالك فى الموطأ [القدر/٢] ، وأبو داود [٤٧٠٣] ، والترمذى [٣٠٧٥] ، والنسائى [٣٤٧/٦] .

المعرفة بالآثار النبوية ، ولعله لم يطالع الموطأ بحال ، حتى يعلم ما فيه ، فإنه لم يكن له بالصحيحين : البخارى ومسلم ، وسنن أبى داود ، والنسائى ، والترمذى ، وأمثال هذه السنن ، عِلْمٌ أصلًا ، فكيف بالموطأ ونحوه ؟ وكان مع حرصه فى الاحتجاج فى مسائل الخلاف فى الفقه إنما عمدته سنن أبى الحسن الدارقطنى ، وأبو الحسن مع إتمام إقامته فى الحديث ، فإنه إنما صنف هذه السنن كى يذكر فيها الأحاديث المستغربة فى الفقه ، ويجمع طرقها ، فإنها هى التى تحتاج فيها إلى مثله ، فأما الأحاديث المشهورة فى الصحيحين وغيرهما فكان يستغنى عنها فى ذلك ، فلهذا كان مجرد الاكتفاء بكتابه فى هذا الباب يورث جهلًا عظيمًا بأصول الإسلام ، واعتبر ذلك بأن كتاب أبى المعالى الذى هو نخبة عمره « نهاية المطلب فى دراية المذهب » ليس فيه حديث واحد معزو إلى صحيح البخارى ، إلا حديثًا واحدًا فى البسملة ، وليس ذلك الحديث فى البخارى كما ذكره . ولقلة علمه وعلم أمثاله بأصول الإسلام ، اتفق أصحاب الشافعى على أنه ليس لهم وجه فى مذهب الشافعى ، فإذا لم يسوغ أصحابه أن يعتد بخلافهم فى مسألة من فروع الفقه ، كيف يكون حالهم فى غير هذا ، وإذا اتفق أصحابه على أنه لا يجوز أن يُتخذ إمامًا فى مسألة واحدة من مسائل الفروع ، فكيف يُتخذ إمامًا فى أصول الدين ؟! مع العلم بأنه إنما نيل قدره عند الخاصة والعامة بتبحره فى مذهب الشافعى رضى اللّه عنه ؛ لأن مذهب الشافعى مؤسَّس على الكتاب والسنة ، وهذا الذى ارتفع به عند المسلمين غايته فيه أنه يوجد منه نقل جمعه ، أو بحث تفطن له ، فلا يجعل إمامًا فيه كالأئمة الذين لهم وجوه ، فكيف بالكلام الذى نَصَّ الشافعى وسائر الأئمة على أنه ليس بعد الشرك باللّه ذنب أعظم منه .

وقد بينا أنَّ ما جعله أصل دينه فى الإرشاد والشامل وغيرهما ، هو بعينه من الكلام الذى نصت عليه الأئمة ، ولهذا روى عنه ابن طاهر أنه قال وقت الموت : لقد خضت البحر الخضم وخليت أهل الإسلام وعلومهم ، ودخلت فى الذى نهونى عنه ، الآن إن لم يدركنى ربى برحمته ، فالويل لابن الجوينى ، وها أنا أموت على عقيدة أمى ، أو عقائد عجائز نيسابور .

قال أبو عبد الله الحسن بن العباس الرستمى : حكى لنا الإمام أبو الفتح الفقيه ابن على الطبرى الفقيه قال : دخلنا على الإمام أبى المعالى الجوينى نعوده فى مرضه الذى مات فيه بنيسابور ، فأُقعد فقال لنا : اشهدوا على أنى رجعت عن كل مقالة قلتها أخالف فيها ما قال السلف الصالح عليهم السلام ، وإنى أموت على ما يموت عليه عجائز نيسابور .

وعامة المتأخرين من أهل الكلام سلكوا خلفه ؛ من تلامذته وتلامذة تلامذته ومَنْ بعدهم . ولقلة علمه بالكتاب والسنة وكلام سلف الأمة ، يظن أن أكثر الحوادث ليست فى الكتاب والسنة والإجماع ما يدل عليها ، وإنما يعلم حكمها بالقياس ، كما يذكر ذلك فى كتبه ومن كان له علم بالنصوص ودلالتها على الأحكام علم أن قول أبى محمد ابن حزم وأمثاله ، أن النصوص تستوعب جميع الحوادث ؛ أقرب إلى الصواب من هذا القول ، وإن كان فى طريقة هؤلاء من الإعراض عن بعض الأدلة الشرعية ما قد يسمى قياسًا جليًا ، وقد يجعل من دلالة مثل فحوى الخطاب والقياس فى معنى الأصل وغير ذلك ، ومثل الجمود على الاستصحاب الضعيف ، ومثل الإعراض عن متابعة أئمة من الصحابة ومن بعدهم ، ما هو معيب عليهم ، وكذلك القدح فى إعراض الأئمة لكن الغرض أن قول هؤلاء فى استيعاب النصوص للحوادث ، وأن الله ورسوله قد بين للناس دينهم هو أقرب إلى العلم والإيمان الذى هو الحق ، ممن يقول : إن الله لم يبين للناس لحُكمَ أكثر ما يحدث من الأعمال ، بل وَكَلَهم فيها إلى الظنون المتقابلة والآراء المتعارضة .

ولا ريب أن سبب هذا كله ضعف العلم بالآثار النبوية والآثار السلفية ، وإلا فلو كان لأبى المعالى وأمثاله بذلك علم راسخ ، وكان قد عَضوا عليه بضرس قاطع ؛ لكانوا ملحقين بأئمة المسلمين ، لما كان فيهم من الاستعداد لأسباب الاجتهاد ، ولكن اتبع أهل الكلام المحدث والرأى الضعيف للظن ، ولما تهوى الأنفس ، الذى يقود صاحبه إلى حيث جعله الله مستحقًا لذلك ، وإن كان له من الاجتهاد فى تلك الطريقة ما ليس لغيره ، فليس الفضل بكثرة الاجتهاد ولكن بالهدى والسداد ، كما جاء فى الأثر : ما ازداد مبتدع اجتهادًا إلا ازداد من الله بعدًا ، أو قال النبى ﷺ فى الخوارج : « يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم ، وصيامه مع صيامهم ، وقراءته مع قراءتهم ، يقرءون

القرآن لا يجاوز حناجرهم ، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية »[1] .
ويوجد لأهل البدع من أهل القبلة كالرافضة والقدرية والجهمية وغيرهم من الاجتهاد ، ما لا يوجد لأهل السنة فى العلم والعمل ، وكذلك لكثير من أهل الكتاب والمشركين ، لكن إنما يراد الحسن من ذلك ، كما قال الفضيل بن عياض فى قوله تعالى : ﴿ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ [هود : ٧] ، قال : « أخلصه وأصوبُهْ » .
فقيل له : يا أبا على ، ما أخلصه وأصوبه ؟ فقال : « إن العمل إذا كان خالصًا ولم يكن صوابًا لم يقبل ، وإذا كان صوابًا ولم يكن خالصًا لم يقبل ، حتى يكون خالصًا صوابًا ، والخالص أن يكون للّه ، والصواب أن يكون على السنة »[2] .
وبعد هذا السياق الطويل الذى سقناه عن الإمام ابن تيمية رحمة اللّه عليه فى ردّه على الجوينى أبى المعالى الذى زعم أنه ليس فى الموطأ من أحاديث الصفات شىء ، وقد تعمدت ذكر هذا كله ليقف القارئ عل هذه الحقائق التى يجهلها أكثر الناس عن أئمة الأشاعرة الذين جعلوهم العمدة فى التوحيد وأصول الدين ، وهم مع التحقيق لا علم بالكتاب ولا بالسنة ولا بالآثار السلفية ، فكيف لهم بمعرفة ما به الضرورة من أصول الدين فأنى لهم بالإمامة والقدوة ؟ كما بين ذلك الشيخ ابن تيمية رحمه اللّه ، فنسوق أحاديث الصفات من كتاب الموطأ ناقلين ذلك بالصفحة والجزء مستعينين باللّه ، فهو حسبنا ونعم الوكيل .

---

(١) أخرجه البخارى [٣٣٤٤] ، ومسلم [١٠٦٤] .
(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية [٣٠١/٨] .

قال الإمام مالك عن هشام بن عروة عن أبيه عن زينب بنت أبى سلمة عن أم سلمة زوج النبى ﷺ أنها قالت : جاءت أم سليم امرأة أبى طلحة الأنصارى إلى رسول الله ﷺ فقالت : يا رسول الله ، إن الله لا يستحيى من الحق ، هل على المرأة من غسل إذا هى احتلمت ؟ فقال : « نعم إذا رأت الماء »(١) .

وروى مالك أيضًا عن إسحاق بن عبد الله بن أبى طلحة عن أبى مُرّة مولى عَقيل بن أبى طالب عن أبى واقد الليثى أن رسول الله ﷺ بينما هو جالس فى المسجد والناس معه ، إذْ أقبل ثلاثة نفر ، فأقبل اثنان إلى رسول الله ﷺ وذهب واحد ، فلما وقفا على رسول الله ﷺ سَلَّما ، فأما أحدهما فرأى فُرجة فى الحلقة فجلس فيها ، وأما الآخر فجلس خلفهم ، وأما الثالث فأدبر ذاهبًا . فلما فرغ رسول الله ﷺ قال : « ألا أخبركم عن النفر الثلاثة ، أما أحدهم فآوى إلى الله ؛ فآواه الله ، وأما الآخر فاستحيا ؛ فاستحى الله منه ، وأما الآخر فأعرض ؛ فأعرض الله عنه »(٢) .

التعليق : روى الإمام مالك هذا النص الصحيح الصريح فى هذه الصفة ، وهو من أنصح الناس للأمة ، فلم يؤوّله ولم يحرّفه ولم يعطله ، وعادته رضى الله عنه فى موطئه يعلق على النصوص التى فيها خلاف بين أهل المدينة وغيرهم ، أو يكون له رأى فى توجيه النص ، أما هذا فلإجماع السلف على إثباته ، والقول بظاهره أقره على ما هو عليه ، ولو كان هناك ما يفضى خلاف الظاهر لبينه .

---

(١) رواه مالك فى الموطأ [كتاب الطهارة/٨٥] ، وأخرجه البخارى [١٣٠] ، ومسلم [٣١٣] .

(٢) رواه مالك فى الموطأ [كتاب السلام/٤] ، وأخرجه البخارى [٦٦] ، ومسلم [٢١٧٦] .

صفة الرحمة

قال الإمام مالك عن العلاء بن عبد الرحمن بن يعقوب ، أنه سمع أبا السائب مولى هشام بن زهرة يقول : سمعت أبا هريرة يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من صلى صلاة لم يقرأ فيها بأم القرآن فهى خِدَاج ، هى خِدَاج ، هى خِدَاج ؛ غير تمام » ، قال : فقلت : يا أبا هريرة ، إنى أحيانًا أكون وراء الإمام . قال : فغمز ذراعى ثم قال: اقرأ بها فى نفسك يا فارسى ، فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : قال الله تبارك وتعالى : « قسمت الصلاة بينى وبين عبدى نصفين فنصفها لى ونصفها لعبدى ولعبدى ما سأل » ، قال رسول الله ﷺ : « اقرأوا يقول العبد : الحمد لله رب العالمين . يقول الله تبارك وتعالى : حمدنى عبدى . ويقول العبد : الرحمن الرحيم . يقول الله : أثنى علىّ عبدى . ويقول العبد : مالك يوم الدين . يقول الله : مجدنى عبدى . يقول العبد : إياك نعبد وإياك نستعين ، فهذه الآية بينى وبين عبدى ، ولعبدى ما سأل ، يقول العبد : اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين ، فهؤلاء لعبدى ولعبدى ما سأل »[1] .

التعليق : فماذا يقول الجوينى أبو المعالى وغيره فى هذا النص النبوى العظيم ، فهذا النص قد جمع أمهات الصفات ، بل كما قال الرسول ﷺ فى الفاتحة : « إنها أمّ القرآن »[2] ، وذلك لجمعها أصول الأسماء والصفات خاصة وأصول الدين والعبادة وجزاء المتقين والمخالفين عامة ، فصفة الرحمة ظاهرة فى القرآن والسنة ، وأُكدت فى غير ما آيات وحديث ، وهذا حديث قدسى من أصح الأحاديث ، أخرجه مسلم بهذا اللفظ وغيره ، فالثناء على الله بصفاته وأسمائه طريق أهل الحق والتوحيد ، لا التوسل بالذات والأشخاص ، كطريق المبتدعين ، فحديثنا القدسى يتضمن الثناء بصفة

---

(١) جزء [١/٨٥] الموطأ [كتاب الصلاة/٣٩] ، ومسلم [٣٩٥] .

(٢) رواه الترمذى [٣١٢٤] ، وأبو داود [١٤٥٧] وجاء معناه عند البخارى ومسلم .

الرحمة من العبد لربه وإجابته تبارك وتعالى بقوله : أثنى عليَّ عبدى ، فهل يرده المعطلة ، ويقولون فيه معناه إرادة الإحسان .

وهذا لعَمْرُ اللَّه هو التحريف ، فالإمام مالك رضى اللَّه عنه لشدة ورعه ولسداد فهمه ، ولعلمه باللغة العربية منطوقها ومفهومها ، ترك الحديث على ظاهره ، وأثبت ما أثبته اللَّه لنفسه فى حديث نبيه القدسى ، وهذه هى الطريقة المثلى وغيرها تحريف وضلال ، والحديث فيه من الصفات صفة الملك والربوبية ، وحصر العبادة وتوحيدها لله تعالى ، وستأتى كل واحدة إن شاء اللَّه فى محلها ، والحديث يحتاج إلى بسط وشرح ليبين ما فيه من العلوم والحكم ، وليس قصدنا هذا ، ولكن القصد أن نثبت أحاديث الصفات ونذكرها من كتاب الموطأ للإمام مالك بن أنس ، محققين ما ذكره أنه ألفه ضد الجهمية الذين يضلون الناس كما سبق أن نقلنا عن شيخ الإسلام ابن تيمية .

وروى مالك عن نافع عن عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال :

« اللَّهُمَّ ارحم المحلقين » .

قالوا : والمقصرين يا رسول الله ؟

قال : « اللَّهُمَّ ارحم المحلقين » .

قالوا : والمقصرين يا رسول الله ؟

قال : « والمقصرين »[1] .

التعليق : فهل النفاة والمعطلة أعلم بالله من رسول الله ﷺ الذى يصف ربه بالرحمة الكاملة السابغة الشاملة ، أم ماذا ؟ أو يفسرونها بلازمها ، وتفسيرهم دعاهم إليه مذهبهم الباطل وأصلهم الفاسد الذى وضعوه لتأويل آيات الصفات ، والإمام مالك يذكر هذه الصفات فى موطئه ويقرها على ما هى عليه رضى الله تعالى عنه وأرضاه .

---

(١) رواه مالك فى الموطأ [كتاب الحج/١٨٤] ، والبخارى [١٧٢٧] ، ومسلم [١٣٠١] .

روى مالك عن ابن شهاب عن عروة بن الزبير عن عبد الرحمن بن عبدِ القارىّ ، أنه سمع عمر بن الخطاب وهو على المنبر يُعلّم الناس التشهد يقول : قولوا : التحيات للّه ، الزكيات للّه ، الطيبات الصلوات للّه ، السلام عليك أيها النبى ورحمة اللّه وبركاته ، السلام علينا وعلى عباد اللّه الصالحين ، أشهد أن لا إله إلا اللّه وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله »[1] .

التعليق : هكذا يروى الإمام مالك هذه النصوص العظيمة فى التوحيد ، وفيها من الصفات ما يثلج صدر السلفى ، ويضيق صدر الجهمى المؤول المحرف الذى يتضايق من ذكر هذه النصوص فيضطر إلى تحريفها وتعطيلها ، كما فعل ابن فورك وغيره ، من أئمة المحرفة المعطلة ، الذين جمعوا أحاديث الصفات وحرفوها ، وأتوا لها بما لم يأت به السلف الصالح ، وسموها بعناوين ، نَفَث إبليس فى روعهم ، فسموها بمشكل الحديث . ولازم هذا أن رسول اللّه ﷺ حدثنا بما لا يجوز له أن يُحدّث به ، أو كان يشير إلى ألفاظ ومعان ما استطاع أن يفصح لعموم الأمة بها ، ويأخذ ذلك عنه صحابته الكرام ، وفى مقدمتهم عمر ابن الخطاب أمير المؤمنين ، كما فى هذا الأثر الذى يرويه عنه الإمام مالك ، فهل ذكر مالك هذه المشكلات ، ودلّس على الأمة بالسكوت عنها وأدخلها فى كتابه غاشًّا للأمة ، فلله العجب ، ما أقبحه من تصور ، فلو أنفق أحدنا مثل أُحدٍ ذهبًا ما بلغ مِعْشارهم . فأين الثرى من الثريا ؟

خير القرون المرضية تقارن بين مَنْ دخل فى دين الروافض والمجوس والمعطلة الجهمية . واللّه المستعان .

وقد ذكر الإمام مالك تَشهُّد عبد اللّه بن عمر ، وعائشة أم المؤمنين ، وكلها مليئة بالتوحيد والصفات والشهادة للنبى بالرسالة والنبوة ، فالنموذج الأول يكفى من ذكر بقية الروايات ، فمن شاء رجع إلى المصدر نفسه وأخذ من صفات اللّه وأسمائه ما يحتاج إليه .

---

(١) رواه مالك فى الموطأ [كتاب الصلاة/٥٣] ، والشافعى فى الرسالة [٧٣٨] بتحقيق أحمد شاكر .

قول رسول الله ﷺ : « إن الله لا يمل حتى تملو ... »

روى مالك عن إسماعيل بن أبى حكيم أنه بلغه أن رسول الله ﷺ ، سمع امرأة من الليل تصلى فقال : « من هذه ؟ » ، فقيل له : هذه الحولاء بنت تُوَيْت ، لا تنام الليل ، فكره ذلك رسول الله ﷺ حتى عُرفت الكراهية فى وجهه ، ثم قال : « إن الله تبارك وتعالى لا يمل حتى تملوا ، اكلَفُوا من العمل ما لكم به طاقة »[1] .

صفة الغضب

روى مالك عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار ، أن رسول الله ﷺ قال : « اللَّهُمَّ لا تجعل قبرى وثنًا يُعبَد ، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد »[2] .

قد تقدم فى حديث مالك عن العلاء بن عبد الرحمن فى الحديث القدسى يقول العبد : اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين ، فهؤلاء لعبدى ولعبدى ما سأل [3] .

التعليق : هذه الصفة المَلَل ، وهى كصفات الاستهزاء والخداع المضافة لله فى القرآن ، والصواب فيها ما عليه أئمة السلف من إثباتها لله تعالى على طريق الكمال ، فله استهزاء يليق وهو منه تبارك وتعالى عدل وإنصاف ، وله ملل يليق به ، وهو كمال ، وغير ذلك مما ورد فى هذا المعنى .

---

(١) رواه مالك فى الموطأ [كتاب صلاة الليل/٤] ، وهو عند البخارى [٤٣] ، ومسلم [٧٨٥] .

(٢) رواه مالك فى الموطأ [كتاب قصر الصلاة/٨٥] .

(٣) سبق تخريجه .

صفة الغَيْرة

روى مالك عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة زوج النبى ﷺ أنها قالت : خَسَفت الشمس فى عهد رسول اللَّه ﷺ ، فصلى رسول اللَّه ﷺ بالناس ، فقام فأطال القيام ، ثم ركع فأطال الركوع ، ثم قام فأطال القيام ، وهو دون القيام الأول ، ثم ركع فأطال الركوع ، وهو دون الركوع الأول ، ثم رفع فسجد ، ثم فعل فى الركعة الأخيرة مثل ذلك ، ثم انصرف ، وقد تجلت الشمس، فخطب الناس فحمد اللَّه وأثنى عليه ، ثم قال : « إن الشمس والقمر آيتان من آيات اللَّه ، لا يَخْسِفَان لموت أحد ولا لحياته ، فإذا رأيتم ذلك فادعوا اللَّه وكبروا وتصدقوا . ثم قال : يا أمة محمد ، واللَّه ما من أحد أغير من اللَّه أن يزنى عبده أو تزنى أَمته ، واللَّه لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلًا ولبكيتم كثيرًا »[1] .

التعليق : فى هذا الحديث إثبات الغيرة للَّه تعالى ، من رسول اللَّه ﷺ ، وهو أعلم الناس به ، فماذا سيقول الجهمية ؟ هل سيقرون الصفة على ظاهرها فيثبتونها كما أثبتها السلف الصالح أم سوف يحرفونها إلى ما تُمليه عليهم شياطينهم ، وإلى ما تهواه أنفسهم ، التى أُشربت بحب البدع والمبتدعة ؟ والإمام مالك رضى اللَّه عنه برىء منهم ، عدوٌّ لهم .

---

(١) رواه مالك فى [١٨٦/١] الموطأ [كتاب صلاة الكسوف/١] ، والبخارى [١٠٤٤] ، ومسلم [٩٠١] .

ما جاء فى قراءة ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾

روى مالك عن عبد الرحمن بن عبد الله بن أبى صعصعة عن أبيه عن أبى سعيد الخدرى أنه سمع رجلًا يقرأ ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ يرددها ، فلما أصبح غدا إلى رسول الله ﷺ فذكر ذلك له ، وكأن الرجل يتقالّها ، فقال رسول الله ﷺ : « والذى نفسى بيده إنها لتعدل ثلث القرآن »[1] .

التعليق : لماذا هذا التعظيم لهذه السورة القصيرة ، ألها خاصية من الخواص أم ماذا ؟ الحقيقة أن خاصيتها لما تحمله من معانى التوحيد وجوامع الأسماء والصفات ، فلهذا المزدد لقراءتها يردد العقيدة فى قلبه ، ويثنى على الله تعالى بما هو أهله ، فهذه هى مزيتها ، والقرآن كله خير وبركة ، وأعظم آياته ما دل على أسمائه وصفاته سبحانه وتعالى ، فالإمام مالك يذكر هذه النصوص فى موطئه مقتنعًا بدلالتها وما تحويه من معان سامية ، وهو بذلك يشارك فى نقل سنة رسول الله ﷺ إلى أمة محمد ، ويثبت عقيدتها بما ينبغى أن تثبت به .

---

(١) رواه مالك فى الموطأ [كتاب القرآن/١٧] ، والبخارى [٥٠١٣] .

صفة السمع

روى مالك عن نُعيم بن عبد اللَّه المُجْمِر عن على بن يحيى الزُّرقى عن أبيه عن رفاعة بن رافع أنه قال : كنا يومًا نصلى وراء رسول اللَّه ﷺ ، فلما رفع رسول اللَّه ﷺ رأسه من الركعة وقال : « سمع اللَّه لمن حمده » ، قال رجل وراءه : ربنا ولك الحمد حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه .

فلما انصرف رسول اللَّه ﷺ قال : « من المتكلم آنفًا ؟ »

فقال الرجل : أنا يا رسول اللَّه .

فقال رسول اللَّه ﷺ : « لقد رأيت بضعة وثلاثين ملكًا يبتدرونها ؛ أيهم يكتبهن أول »[1] .

التعليق : هكذا كان الصحابة رضوان اللَّه عليهم يفهمون العقيدة فهمًا جيدًا أساسيًا واضحًا ، فبمجرد ما يسمعون أو يقرءون اسمًا أو صفة لله تبارك وتعالى يتبادرون إلى التعلق بها ، فيثبتونها ويثنون على اللَّه بها ، فهذا الرجل المذكور فى الحديث لم يقل هذا الدعاء الذى أعجب النبى ﷺ وتخطفته الملائكة تتسابق إلى كتابته إلا لإدراكه صفة اللَّه التى ذكرها رسول اللَّه ﷺ . والجهمية وضروبهم يحرمون الناس من هذا الخير الكثير ، ويصدونهم عنه بضلالهم وتعطيلهم الخبيث ، فرضى اللَّه عن الإمام مالك ، إذ يُكْثِر فى موطئه إثبات الأسماء والصفات ، يُرغم بذلك أنوف المعطلة .

---

(١) رواه مالك فى الموطأ [كتاب القرآن/٢٥] ، والبخارى [٧٩٩] .

صفة النزول

روى مالك عن ابن شهاب عن أبى عبد الله الأغر وعن أبى سلمة عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا ، حين يبقى ثلث الليل الآخِر ، فيقول : من يدعونى فأستجيب له ، من يسألنى فأعطيه ، من يستغفرنى فأغفر له »[1] .

التعليق : هذا الحديث من الأحاديث التى أكثر الجهمية فيها الخوض والشغب ، وبيّن لهم أهل السنة المنهاج الصحيح فى هذه الصفة ومثلها ، فقد ألف شيخ الإسلام ابن تيمية رسالةً مفيدة سماها : شرح حديث النزول ، وألف الدارقطنى قبله رسالة جمع فيها أحاديث النزول . وحديث النزول متواتر الطرق والمعنى ، أجمع عليه أئمة السلف ، ورواه المصنفون فى كتبهم ؛ أصحاب الصحاح وغيرهم . والنزول نقول فيه كما قال الإمام مالك رحمه الله فى صفة الاستواء : النزول معلوم ، والكيف مجهول ، والسؤال - أى عن الكيفية - بدعة . فرحم الله الإمام مالكًا إذ يروى لنا هذه الأحاديث العظيمة التى نزداد بها إيمانًا ، ويترتب عليها من المنافع الدنيوية والأخروية ما الله عليم به ، فمن يقر بنزول الله تعالى إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر يكثر تعلقه بربه ، ويجتهد فى دعائه ، وتكمل بذلك عبوديته ، وتُقضى حاجته ، ويغفر ذنبه ، إلى غير ذلك من المنافع التى يعرفها أولو الأبصار .

---

(١) رواه مالك فى الموطأ [كتاب القرآن/٣٠] ، والبخارى [٦٣٢١] ، ومسلم [٧٥٨] .

صفة الرضا والسخط

روى مالك عن يحيى بن سعيد عن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمى أن عائشة أم المؤمنين قالت : كنت نائمة إلى جنب رسول الله ﷺ ففقدته من الليل ، فلمسته بيدى ، فوضعت يدى على قدمه وهو ساجد يقول : « أعوذ برضاك من سخطك ، وبمعافاتك من عقوبتك ، وبك منك ، لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك »[1] .

التعليق : هكذا يتعلق رسول الله ﷺ بصفات الله ويلوذ بها ، ويستعيذ بها ، ويجعلها وِرْدَه فى أهم عبادته وفى أعظم حالة عبوديته ، فليست هناك حالة أعظم من السجود ، ففى السجود تجتمع الجوارح والقلب ، وهو التعبير الكبير عن العبودية ، فماذا يقول الجهمية قبحهم الله فى صدِّ الناس عن أسماء الله وصفاته التى هى سعادة الدارين ؟! وهى متعلق نبينا ﷺ ، وهى عروته الوثقى ، وهى مفزعه فى شدته وكربه ، لا مفزع له سواها ، فالإمام مالك ومشايخه وتلامذته يؤكدون هذه الحقيقة بهذه الأسانيد وهذه الروايات ، فأين أبو المعالى الجوينى وأترابه من أذناب الجهمية والمعتزلة من صفة الرضا والسخط المستعاذ بهما ، والمستعاذ منهما ؟! فهل يفسرون الرضا بلازمه وهو إرادة الثواب ، والسخط بلازمه وهو إرادة العقاب ؟ فهذا لَعَمْرَ الله من الحماقات والسفاهات التى ما خطرت ببال الإمام مالك وسلفه الصالح رضوان الله عليهم .

---

(١) رواه مالك فى الموطأ [كتاب القرآن/٣١] وقال ابن عبد البر : لم يختلف عن مالك فى إرساله ، وهو مسند من حديث الأعرج عن أبى هريرة عن عائشة ، أخرجه مسلم [٤٨٦] .

صفتى النور والحق

روى مالك عن أبى الزبير المكى عن طاوس اليمانى عن عبد اللّه بن عباس أن رسول اللّه ﷺ : كان إذا قام إلى الصلاة من جوف الليل يقول : « اللّهُمَّ لك الحمد ، أنت نور السمٰوات والأرض . ولك الحمد ، أنت قَيّام السمٰوات والأرض . ولك الحمد ، أنت رب السمٰوات والأرض ومن فيهن ، أنت الحق ، وقولك الحق ، ووعدك الحق ، ولقاؤك حق ، والجنة حق ، والنار حق ، والساعة حق ، اللّهُمَّ لك أسلمت ، وبك آمنت ، وعليك توكلت ، وإليك أنبت ، وبك خاصمت ، وإليك حاكمت ، فاغفر لى ما قدمت وأخرت ، وأسررت وأعلنت ، أنت إلهى لا إله إلا أنت »[1] .

التعليق : هذه الابتهالات وهذه العبودية الكاملة من إمام المتقين وسيد المرسلين تدل دلالة واضحة على عِظَمِ الأسماء والصفات ، وأن نبى اللّه ﷺ كان يغذى روحه وجسمه بها فى كل لحظة من لحظات حياته ، فماذا لو أردنا شرح هذا الدعاء العظيم ، وتتبعه جزئية جزئية ، اسمًا وصفةً واعترافًا بالانقياد الكامل ، والوقوف على عتبة العبودية فى أفضل الأوقات .

فمن يقرأ هذا النص ومثله يعرف سفاهة الجهمية وأمثالهم من دعاة التعطيل ، فصلى اللّه على نبينا محمد وجزاه عنا خيرًا ، إذ علّمنا هذه الأسماء وهذه الصفات ؛ نستعيذ بها فى دنيانا وأخرانا ، ورحمة اللّه على الإمام مالك إذ روى لنا هذه النصوص ومثلها وأيقظ اللّه شباب المسلمين لدراسة هذه النصوص والاقتداء بها ، فله الحمد وهو الحق ، وهو نور السمٰوات والأرض ، يا من اتصف بالنور والحق نَوِّرْ قلوبنا واهدنا إلى الحق ، فأنت الحق وقولك الحق ولقاؤك الحق .

---

(١) رواه مالك فى الموطأ [كتاب القرآن/٣٤] ، والبخارى [٦٣١٧] ، ومسلم [٧٦٩] .

صفة المحبة والكراهية

روى مالك عن أبى الزناد عن الأعرج عن أبى هريرة أن رسول اللّه ﷺ قال : « قال اللّه تبارك وتعالى : إذا أحب عبدى لقائى أحببت لقاءه ، وإذا كره لقائى كرهت لقاءه »[1] .

التعليق : فى هذا النص العظيم محبة اللّه لعبده إذا أحب لقاءه ، وكراهة اللّه لعبده إذا كره لقاءه ، فمحبة اللّه صفته اللائقة به وبكماله ، ومحبة العبد لائقة به ، وبضعفه وعجزه ، وكراهية اللّه صفة تليق به وبكماله وبعدله وإحسانه ، وكراهية المخلوق صفة تليق به وبعجزه وتقصيره .

فهذا الحديث الجامع لهاتين الصفتين من جوامع كلمه ﷺ ، وهو نتيجة حياة طويلة انبنت عليها هذه المحبة وتلك الكراهية ، فمن أطاع اللّه وأطاع رسوله وعَبدَ اللّه بما شرعه وعرف أسماءه وصفاته تعلق به وبلقائه ، وإذا عصاه وعصى رسوله وجهل أسماءه وصفاته وأفعاله جهل قدره وكره لقاءه .

---

(١) رواه مالك فى الموطأ [كتاب الجنائز/٥٠] ، والبخارى [٧٥٠٤] .

صفة مُقلِّب القلوب

ذكر مالك أنه بلغه أن رسول الله ﷺ كان يقول : « لا ومقلب القلوب »[1] .

التعليق : هكذا كان سيد الأولين والآخرين يقسم أحيانًا باسمه وأحيانًا بصفاته على حسب ما يقتضيه الحال ، ومن أعظم صفاته تبارك وتعالى هذه الصفة الَّتى كان يستغيث بها فى سجوده ، ويقول : « يا مقلب القلوب ، ثبِّتْ قلبى على دينك »[2] ، وهنا يُقسِم بها ، والمُقْسم له يدرى ما معنى المقسم به ، فيصدق بذلك ، ويمتلئ قلبه عظمة وإيمانًا ، وتأخذه الدهشة والرِّعدة والخوف من جلال الله ، حيث إن هذا ليس لغيره ، ولا يجوز أن يوصف بهذه الصفة غيره ، فهو الذى يحول بين المرء وقلبه ، وهو الذى يقلب القلوب ، فيا مقلب القلوب علمنا أسماءك وصفاتك ، واهدنا بها ، واجعلها قرة لأعيننا ، ودواء لقلوبنا ، وأزل بها عنا مرض الشرك والشك والريبْ والتعطيل ، ولا تجعل لنا نصيبًا فى الفِرقة المنحرفة عن منهاج أهل السنة والجماعة ، وارض اللهم عن إمامنا مالك ، الذى ربطنا بميراث نبيك ، وجعل موطئه منبعًا لأسمائك وصفاتك .

---

(١) رواه مالك فى الموطأ [كتاب النذور والأيمان/١٥] ، والبخارى [٦٦٢٨] .

(٢) رواه الترمذى [٣٥٢٢] ، وابن ماجه [١٩٩] .

ما جاء فى التعوّذ بكلمات اللّه

روى مالك عن يحيى بن سعيد قال : بلغنى أن خالد بن الوليد قال لرسول اللّه ﷺ : إنى أُروَّع فى منامى . فقال له رسول اللّه ﷺ : « قل : أعوذ بكلمات اللّه التامة ، من غضبه وعقابه وشر عباده ، ومن همزات الشياطين ، وأن يحضرون »[1] .

التعليق : فى هذا الحديث إثبات صفة الكلام للّه تعالى ؛ لأنه لو لم يكن الكلام من صفاته ما جاز الاستعاذة به ؛ لأن المعلوم عند علماء السلف أنه لا يجوز الاستعاذة إلا باللّه وصفة من صفاته ، فلهذا ومثله قام علماء السلف رضى اللّه عنهم فى وجه الجهمية ، الذين شاغبوا بكل شبهة باطلة ، فزعموا أن كلام اللّه مخلوق ، وبالتالى لو سلم لهم السلف هذه الدعوى الباطلة لكانت كل صفاته مخلوقة ، ومن كانت صفاته مخلوقة فهو مخلوق حتمًا ، وبالتالى فلا إله ولا معبود ، وهكذا تؤدى هذه المناهج الضالة إلى الكفر لا محالة ، وهذه الصفة العظيمة قد أكثر اللّه فى تمجيدها وذكرها ، وقد أكثر الرسول ﷺ التعلق بها والاستعاذة بها ، كما فى هذا الحديث وأمثاله ، بل هى من رُقى الأنبياء قبل نبينا ﷺ ، فرضى اللّه عن الإمام مالك حيث أوقفنا على هذه الصفة الكريمة ، وشرف موطئه بذكرها ، فماذا يقول الجوينى وأتباعه فى إنكار أن الموطأ ليس فيه من أحاديث الصفات شىء .

ويستفاد من الحديث أيضًا صفة الغضب ، وقد تقدم الكلام عليها .

وقد روى مالك عن سهيل بن أبى صالح عن أبيه عن أبى هريرة أن رجلاً من أسلم قال : ما نمت هذه الليلة . فقال له رسول اللّه ﷺ : « من أى شىء ؟ » ، فقال : لدغتنى عقرب . فقال رسول اللّه ﷺ : « أما إنك لو قلت حين أمسيت : أعوذ بكلمات اللّه التامات من شر ما خلق . لم تضرك »[2] .

---

(١) رواه مالك فى الموطأ [كتاب الشعر/٩] ، ، وأحمد فى المسند [٤/٥٧،٦/٦] .

(٢) رواه مالك فى الموطأ [كتاب الشعر/١١] ، ومسلم [٢٧٠٩] .

وروى مالك أيضًا عن سُمَيٍّ مولى أبى بكر عن القعقاع بن حكيم أن كعب الأحبار قال : لولا كلمات أقولهن لجعلتنى يهودُ حمارًا . فقيل له : وما هن ؟ فقال : أعوذ بوجه اللَّه العظيم الذى ليس شىء أعظم منه ، وبكلمات اللَّه التامات ، لا يجاوزهن برٌّ ولا فاجر ، وبأسماء اللَّه الحسنى كلها ، ما علمت منها وما لم أعلم من شر ما خلق وبرأ وذرأ [1] .

(١) روا مالك فى الموطأ [كتاب الشعر/١٢] .

صفة الوجه

روى مالك عن يحيى بن سعيد أنه قال : أُسرى برسول اللَّه ﷺ فرأى عِفريتًا من الجن يطلبه بشعلة من نار ، كلما التفت رسول اللَّه ﷺ رآه .

فقال له جبريل : أفلا أعلمك كلمات تقولهن ، إذا قلتهن طفئت شعلته وخرَّ لِفِيه ؟

فقال رسول اللَّه ﷺ : « بلى » .

فقال جبريل : فقل : أعوذ بوجه اللَّه الكريم ، وبكلمات اللَّه التامات اللاتى لا يجاوزهن برٌّ ولا فاجر ، من شر ما ينزل من السماء ، وشر ما يعرج فيها ، وشر ما ذرأ فى الأرض ، وشر ما يخرج منها ، ومن فتن الليل والنهار ، ومن طوارقِ الليل والنهار ، إلا طارقًا يطرق بخير يا رحمن [1] .

التعليق : هذا الحديث مرسل من جهة إسناده ، والذى يهمنا أن مالكًا قد اقتنع به ، وقد أدخله فى موطئه للاحتجاج به ، والغرض منه إثبات صفة الوجه ، وهى من أعظم الصفات التى دفعها الجهمية بشبههم الباطلة ،وقد تكرر ذكرها فى كتاب اللَّه وعلى لسان رسول اللَّه ﷺ ، وأثبتها علماء السلف ، كما أثبتها الإمام مالك تبعا لهم رضى اللَّه عن الجميع ، والجهمية يفسرونها بالذات ، ويتهمون اللَّه ونبيه بالعىّ وعدم الفصاحة ؛ لأنه لم يستطع أن يقول : أعوذ بذات اللَّه الكريمة ، وقال : أعوذ بوجه اللَّه الكريم ، فجاء بالصفة المضافة إلى موصوفها وأكد ذلك بالنعت ، فلا أدرى هل بعد هذا البيان من بيان ؟ وهل بعد هذه البلاغة من بلاغة ؟! فقبح اللَّه بلاغة تُعلِّمُنَا دفع الأسماء والصفات بأنواع مِن المجازات التى أكثرها من المغالطات والمهاترات ، فلينتبه الشباب إلى حيل الجهمية من معتزلة وأشاعرة ، فإنها كثيرة متنوعة ، فتارة باسم المجاز وتارة باسم الاستعارة وتارة باسم الكناية ، وكل حالة لها جلبابها من الكذب والزور والبهتان ، نسأل اللَّه السلامة والعافية .

وفى الحديث إثبات صفة الكلام ، وقد تقدمت فيما مضى .

---

(١) رواه مالك فى الموطأ [كتاب الشعر/١٠] وهو مرسل .

صفة الكف

روى مالك عن يحيى بن سعيد عن أبى الحبُاب سعيد بن يَسَار أن رسول اللَّه ﷺ قال : « من تصدق بصدقة من كسب طيب ، ولا يقبل اللَّه إلا طيبًا ، كان إنما يضعها فى كف الرحمن ، يُرَبِّيها كما يُرَبِّى أحدكم فِلُوَّه أو فصيله ، حتى تكون مثل الجبل »[1] .

التعليق : هذا الحديث رواه مالك بطريق مرسل ، وأخرجه البخارى ومسلم فى صحيحيهما ، وإثبات صفة الكف لله تعالى ظاهرة فى الحديث ، فلا نعدل بها إلى تحريف وتعطيل الجهمية الذين نصبوا أنفسهم حربًا على أسماء اللَّه وصفاته ، فهل الإمام مالك عدل عن هذه الصفة ولم يروها ، أو رواها وحَرّفها ، أو أثبتها بروايته وأيدها بإقراره . ما فى الموطأ إلا الأخير ؟ وأما الأول فليس منهاجه ذلك .

---

(١) رواه مالك فى الموطأ [كتاب الصدقة/١] وهو مرسل ، ولكن مجمع على صحته فهو عند البخارى [١٤١٠] ، ومسلم [١٠١٤] .

صفة العلو

روى مالك عن هلال بن أسامة عن عطاء بن يسار عن عمر بن الحكم أنه قال : أتيت رسول اللّه ﷺ ، فقلت : يا رسول اللّه ، إن جارية لى كانت ترعى غنمًا لى ، فجئتها وقد فقدت شاة من الغنم ، فسألتها عنها فقالت : أكلها الذئب . فأَسِفتُ عليها ، وكنت من بنى آدم ، فلطمت وجهها ، وعلىَّ رقبة أفأعتقها ؟

فقال لها رسول اللّه ﷺ : « أين اللّه ؟ » ، فقالت : فى السماء . فقال : « من أنا ؟ » ، فقالت : أنت رسول اللّه . فقال رسول اللّه ﷺ : « اعتقها » [1] .

التعليق : هذا الحديث وغيره مما جاء فى الكتاب والسنة فى إثبات صفة العلو للواحد القهار ، وقد دفعها الجهمية بما لا معنى له ، وقد أُلفَ فيها علماء كبار وجمعوا ما ورد فى ذلك من نصوص الكتاب والسنة ، وفى مقدمتهم الإمام العلّامة ابن القيم فى كتابه : « اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية » ، وقد نَظَمَ أدلة العلو فى نونيته العظيمة التى ما أُلِّفَ مثلها فى عقيدة الفرقة الناجية .

وألف فى ذلك الإمام الذهبى كتابه العظيم : « العلو للعلى الغفار » .

وألف علماء قبلهم مثل المقدسى وغيره ، ووضوح هذه الصفة من أدلة الكتاب والسنة والفطرة والعقل واضحة ، لا وضوح بعده ، إلا من أراد الضلال والحيرة والشك .

فلماذا أدخل الإمام مالك هذه الصفة فى موطئه ، وأين الجوينى والرازى وأضرابهم من الجهمية وذيولهم أوقفوا حياتهم على دفعها وردها ؟!

وهل الإمام مالك كان يجهل هذه الصفة ؟ وأدخل عليه الرواة من الألفاظ ما يجعله مجسِّمًا أو عَلِمَ باضطراب الحديث وضعفه وأدخله فى موطئه الذى تركه للأمة حجة بعده .

كل ذلك لم يكن ، فالحديث صحيح عند مالك وأئمة الحديث قبله وبعده ، وهو من أئمة العقيدة والفقه ، يعرف كل كلمة ومدلولها ، ويعرف كل جملة وسياقها ، فليُناد

---

(١) رواه مالك فى الموطأ [كتاب العتق/٨] ، ورواه الشافعى فى الرسالة [٢٤٢] .

الجهمية على أنفسهم بالويل والثبور ، فإن أئمة السلف رضى اللّه عنهم شوكة فى حلوقهم ، وسيبقى تلامذتهم من بعدهم واثقين بهذه الرسالة المباركة ، ذَابِّين مدافعين عن سنة رسول اللّه ﷺ جملة وتفصيلاً ، وهذا وعد من اللّه على لسان رسوله ﷺ « لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم حتى يأتى أمر اللّه » [1] . واللّه المستعان .

(١) أخرجه البخارى [٧٤٥٩] .

صفة الضحك

روى مالك عن أبى الزناد عن الأعرج عن أبى هريرة أن رسول اللّه ﷺ قال : « يضحك اللّه عز وجل إلى رجلين يقتل أحدهما الآخر ، كلاهما يدخل الجنة ؛ يقاتل هذا فى سبيل اللّه فيقتل ، ثم يتوب اللّه على القاتل فيقاتل فيستشهد »[1] .

التعليق : هذه الصفة مما تواتر الحديث بها نقلًا عن رسول اللّه ﷺ ، وهى صفة تليق بكمال اللّه وعظمته ، لا يتوهم فيها تشبيه ولا تكييف ما للمخلوق . فسبحان من تنزه عن الكيفية والشبه بخلقه .

---

(١) رواه مالك فى الموطأ [كتاب الجهاد/٢٨] ، وابن عبد البر فى التمهيد [٣٤٤/١٨] والبخارى [٢٨٢٦] ، ومسلم [١٨٩٠] .

صفة العزة

روى مالك عن يزيد بن خصيفة أن عمرو بن عبد اللّه بن كعب السلمى أخبره أن نافع بن جبير أخبره عن عثمان بن أبى العاص أنه أتى رسول اللّه ﷺ . قال عثمان : وبى وجَعٌ قد كاد يهلكنى ، قال : فقال رسول اللّه ﷺ : « امسحه بيمينك سبع مرات ، وقل : أعوذ بعزة اللّه وقدرته من شر ما أجد » ، قال : فقلت ذلك فأذهب اللّه ما كان بى ، فلم أزل آمر بها أهلى وغيرهم (١) .

التعليق : هذه الصفة قد تكرر ذكرها فى كتاب اللّه فى عشرات الآيات ، وتكرر ذكرها على لسان رسول اللّه ﷺ ، وبوّب عليها الإمام البخارى رحمه اللّه فى صحيحه فى الكتاب الذى عقده للرد على الجهمية ، والإمام مالك من السلف الصالح الذين أثبتوها وذكروها فى مؤلفاتهم ، فليصرخ الجهمية ولينادوا على أنفسهم بالجهل ؛ حيث زعموا أن مالكًا والشافعى والثورى وأمثالهم لم يذكروا أحاديث الصفات ، فهل ترك الإمام مالك صفة من الصفات ، فمن قارن ما ذكرته فى هذا البحث القيم يجده أكثر ما ذكره ابن خزيمة فى توحيده ، والآجرى فى شريعته ، وغيرهم ممن أغضب الجهمية ، وعلى رأسهم الجوينى وأتباعه ومحبوه .

---

(١) رواه مالك فى الموطأ [كتاب العين/٩] ، والترمذى [٢٠٨٠] ، وأبى داود [٣٨٩١] .

صفة النظر

روى مالك فى موطئه عن عبد اللَّه بن دينار عن عبد اللَّه بن عمر أن رسول اللَّه ﷺ قال : « الذى يَجرُّ ثوبه خيلاء لا ينظر اللَّه إليه يوم القيامة »[1] .

وروى عن أبى الزناد عن الأعرج عن أبى هريرة أن رسول اللَّه ﷺ قال : « لا ينظر اللَّه تبارك وتعالى يوم القيامة إلى من يجر إزاره بَطَرًا »[2] .

وروى عن نافع وعبد اللَّه بن دينار وزيد بن أسلم ، كلهم يخبره عن عبد اللَّه ابن عمر أن رسول اللَّه ﷺ قال : « لا ينظر اللَّه يوم القيامة إلى من يجر ثوبه خيلاء »[3] .

وروى عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه أنه قال : سألت أبا سعيد الخدرى عن الإزار ، فقال : أنا أخبرك بعلم . سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول : « إزْرة المؤمن إلى أنصاف ساقيه ، لا جناح عليه فيما بينه وبين الكعبين ، ما أسفل من ذلك فى النار ، ما أسفل من ذلك فى النار ، لا ينظر اللَّه يوم القيامة إلى من جَرَّ إزاره بطرًا »[4] .

---

(١) رواه مالك فى الموطأ [كتاب اللباس/٩] .

(٢) رواه مالك فى الموطأ [كتاب اللباس/١٠] ، والبخارى [٥٧٨٨] .

(٣) رواه مالك فى الموطأ [كتاب اللباس/١١] ، والبخارى [٥٧٨٣] ، ومسلم [٢٠٨٥] .

(٤) رواه مالك فى الموطأ [كتاب اللباس /١٢] ، ، وأبو داود [٤٠٩٣] ، وابن ماجه [٣٥٧٣] .

موقف مالك من الـمُشَبِّهة

ظاهرة التشبيه قديمة ، ظهرت مناقضة لظاهرة التعطيل فى أسماء اللّه وصفاته ، وأكثر الفرق التى اتصفت بها فرق الشيعة الأوائل ، قبل أن يكونوا معتزلة ، فرد السلف هذه الظاهرة الخبيثة ، ولعلها تفرعت من الحلول الصوفى الذى نشره دعاة الضلال ، ولهذا جاء كثيرًا على لسان السلف : مَنْ شَبَّه اللّه بخلقه فقد عبد صنمًا ، ومَنْ عطل اللّه عن صفاته وأسمائه فقد عبد عدمًا .

وكان الإمام مالك رضى اللّه عنه ممن شارك فى مواجهة هذه الطائفة الضالة .

قال ابن عبد البر فى التمهيد :

روى حرملة بن يحيى قال : سمعت عبد اللّه بن وهب يقول : سمعت مالك ابن أنس يقول : من وصف شيئًا من ذات اللّه مثل قوله : ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ﴾ [المائدة : ٦٤] ، وأشار بيده إلى عنقه ، ومثل قوله : ﴿ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى : ١١] ، فأشار إلى عينيه أو أذنيه أو شيئًا من بدنه ، قُطِعَ ذلك منه ؛ لأنه شبه اللّه بنفسه ، ثم قال مالك : أما سمعت قول البراء حين حدث عن النبى ﷺ قال : « لا يضحى بأربع من الضحايا » [1] وأشار البراء بيده كما أشار النبى ﷺ بيده ، قال البراء : ويدى أقصر من يد رسول اللّه ﷺ ، فكره البراء أن يصف رسول اللّه ﷺ ؛ إجلالًا له وهو مخلوق ، فكيف الخالق الذى ليس كمثله شىء ؟

قال أبو عمر : أخبرنا عبد اللّه بن محمد بن بكر حدثنا أبو داود حدثنا هارون ابن معروف حدثنا سفيان عن هشام بن عروة عن أبيه عن أبى هريرة رضى اللّه عنه

---

(١) رواه مالك فى الموطأ [كتاب الضحايا/١] ، وأبو داود [٢٨٠٢] ، والترمذى [١٥٤٦] ، والنسائى [٤٠٧٤] ، وابن ماجه [٣١٤٤] .

قال : قال رسول اللَّه ﷺ : « لا يزال الناس يتساءلون حتى يقولوا : هذا خَلْقُ اللَّه ، فمَنْ خَلَق اللَّه ؟ فمن وجد من ذلك شيئًا فليقل : آمنت باللَّه »[1] .

قال : وأخبرنا عبد اللَّه ، حدثنا محمد ، حدثنا أبو داود ، حدثنا محمد بن عمر ، حدثنا سلمة بن الفضل ، حدثني محمد بن إسحاق قال : حدثني عتبة بن مسلم مولى بن تميم عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة رضى اللَّه عنه ، سمعت رسول اللَّه ﷺ فذكر نحوه ، قال : فإذا قالوا : فقولوا : ﴿ ٱللَّهُ أَحَدٌ . ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ . لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ . وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ ، ثم ليتفل عن يساره ثلاثًا ، ويستعذ باللَّه من الشيطان الرجيم[2] .

(١) ذكره ابن عبد البر فى التمهيد [١٤٥/٧] ، وأخرجه مسلم [١٣٤] ، والبخارى [٣٢٧٦] بمعناه .

(٢) ذكره ابن عبد البر فى التمهيد [١٦٤/٧] .

موقفه من بدعة الإرجاء

لقد ساق الإمام مالك رحمه الله فى كتابه الموطأ من الأحاديث التى ترد على المرجئة الدافعين لمذهب السلف ، والقائلين بأن الإيمان لا يزيد ولا ينقص ، وأن العمل ليس جزءًا من الإيمان ، وموطؤه هذا ما أَلَّفه إلا للرد على أهل البِدَع ، وهؤلاء منهم .

روى مالك عن ابن شهاب عن سالم بن عبد الله بن عمر عن أبيه رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ مر على رجل وهو يعظ أخاه فى الحياء ، فقال رسول الله ﷺ : « دعه فإن الحياء من الإيمان » [1] .

التعليق : فهذا الحديث صريح فى أن العمل جزء من الإيمان ، وهذا مذهب السلف الصالح قاطبة ، وهو مذهب الإمام مالك ، كما هو واضح من سياقه للحديث فى موطئه ، وقد أخرج ابن بطة فى الإبانة بالسند إلى سلمة بن شبيب ، حدثنا عبد الرزاق ، سمعت سفيان وابن جريج ومالكًا كلهم يقولون : الإيمان قول وعمل ، يزيد وينقص[2] .

---

(١) ذكره ابن عبد البر فى التمهيد [٢٣٢/٧] ورواه مالك فى الموطأ [كتاب حسن الخُلق/١٠] ، والبخارى [٢٤] ، ومسلم [٣٦] .

(٢) الإبانة لابن بطة [ص : ٧٠٠] .

وقد جاء فى تفسير القرطبى : وروى ابن وهب وابن القاسم وابن عبد الحكم وأشهب عن مالك فى قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ﴾ [البقرة : ١٤٣] قال : صلاتكم [1] .

التعليق : فهذه النصوص صريحة عن الإمام مالك فى رده على المرجئة ودفع مذهبهم الفاسد ، الذى لازمه القعود عن العمل ، واستواء أبى بكر وعمر بأفجر الناس ، وهذا المذهب الخبيث قد انتشر فى كثير من الفئات والطبقات ، وتترّس به كل قعيد عن العمل ، متكاسل فاسق فاجر ، تارك للصلاة ، شراب للخمر ، هاتك للأعراض ، كل هؤلاء يقولون : الإيمان فى القلب ، والعمل إنما مجرد ثمرة الإيمان ، وما تضر المعصية إذا كان الإيمان ثابتًا فى القلب ، وهكذا جرّأ هذا المذهب الخبيث كل فاسق وفاجر مضيع للفرائض والواجبات ، وفى شباب أهل السنة الكفاية فى بيان فساد هذا المذهب واستعانتهم بنصوص هؤلاء الأئمة الفحول .

---

(١) تفسير القرطبى [١٥٨/٢] .

موقف الإمام مالك من بدعة القدر

لقد ساق الإمام مالك رحمه اللّه فى موطئه من الأحاديث ما فيه الكفاية للرد على هذه الفرقة الضالة المشاغبة ، التى مرت على المسلمين بسببها محن لا يعلمها إلا اللّه ، وما تزال ذيولها وأخطارها منتشرة فى كتب المسلمين ومؤلفاتهم ، وفى أذهانهم وصفاتهم ، وقد بينتُ ذلك بحمد اللّه فى قسم التحديات من كتابنا العقيدة السلفية فى مسيرتها التاريخية وقدرتها على مواجهة التحديات ، وسنبدأ فى هذا الموقف بنقل أقوال الإمام مالك ومواقفه ، ثم نثنى بنقل الأحاديث من كتابه الموطأ .

جاء فى الاعتصام : فمثل ما لا يقدر على رده ، ما حكى الباجى قال : قال مالك : لا تُمكِّن زائغَ القلب من أذنك ، فإنك لا تدرى ما يَعلَقُكَ من ذلك .

ولقد سمع رجل من الأنصار من أهل المدينة شيئًا من بعض أهل القَدَر ، فعلق قلبه ، فكان يأتى إخوانه الذين يستنصحهم ، فإذا نهوه قال : فكيف بما علق قلبى ، لو علمت أن اللّه يرضى أن ألقى نفسى من فوق هذه المنارة فعلت .

ثم حكى أيضًا عن مالك أنه قال : ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾ [المجادلة : ٢٢] فلا توادوهم[1].

التعليق : تأمل ماذا فى هذا النص من الحِكَم فى مفارقة البدع والمبتدعة عامة ، والقدرية خاصة ؛ مفارقة جسدية ، وإبعاد الجوارح عن مشاهدتهم وعن السماع لأقوالهم ، وأنهم ممن يحادون اللّه ورسوله ، وأن الذى تسرب إليه شىء من بدعهم يرى أن إلقاء نفسه من أعلى المنارات ، إن كان كفارة له ، فعل ، فكيف بحالنا نحن الذين نعايش المبتدعة ونستحسن بدعهم ونقرهم عليها ونؤيدهم ، ونشاركهم ونفرح بهم ، ولقاؤنا معهم ودخولهم إلى بيوتنا نعتبره تشريفًا ، ونجمعهم من حين إلى آخر قصد الصلة والمزاورة والدعاء ، فأين هذا من مذهب الإمام مالك ، وما يروى عنه ، ودعوته إلى مفارقة المبتدعة ؟! وإنهم زائغون مفارقون للكتاب والسنة ، محادون للّه ورسوله . واللّه المستعان .

---

(١) كتاب الاعتصام [١/١٣١] .

جاء فى أصول الاعتقاد : قال عبد اللّه بن أحمد عن أبيه أحمد بن حنبل ، أنه قال : كان ثور بن يزيد الكلاعى كان يرى القدر ، وكان من أهل حمص ، فأخرجوه ونفوه ؛ لأنه كان يرى القدر .

قال : وبلغنى أنه أتى المدينة فقيل لمالك : قد قدم ثور . فقال : لا تأتوه . فقال : لا يُجْتَمع عند رجل مبتدع فى مسجد رسول اللّه ﷺ (١) .

التعليق : انظر إلى هذا الوعى الذى كانت عليه أمة محمد ﷺ فى قرونها السابقة ، تتفق بلدة بأكملها على طرد مبتدع ونفيه ، خوف أن يسرب بدعته إلى المسلمين ، وأن يبليهم بها ويشق لنفسه طريقًا يجمع عليه جماعة من المبتدعة وهذه هى الأمة الواعية التى تعتنى بعقيدتها وسنتها وكتابها ، أما الأمة الغافلة الساهية السائمة السارحة ، التى تقام فيها الفرق الضالة المحادة للّه تعالى ولرسوله ﷺ على اختلاف أنواعهم ومذاهبهم وتصوراتهم ، وتعطى حق المشروعية وتفتح المراكز فى كل جهة وناحية ، أمةٌ لا خير فيها ، لا غيرة لها على دينها ، بل هى كالأنعام ، بل أضل .

وأما الإمام مالك فحذّر أمة محمد ﷺ من أن يجتمعوا على مبتدع فى مسجد النبى ﷺ . لو أدرك الإمام مالك زماننا هذا ، ورأى جميع أنواع البدع والمبتدعة تجتمع فى ديار المسلمين ومساجدهم ، إلا من شاء اللّه ، وقليل ما هم ، ما أدرى ماذا سيقول ؟!

وثور ابن يزيد كان من كبار المحدثين ، وله روايات كثيرات ومع ذلك لم تشفع له ولم يُقْبَل بسبب بدعته فى القدر ، وأما أهل هذا الزمان ، فلا رواية ولا حديث ولا فقه ولا علم ، وإنما هى الحيل والدجل والتأكُّل بدين اللّه لا غير ذلك .

---

(١) أصول الاعتقاد [ص : ٧٢٤] .

وجاء فى السنة لابن أبى عاصم : قال : حدثنا سلمة ، حدثنا مروان بن محمد ، قال : سمعت مالك بن أنس يسأل عن تزويج القدرى ، فقرأ : ﴿ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ ﴾[1] [البقرة : ٢٢١] .

التعليق : هذا حكم الإمام مالك على القدرى ، وأنه لا يُزَوَّج ، وأن مكانته بمكانة المشرك ، فلذا لا ينبغى للمسلم أن يدفع بابنته أو قريبته إلى مبتدع ، يلطخها ببدعته وينجسها بعقيدته الباطلة ، فمفارقة المبتدعة عند الإمام مالك فى كل شىء .

---

(١) السنة لابن أبى عاصم [٨٨/١] .

وجاء في أصول الاعتقاد : قال لى عمر بن عبد العزيز : ما تقول فى القدرية ؟ قال : قلت : أرى أن نستتيبهم ، فإن تابوا وإلا عرضتهم على السيف . قال عمر : ذلك رأيى . قال أبو مسهر : قلت لمالك : يا أبا عبد الله ، وهو رأيك ؟ قال : نعم[1] .

التعليق : هكذا يوافق الإمام مالك ، ويؤكد حُكْم عالمين إمامين قبله فى استتابة القدرية ، فإن تابوا وإلا عُرضوا على السيف ، وهذه الطريقة المحمودة وهذا الحكم النابع من الكتاب والسنة هو طريق يحافظ به على كيان الإسلام وأصوله ، ويحمى من كل زنديق يريد أن يضلل المسلمين فى عقيدتهم ، وما أكثرهم فى السابق واللاحق ، فحماية دين الله أصوله وفروعه فرض على أئمة المسلمين وعامتهم ، فلا تدين إلا بالكتاب والسنة ، ولا حكم إلا للكتاب والسنة ، فماذا سيقول الإمام مالك لو أدرك هذا الزمان الذى أُبعد فيه الكتاب السنة عن ساحة الحكم ؟ واستبدل بقوانين وضعية كافرة لا يد لمسلم فى وضعها ومخالفتها للمعلوم من الدين بالضرورة عند المسلمين أمر واضح ، فأبو سهل وعمر بن عبد العزيز ومالك بن أنس كان حُكْم الله فى عهدهم قائمًا ، وشريعته هى منهاج القضاة والحُكّام ، ومع ذلك أصْدَرُوا هذا الحكم الذى فيه إزهاق الأرواح ، وإراقة الدماء ، وهذا لا يكون إلا بنص قائم صريح ، ولكن لما لهؤلاء من خطر على دين الله وعلى عقيدة المسلمين فى ذلك الوقت فلو تركوهم لعثوا فى الأرض فسادًا ، فمن حسن حظ تلك الأمة أن هيأ الله لها أمثال هؤلاء العلماء ، الذين وقفوا مثل هذه الوقفات ، وأقاموا للعقيدة السلفية أعلامها ، وحاربوا كل بدعة أرادت أن ترفع رأسها ، ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْۗ ﴾ [الأنعام : ٩٠] .

---

(١) أصول الاعتقاد [٦٨٥/٢] ، وذكره مالك فى الموطأ [القدر/٦] .

ما رواه مالك فى الموطأ فى الرد على القدرية

ونرجع إلى سياق الأحاديث التى وردت فى الموطأ فى الرد على القدرية . قال :

كتاب القدر : باب النهى عن القول بالقدر

○ عن أبى الزناد عن الأعرج عن أبى هريرة أن رسول اللّه ﷺ قال : « تحاج آدم وموسى فحَجَّ آدم موسى ، قال له موسى : أنت آدم الذى أغويت الناس وأخرجتهم من الجنة ؟ فقال له آدم : أنت موسى الذى أعطاه اللّه علم كل شىء واصطفاه على الناس برسالة ؟ قال : نعم . قال : أفتلومنى على أمرٍ قد قُدّر علىّ قبل أن أُخلق »(١) .

○ وروى عن زيد بن أبى أُنيسة عن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد ابن الخطاب أنه أخبره عن مسلم بن يسار الجهنى أن عمر بن الخطاب سئل عن هذه الآية : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴾ [الأعراف : ١٧٢] ، فقال عمر بن الخطاب رضى اللّه عنه : سمعت رسول اللّه ﷺ يسأل عنها ، فقال رسول اللّه ﷺ : « إنَّ اللّه تبارك وتعالى خلق آدم ثم مسح ظهره بيمينه ، استخرج منه ذرية ، فقال : خلقت هؤلاء للجنة ، وبعمل أهل الجنة يعملون . ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية فقال : خلقت هؤلاء للنار ، وبعمل أهل النار يعملون . فقال رجل : يا رسول اللّه ، ففيم العمل ؟ قال : فقال رسول اللّه ﷺ : « إن اللّه إذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل أهل الجنة ، حتى يموت على عمل من أعمال أهل الجنة فيدخله به الجنة . وإذا خلق العبد للنار استعمله بعمل أهل النار ، حتى يموت على عمل من أعمال أهل النار فيدخله به النار »(٢) .

---

(١) رواه مالك فى الموطأ [القدر/١] ، وأخرجه البخارى [٦٦١٤] ، ومسلم [٢٦٥٢] .

(٢) رواه مالك [٨٩٩] ، وأبو داود [٤٧٠٣] ، والترمذى [٣٠٧٥] ، والنسائى فى الكبرى [٣٤٧/٦] .

○ وقال مالك عن زياد بن سعد عن عمرو بن مسلم عن طاوس اليمانى أنه قال : أدركت ناسًا من أصحاب رسول اللَّه ﷺ يقولون : كل شىء بقدر . قال طاوس : وسمعت عبد اللَّه بن عمر يقول : قال رسول اللَّه ﷺ : « كل شىء بقدر ، حتى العجز والكَيْس ، أو الكيس والعجز »[1] .

○ وروى مالك عن أبى الزناد عن الأعرج عن أبى هريرة أن رسول اللَّه ﷺ قال : « لا تسأل المرأةُ طلاقَ أختها ؛ لتستفرغ صحفتها ، ولتَنْكِحَ ؛ فإنما لها ما قُدّر لها »[2] .

○ وروى مالك عن يزيد بن زياد عن محمد بن كعب القرظى قال : قال معاوية ابن أبى سفيان وهو على المنبر : أيها الناس إنه لا مانع لما أعطى اللَّه ، ولا معطى لما منع اللَّه ، ولا ينفع ذا الجَدّ منه الجد ، من يرد اللَّه به خيرًا يفقهه فى الدين . ثم قال معاوية : سمعت هؤلاء الكلمات من رسول اللَّه ﷺ على هذه الأعواد[3] .

○ وعن مالك ، أنه بلغه أنه كان يقال : الحمد لله الذى خلق كل شىء كما ينبغى ، الذى لا يَعْجَل شىء أنَاه وقَدَّره ، حسبى اللَّه وكفى ، سمع اللَّه لمن دعا ، ليس وراء اللَّه مرمى[4] .

○ وعن مالك أنه بلغه أنه كان يقال : إن أحدًا لن يموت حتى يستكمل رزقه ، فأجملوا فى الطلب [5] .

كل هذه الأحاديث من كتاب القدر [6] .

---

(١) رواه مالك فى الموطأ [القدر/٤] ، ومسلم [٢٦٥٥] .

(٢) رواه مالك فى الموطأ [القدر/٧] ، والبخارى [٦٦٠١] .

(٣) رواه مالك فى الموطأ [القدر/٨] .

(٤) رواه مالك فى الموطأ [القدر/٩] .

(٥) رواه مالك فى الموطأ [القدر/١٠] وجاء مرفوعًا عن جابر عند ابن ماجه [٢٦٤٤] .

(٦) من كتاب الموطأ .

وهكذا يسوق الإمام مالك هذه الأحاديث ، وكل حديث منها يحتاج إلى وقفة طويلة ، وقد تكفل أبو عمر بن عبد البر بشرحها ، والذى يهمنا أن مالكًا يدفع بدعة القدرية فى كتابه الموطأ ، ويعقد لها كتابًا خاصًا مبوّبًا بأبواب عديدة .
والحمد لله رب العالمين .

موقف مالك من الخوارج

قلت : أرأيتَ قتال الخوارج ، ما قول مالك فيهم ؟ قال : قال مالك فى الإباضية والحرورية وأهل الأهواء كلهم : أرى أن يُستتابوا ، فإن تابوا وإلا قُتلوا .

قال ابن القاسم : وقال مالك فى الحرورية وما أشبههم : إنهم يقتلون إذا لم يتوبوا ، إذا كان الإمام عدلًا . فهذا يدلك على أنهم إن خرجوا على إمام عدل ، وهم يريدون قتاله ، ويدعون إلى ما هم عليه ، دُعوا إلى الجماعة والسنة ، فإن أبوا قتلوا ، قال : لقد سألت مالكًا عن أهل العصبية الذين كانوا بالشام ، قال مالك : أرى للإمام أن يدعوهم إلى الرجوع ، وإلى مناصفة الحق بينهم ، فإن رجعوا وإلا قتلوا .

قلت : أرأيت الخوارج إذا خرجوا فأصابوا الدماء والأموال ثم تابوا ورجعوا ؟ قال : بلغنى أن مالكًا قال : الدماء موضوعة عنهم ، وأما الأموال فإن وجدوا شيئًا عندهم بعينه أخذوه ، وإلا لم يُتبَعوا بشىء من ذلك ، وإن كانت لهم الأموال ؛ لأنهم إنما استهلكوها على التأويل وهذا الذى سمعت .

قلت : فما الفرق بين المحاربين والخوارج فى الدماء ؟ قال : الخوارج خرجوا على التأويل ، والمحاربين خرجوا فسقًا وخلوعًا على غير تأويل ،وإنما وضع اللّه عن المحاربين إذا تابوا حد الحرابة ، حق الإمام ، وأنه لا يوضع عنهم حقوق الناس ، وإنما هؤلاء الخوارج قاتلوا على دين يرون أنه صواب .

قلت : أرأيت قتلى الخوارِج أيُصلّى عليهم أم لا ؟ قال : لا ، قال لى مالك فى القدرية والإباضية : لا يُصلّى على موتاهم ، ولا تتبع جنائزهم ، ولا تعاد مرضاهم ، فإذا قتلوا فذلك أحرى ألا يصلى عليهم . ثم ذكر أثرًا عن ابن عباس عن ابن وهب عن سفيان بن عيينة عن عبيد اللّه بن أبى يزيد قال : ذكرت الخوارج واجتهادهم عند ابن عباس قال : فسمعته يقول : ليسوا بأشد اجتهادًا من اليهود والنصارى ثم

هم يضلون . وذكر الأحاديث والآثار فى ذمهم ، ثم قال مالك عن عمه أبى سهيل ابن مالك قال : سألنى عمر بن عبد العزيز وأنا معه : ماذا ترى فى هؤلاء القدرية ؟ قال : قلت : استتبهم ، فإن تابوا وإلا فاعرضهم على السيف . قال عمر : وأنا أرى ذلك . قال مالك : ورأيى على ذلك[1] .

التعليق : وهكذا نقرأ هذه النصوص من مصادرها عن الإمام مالك الذى ترك لنا هذه القواعد وهذه الفتاوى ، النابعة عن خبرةٍ بكتاب اللّه تعالى وسنة نبيه ﷺ فى التعامل مع الخوارج ، وهم كل من خرج عن منهاج أهل السنة والجماعة ، المقتفين لآثاره ﷺ ، والمتمسكين بكتابه ، غير مُفْرِطِينَ ولا مُفَرِّطِينَ ، فمن خرج على ذلك وابتدع فى الإسلام بدعًا اعتبرها دينًا يدعى إلى المحاورة وإلى الأخذ والرد وإزالة ما علق ذهنه أو ذهنهم من الشبه ، فإن رجع أو رجعوا وإلا عُرضوا على السيف ، كما هو ظاهر قول مالك رحمه اللّه ، وإلا استشرت الفتن وادعى كل جاهل أنه صاحب حق . وهذا ما هو حادث فى هذه الأزمان ، هذه جماعة التكفير والهجرة التى عمت فتنتها البلاد الإسلامية ، وغيرها جماعات كثيرات من هذا النوع ، تظهر من حين إلى آخر . قلت معرفتها بالدليل وحَسِبت التمسك ببعض الظواهر هو الإسلام ، وأعرضت عن دراسة السنة والعقيدة وحفظ كتاب اللّه وتتبع الآثار السلفية والتراجم القيمة التى سجلها سلفنا الصالح رضوان اللّه عليهم . يا رب رُدَّ أمة محمد واهدهم أقوم الطريق ، وخذ بيدهم ، وهيئ لهم علماء الكتاب والسنة ، إنك سميع مجيب .

---

(١) رواه مالك فى الموطأ [كتاب القدر/٦] .

وجاء فى الموطأ : عن مالك عن يحيى بن سعيد عن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمى عن أبى سلمة بن عبد الرحمن عن أبى سعيد رضى اللّه تعالى عنه قال : سمعت رسول اللّه ﷺ يقول : « يخرج فيكم قوم تحقرون صلاتكم مع صلاتهم ، وصيامكم مع صيامهم ، وأعمالكم مع أعمالهم ، يقرءون القرآن ولا يجاوز حناجرهم ، يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية ، تنظر فى النصل فلا ترى شيئًا ، وتنظر فى القِدح فلا ترى شيئًا ، وتنظر فى الرِّيش فلا ترى شيئًا ، وتتمارى فى الفُوق »[1] .

التعليق : وهذا الحديث الذى أورده الإمام مالك فى موطئه من عجيب آيات النبوة ، فإن هذا الوصف الذى ذكره رسول اللّه ﷺ ينطبق تمام الانطباق على كثير من المبتدعة ، تشاهدهم كثيرى الصلاة ، كثيرى الحج والعمرة ، كثيرى البذل للمال ، ولكن مع هذا ما عندهم من الإسلام شعرة واحدة ، فسبحان من اختار نبينا ﷺ وأنطقه بالنبوة ، وكما وصف اللّه تبارك وتعالى العابدين الخاشعين ، ولكن لما لم يكن عندهم عقيدة صحيحة واتباع لنبينا ﷺ فإنهم يصلون جهنم : ﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ ۝١ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ۝٢ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ۝٣ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ۝٤ ﴾ [الغاشية] فالحديث ينطبق مع الآية ويسير بحذوها ، وهو تفسير لها ، فمبتدعة الخارجين عن أهل السنة والجماعة حظهم من الإسلام كما بيّن رسول اللّه ﷺ ، فالميزان هو الميزان النبوى ، فأى عبادة وعمل لا ينبنيان على ذلك ، فيُرجَع إلى هذا الحديث ، فخلوات الصوفية وتعبداتهم بالأذكار المبتدعة والطرق المخترعة وإحداثهم فى دين اللّه ما ليس منه ، فكله من هذا الباب .

---

(١) رواه مالك فى الموطأ [كتاب القرآن/١٠] ، والبخارى [٣٣٤٤] ، ومسلم [١٠٦٤] .

موقف مالك من المقلدة

هذه البدعة التى فرقت شمل المسلمين وأحدثت تصدعًا فى وحدتهم ، وجعلتهم يعيشون متعادين متنابذين طيلة قرون عديدة ، وأبعدتهم عن الدليل وجعلتهم يعيشون فى مسائل خيالية ، ما أنزل اللّه بها من سلطان ، هذه البدعة المذهبية تُذْرع بها السياسيون والحكام وجعلوها مطية لحكمهم ، وقد بيّنت فى قسم التحديات من كتاب العقيدة السلفية فى مسيرتها التاريخية وقدرتها على مواجهة التحديات تاريخ المذهبية ومن قام على إحدائها وتثبيتها ، والذى يهمنا هنا هو بيان موقف الإمام مالك رضى اللّه عنه ، فإنه تبرأ من التقليد وآل على نفسه إلا أن يقدّم الكتاب والسنة ، وما خالف ذلك يضرب به عرض الحائط .

جاء فى إيقاظ همم أولى الأبصار : وعن ابن وهب قال : قال مالك : الحُكْم حكمان : حكم جاء به كتاب اللّه ، وحكم أحكمته السنة . قال : ومجتهد رأيه فلعله يوفق . قال : ومتكلف فطعن عليه .

وقال حاكيًا عن ابن عبد البر : وأخرج بسنده إلى ابن وهب ، قال : قال لى مالك : الحكم الذى يحكم بين الناس حكمان : ما فى كتاب اللّه ، أو حكمته السنة ؛ فذلك الحكم الواجب وذلك الصواب ، والحكم الذى يجتهد فيه العالم رأيه فلعله يوفق . وثالث متكلف ، فما أحراه ألا يوفق .

وقال مالك : الحكمة والعلم نور يهدى به اللّه من يشاء ، وليس بكثرة المسائل .

وقال فى موضع آخر من ذلك الكتاب : ليس الفقه بكثرة المسائل ، ولكن الفقه يؤتيه اللّه من يشاء من خلقه .

وقال ابن وضاح : وسئل سُحنون : أيسع العالم أن يقول : لا أدرى فيما يدرى ؟ فقال : أما ما فيه كتاب قائم أو سنة ثابتة فلا يسعه ذلك ، وأما ما كان من هذا الرأى ؛ فإنه يسعه ذلك ؛ فلأنه لا يدرى أمصيب هو أم مخطئ .

قلت : هكذا ورث مالك تلامذته فى التمسك بالسنة والكتاب والتشكك فى الرأى والظن به ، فما بالك بمن يترك سنة ثابتة رُويت من عدة طرق ، أو آيات قرآنية ثبتت عن اللّه ، لتقليد فلان أو غيره ، فلا شك أن هذا مخالف لمذهب مالك وأصحابه ، فمذهب مالك وأصحابه رضى اللّه عنهم هو الاقتداء بالسنة ، وما خالف ذلك ، فلا عبرة به ولا ينبغى أن يُلتفت إليه .

وذكر ابن وهب فى كتاب العلم من جامعه ، سمعت مالكًا يقول : إن العلم ليس بكثرة الرواية ولكنه نور يجعله اللّه فى القلوب .

وقال فى موضع آخر من ذلك الكتاب : وقال مالك : العلم والحكمة نور يهدى به اللّه من يشاء ، وليس بكثرة المسائل [1] .

وجاء فى موضع آخر قال : حدثنا شيخنا المعمر وبركتنا المدخر محمد بن محمد ابن محمد سنة حدثنا محمد بن عبد اللّه الشريف عن محمد بن أركماش الحنفى أخبرنا أبو الفضل الحافظ أحمد بن على بن حجر العسقلانى عن أبى إسحاق إبراهيم بن أحمد بن عبد الواحد التنوخى سماعًا عن أبى محمد بن أبى غالب ابن عساكر عن أبى الحسن بن المقبر عن أبى الفضل بن ناصر عن أبى عبد اللّه محمد ابن فتوح الحميدى عن الحافظ أبى عمر بن عبد البر ، حدثنا عبد اللّه بن محمد ابن عبد المؤمن قال : حدثنا أبو عبد اللّه بن محمد بن أحمد القاضى المالكى حدثنا موسى بن إسحاق قال : حدثنا إبراهيم بن المنذر قال : أخبرنا معن بن عيسى قال : سمعت مالك بن أنس يقول : إنما أنا بشر أخطئ وأصيب ، فانظروا فى رأيى فكل ما وافق الكتاب والسنة فخذوه ، وكل ما لم يوافق الكتاب والسنة فاتركوه .

قال وبه إلى أبى عمر : أخبرنا عبد الرحمن بن يحيى قال : حدثنا أحمد بن سعيد قال : حدثنا عبد الملك بن حجر قال : حدثنا محمد بن إسماعيل الصائغ

---

(١) إيقاظ همم أولى الأبصار [ص : ٢٤] .

حدثنا إبراهيم بن المنذر حدثنا مطرف قال : سمعت مالكًا يقول : قال لى ابن هرمز : لا تمسك على شيء فيما سمعت منى من هذا الرأى ، فإنما افتجرته أنا وربيعة ، فلا تمسك به .

وقال سند بن عنان فى شرحه على مدونة سُحنون المعروفة بالأم ، ما نصه : والفقه مَأْخذُه الكتاب والسنة والإجماع والعبرة ، ولما كان الاستقلال بعلم الفروع مستندًا على أمرين لا بد منهما .

أحدهما : معرفة مذاهب أهل العصر من أهل الفقه والعقد والحل .

والثانى : معرفة أصول الفقه والتصرف فيها برد الفروع إلى الأصول .

فالأول : كان شرطًا ليأمن المتصرف من فرق الإجماع ، وينهج منهاج الاقتداء والاتباع ، والثانى : كان شرطًا لتحصيل العلم ؛ لأن العلم لا يحصل إلا بطريقه ؛ لأنه لا يثبت ضرورة إذ لو ثبت ضرورة لاستوى الكافة فيه ، وما لا يثبت ضرورة ، فإنما يثبت نظرًا ، ولما كانت الشريعة مستندة إلى الرسول ﷺ وجب أن يكون النظر فيما جاء عن رسول اللّه ﷺ والذى جاء عنه نوعان : أقوال مسموعة ، وأحكام موضوعة ، والذى نقل من الأقوال فَنّان : القرآن والسنة ، فوجب النظر فيهما بالاستنباط والاستخراج ، وقد قال اللّه تعالى : ﴿ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ﴾ [النساء : ٨٣] .

وقد يوجد الوفاق من أهل الآفاق على حكمٍ ما ، وإن لم يلق فى كتاب اللّه ولا سنة نبيه عليه نص ، فيكون الوفاق طريقًا إلى إثباته ، لأننا نعلم أن العقلاء فى مجارى العبادات مختلفو الرتب والدرجات فى قوة الفراغ وميل الأغراض ، ويتفاوتون فى سبل النظر وتسديد الفكر ، فيبعد عادة أن يتفق الجم والجمع الكثير فى مسألة فرعية ، إلا أن توفيره هذا برهان القطع بحجة الإجماع .

وفى الجملة إن العمل بالإجماع يرجع إلى العمل بالنص ؛ لأن الإجماع إنما يتضمن الحجة ، ووجهه ما بيناه ، أو يكون هو فى نفسه حجة ، فيستند إثباته إلى

السمع فى قوله تعالى : ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴾ [النساء : ١١٥] . وفى قوله ﷺ : « لا تزال طائفة من أمتى على الحق ظاهرين »[١] وفى البخارى : « ولن تزال هذه الأمة قائمة على الحق ، لا يضرهم من خالفهم ، حتى يأتى أمر الله »[٢] إلى أن قال : أما مجرد الاقتصار على محض التقليد فلا يرضى به رجل رشيد ، ولسنا نقول : إنه حرام على كل فرد ، بل نوجب معرفة الدليل وأقاويل الرجال ، ونوجب على العام تقليد العالم .

قال معلقه : الحق الذى يجب على كل ناصح لدينه وأمته أن يهدم التقليد الأعمى من أساسه ، وبكل أشكاله وألوانه ، وعلى كل عالم أن يبين وجه ما يفتى به فى الأحكام الشرعية لمن يستفتيه ، وأن يذكر له دليل ذلك من الكتاب والسنة ، حتى يتعود الناس بجميع طبقاتهم فَهْم النصوص ، فإن سوق الأحكام بدون إسنادها بأدلتها عوَّد عقول الناس الركود والجمود الدينى ، حتى أصبحت تراه أثقل من حمل الجبال مع أنه أيسر اليسر . انتهى[٣] .

وجاء فى التمهيد لأبى عمر بن عبد البر فى ترجمة ربيعة بن أبى عبد الرحمن المدنى صاحب الرأى : وكان يذكر مع جُلّة التابعين فى الفتوى بالمدينة ، وكان مالك يفضله ويرفع به ويثنى عليه فى الفقه والفضل ، على أنه ممن اعتزل حلقته لإغراقه فى الرأى[٤] .

---

(١) أخرجه مسلم [١٥٦] .

(٢) أخرج البخارى [٧٤٦٠] .

(٣) إيقاظ همم أولى الأبصار [ص : ٧٣] .

(٤) التمهيد لابن عبد البر [٢/٣] .

وجاء في السير : قال الذهبى عن ابن سعد : حدثنا محمد بن عمر ، سمعت مالكًا يقول : لما حج المنصور دعانى فدخلت عليه فحادثته وسألنى فأجبته فقال : عزمت أن آمر بكتبك هذه ، يعنى الموطأ فتنسخ نسخًا ، ثم أبعث إلى كل مصر من أمصار المسلمين بنسخة ، وآمرهم أن يعملوا بما فيها ، ويدعوا ما سوى ذلك من العلم المُحدَث ، فإنى رأيت أصل العلم رواية أهل المدينة وعلمهم ، قلت : يا أمير المؤمنين ، لا تفعل فإن الناس قد سبقت إليهم أقاويل ، وسمعوا أحاديث ورووا روايات ، وأخذ كل قوم بما سبق إليهم ، وعملوا به ، ودانوا به من اختلاف أصحاب رسول الله ﷺ وغيرهم ، وإنَّ ردهم عما اعتقدوه شديد ، فدع الناس وما هم عليه وما اختار أهل كل بلد لأنفسهم ، فقال : لعمرى لو طاوعتنى لأمرت بذلك [1] .

التعليق : فرحمة الله عليك يا مالك يا إمام الأئمة ، ويا ناصح الأمة ، لم تأخذك نشوة الغرور وحاشاك من ذلك ، فسطع أمامك الحجة والبيان ، وعلمت أن أصحاب رسول الله ﷺ تفرقوا فى الأمصار وأخذ عنهم التابعون علومهم ، وأتباع التابعين ، وعرفت قدرك ، وأنك لم تحط بكل شيء علمًا ، وأردت أن تبقى سنة رسول الله ﷺ وكتابه هما المنار ، لكن لبغضك لتقليد الرجال وتقديس الأشخاص القدسية التى لا تكون إلا للنصوص منعت حاكم وقته ، الذى كان يحب العلم والعلماء ويوقرهم ويبجلهم ، من أن يرغم الناس على كتابك ، وهذه ستبقى من مناقبك ، تعرفها لك الأجيال .

فمالك رحمه الله يمنع التقليد ويأباه ، وسيرته رضى الله عنه وأقواله وأفعاله كافية فى معرفة موقفه فى هذا الباب ، وما سقناه من أقواله وأقوال بعض أصحابه ، وأعرف الناس به ، فيه كفاية لمن اعتبر ، فنرجو الله تعالى أن يلهمنا الصواب والرشد فى أقوالنا وأفعالنا .

---

(١) سير أعلام النبلاء [٧٩/٨] .

أحاديث الرؤيا فى موطأ مالك

هذا الأصل صحت به الأخبار عن النبى ﷺ وأجمع عليه علماء أهل السنة والجماعة ، ومن بينهم الإمام مالك الذى عقد له كتابًا فى موطئه ، وساق فيه من الأحاديث ما سأذكره ، إن شاء الله ، وأنكره الملاحدة وشُذّاذ المعتزلة والطبيعيون ، ولا قيمة لخلاف هؤلاء مع صحة النص به عن رسول الله ﷺ .

روى مالك عن إسحاق بن عبد الله بن أبى طلحة عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال : « الرؤيا الحسنة من الرجل الصالح جزء من ستة وأربعين جزءًا من النبوة »[1] .

التعليق : وليس معنى هذا أن الذى يرى الرؤيا الحسنة أن عنده جزءًا من النبوة ، ولكن الشبه فى صدق الرؤيا ، ولا شك أن هذا فى عالم الغيب ، فيجب علينا أن نصدق بما أخبرنا به رسول الله ﷺ .

وروى أيضًا عن إسحاق بن عبد الله بن أبى طلحة عن زُفَر بن صعصعة عن أبيه عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ كان إذا انصرف من صلاة الغداة يقول : « هل رأى أحد منكم الليلة رؤيا ؟ ويقول : ليس يبقى بعدى من النبوة إلا الرؤيا الصالحة »[2] .

التعليق : فهذا يدل على أن تأويل الرؤيا كانت من الأمور المهمة التى كان يعتنى بها رسول الله ﷺ ، فيسأل أصحابه : هل رأى أحد منكم الليلة رؤيا ؟ وهذا لا يُعجب هؤلاء الملاحدة الذين يردون ما صح عن رسول الله ﷺ من الأخبار .

---

(١) رواه مالك فى الموطأ [الرؤيا/١] ، والبخارى [٦٩٨٣] .

(٢) رواه مالك فى الموطأ [الرؤيا/١] ، ووصله البخارى [٦٩٩٠] .

○ وروى مالك عن يحيى بن سعيد عن أبى سلمة بن عبد الرحمن أنه قال : سمعت أبا قتادة بن ربعى يقول : سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول : « الرؤيا الصالحة من اللَّه ، والحُلم من الشيطان ، فإذا رأى أحدكم الشيء يكرهه فلينفث عن يساره ثلاث مرات إذا استيقظ ، وليتعوذ باللَّه من شرها ، فإنها لن تضره إن شاء اللَّه » ، قال أبو سلمة : إن كنت لأرى الرؤيا هى أثقل علىّ من الجبل ، فلما سمعتُ هذا الحديث ما كنت أباليها [1] .

وروى مالك عن هشام بن عروة عن أبيه ، أنه كان يقول فى هذه الآية : ﴿ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْآخِرَةِ ﴾ [يونس : ٦٤] .

قال : هى الرؤيا الصالحة يراها الرجل الصالح أو تُرى له [2] .

وجاء فى التمهيد : وقيل لمالك رحمه اللَّه : أيعبر الرؤيا كل أحد ؟ فقال : أبالنبوة يلعب ؟! وقال مالك : لا يعبر الرؤيا إلا من يحسنها ، فإن رأى خيرًا خبر به وإن رأى مكروها فليقل خيرًا أو ليصمت . قيل : فهل يعبرها على الخير وهى عنده على المكروه لقول من قال : إنها على ما أولت عليه . فقال : لا . ثم قال : الرؤيا جزء من النبوة فلا يتلاعب بالنبوة [3] .

التعليق : هذه هى العقيدة التى كان يتصف بها سلفنا الصالح فى ظاهرهم وباطنهم ، فما جاءهم عن اللَّه تعالى أو عن الرسول ﷺ إلا بادروا بتصديقه واستراحوا به فى يقظتهم ومنامهم ، فهنيئًا لهم بهذا اليقين وبهذا التطبيق العملى لسنة رسول اللَّه ﷺ ، فأبو سلمة بن عبد الرحمن استراح من عناء الرؤيا بعد سماعه لهذا الحديث وروايته له . اللَّهُمَّ اجعلنا على منهجهم ، ولا تخالف بنا عن طريقهم .

---

(١) رواه مالك فى الموطأ [الرؤيا/٤] ، والبخارى [٥٧٤٧] ، ومسلم [٢٢٦١] .

(٢) رواه مالك فى الموطأ [الرؤيا/٥] .

(٣) كتاب التمهيد [٢٨٨/١] .

عقيدة الإمام مالك فى الملائكة

لا يشك مسلم فى أن الإيمان بالملائكة هو الركن الثانى من أركان الإيمان الذى لا يتم إيمان المسلم إلا بها ، ولذا كان هذا الأصل التصديق به معلوم بالاضطرار من دين الإسلام ، وقد ذكر الإمام فى موطئه من أحاديث الملائكة ، فرأيت أن أنقله للقارئ حتى يقرأ عقيدة الإمام مالك كاملة من سنة رسول اللّه ﷺ ، ويعلم بأن الأئمة هدايتهم هى السنة وفهمهم وعلمهم مقتبس من السنة ، وما خالف ذلك أمروا بطرحه والإعراض عنه .

روى مالك عن ابن شهاب أن عمر بن عبد العزيز أخّر الصلاة يومًا ، فدخل عليه عروة بن الزبير فأخبره أن المغيرة بن شعبة أخّر الصلاة يومًا وهو بالكوفة ، فدخل عليه أبو مسعود الأنصارى فقال : ما هذا يا مغيرة ، أليس قد علمت أن جبريل نزل فصلى فصلى رسول اللّه ﷺ . ثم صلى فصلى رسول اللّه ﷺ . ثم صلى فصلى رسول اللّه ﷺ . ثم صلى فصلى رسول اللّه ﷺ . ثم صلى فصلى رسول اللّه ﷺ . ثم قال : « بهذا أمرت » ؟! فقال عمر بن عبد العزيز : أعلمْ ما تحدث به يا عروة ، أوَ أن جبريل هو الذى أقام لرسول اللّه ﷺ وقت الصلاة ؟ قال عروة : كذلك كان بَشير بن أبى مسعود الأنصارى يحدث عن أبيه [1] .

وروى مالك عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب أنه كان يقول : من صلى بأرض فلاة ، صلى عن يمينه ملك وعن شماله ملك ، فإذا أذن وأقام الصلاة - أو أقام - صلى وراءه من الملائكة أمثال الجبال[2] .

---

(١) رواه مالك فى الموطأ [وقوت الصلاة/١] ، والبخارى [٥٢١] ، ومسلم [٦١٠] .

(٢) رواه مالك فى الموطأ [الصلاة /٣] وهو مرسل له حكم الرفع ، فقد روى موصولًا ومرفوعًا .

وروى مالك عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب وأبى سلمة بن عبد الرحمن أنهما أخبراه عن أبى هريرة أن رسول اللّه ﷺ قال : « إذا أمّن الإمام فأمنوا ، فإنه من وافق تأمينه تأمين الملائكة غُفر له ما تقدم من ذنبه »[1] .

وروى مالك عن سمى مولى أبى بكر بن عبد الرحمن عن أبى صالح السمان عن أبى هريرة أن رسول اللّه ﷺ قال : « من اغتسل يوم الجمعة غُسلَ الجنابة ثم راح فى الساعة الأولى فكأنما قَرّب بَدَنة ، ومن راح فى الساعة الثانية فكأنما قَرّب بقرة ، ومن راح فى الساعة الثالثة فكأنما قَرّب كبشًا أقرن ، ومن راح فى الساعة الرابعة فكأنما قَرّب دجاجة ، ومن راح فى الساعة الخامسة فكأنما قَرّب بيضة ، فإذا خرج الإمام حضرت الملائكة يستمعون الذكر »[2] .

وروى عن أبى الزناد عن الأعرج عن أبى هريرة أن رسول اللّه ﷺ قال : « الملائكة تصلى على أحدكم ما دام فى مُصلّاه الذى صلى فيه ، ما لم يُحدِث ، اللّهُمَّ اغفر له ، اللّهُمَّ ارحمه »[3] .

وروى أيضًا عن أبى الزناد عن الأعرج عن أبى هريرة أن رسول اللّه ﷺ قال : « يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ، ويجتمعون فى صلاة العصر وصلاة الفجر ، ثم يعرج الذين باتوا فيكم ، فيسألهم وهو أعلم بهم : كيف تركتم عبادى ؟ فيقولون : تركناهم وهم يصلون ، وأتيناهم وهم يصلون »[4] .

---

(١) رواه مالك فى الموطأ [الصلاة/باب ما جاء فى التأمين خلف الإمام] ، والبخارى [٧٨٢] ، ومسلم [٤١٠] .

(٢) رواه مالك فى الموطأ [الجمعة/١] ، والبخارى [٨٨١] ، ومسلم [٨٥٠] .

(٣) رواه مالك فى الموطأ [قصر الصلاة/٥١] ، والبخارى [٦٥٩] ، ومسلم [٦٤٩] .

(٤) رواه مالك فى الموطأ [قصر الصلاة/٨٢] ، والبخارى [٥٥٥] ، ومسلم [٦٣٢] .

وروى مالك عن إبراهيم بن أبى عَبلة عن طلحة بن عبد اللّه بن أبى كَريز أن رسول اللّه ﷺ قال : « ما أرى الشيطان يومًا هو فيه أصغر ولا أدحر ولا أحقر ولا أغيظ منه فى يوم عرفة ، وما ذاك إلا لما رأى من تنزُّل الرحمة وتجاوز اللّه عن الذنوب العظام ، إلا ما أرىَ يوم بدر . قيل : وما رأى يوم بدر يا رسول اللّه ؟ قال : أما إنه قد رأى جبريل يزع الملائكة »[1] .

(١) رواه مالك فى الموطأ [الحج/٢٤٥] وهو مرسل .

عقيدته فى الشياطين والجن

الإمام مالك كغيره من أئمة السلف رضى اللّه تعالى عنهم ، يؤمن بما أخبر اللّه به وبما أخبر به رسول اللّه ﷺ من ذكر الشياطين والجن ، وهذا أمر مُسلّم عند الجميع ، وقد أكثر القرآن وأكثرت السنة من ذكر ذلك ، وقد جاء فى الموطأ من الأخبار ما يدل على عقيدة الإمام مالك ، وأنه لا يفارق النصوص ولا يحيد عنها .

والذين أنكروا هذه الأصول المعلومة عند المسلمين بالضرورة ليس عندهم إلا وساويس وشبه كاذبة ، لا مستند لها ، لا من عملٍ ولا من نقل ، وإليكم بعض النماذج التى ذكرها الإمام مالك فى موطئه :

روى مالك عن زيد بن أسلم أنه قال : عرَّس رسول اللّه ﷺ ليلةً بطريق مكة ، ووكّل بلالاً أن يوقظهم للصلاة ، فرقد بلال ورقدوا حتى استيقظوا وقد طلعت عليهم الشمس ، فاستيقظ القوم وقد فزعوا ، فأمرهم رسول اللّه ﷺ أن يركبوا حتى يخرجوا من ذلك الوادى وقال : « إن هذا وادٍ به شيطان » فركبوا حتى خرجوا من ذلك الوادى ، ثم أمرهم رسول اللّه ﷺ أن ينزلوا وأن يتوضئوا ، وأمر بلالاً أن ينادى بالصلاة ، – أو يقيم – فصلى رسول اللّه ﷺ بالناس ، ثم انصرف إليهم وقد رأى من فزعهم ، فقال : « يا أيها الناس ، إن اللّه قبض أرواحنا ولو شاء لردها إلينا فى حينٍ غير هذا ، فإذا رقد أحدكم عن الصلاة أو نسيها ثم فزع إليها فليصلها كما يصليها فى وقتها » . ثم التفت رسول اللّه ﷺ إلى أبى بكر فقال : « إن الشيطان أتى بلالاً وهو قائم يصلى فأضجعه ، فلم يزل يهدّئه كما يهدأ الصبى حتى نام » ثم دعا رسول اللّه ﷺ بلالاً فأخبر بلالٌ رسول اللّه ﷺ مثل الذى أخبر رسول اللّه ﷺ أبا بكر ، فقال أبو بكر : أشهد أنك رسول اللّه [1] .

---

(١) رواه مالك فى الموطأ [وقوت الصلاة : ٢٦] وهو مرسل .

وروى أيضًا عن أبى الزناد عن الأعرج عن أبى هريرة أن رسول اللّه ﷺ قال : « إذا نودى للصلاة أدبر الشيطان وله ضُراط ؛ حتى لا يسمع النداء ، فإذا قُضى النداء أقبل حتى إذا ثُوّب بالصلاة أدبر ، حتى إذا قُضى التثويب أقبل ، حتى يَخطِر بين المرء ونفسه يقول : اذكر كذا ، اذكر كذا ، لِمَا لم يكن يذكر ، حتى يظل الرجل إنْ يدرى كم صلى »(١) .

وروى مالك عن محمد بن عمر بن علقمة عن مَليح بن عبد اللّه السعدى عن أبى هريرة أنه قال : الذى يرفع رأسه ويخفضه قبل الإمام ، فإنما ناصيته بيد شيطان »(٢) .

وروى مالك عن ابن شهاب عن أبى سلمة بن عبد الرحمن بن عوف عن أبى هريرة أن رسول اللّه ﷺ قال : « إن أحدكم إذا قام يصلى جاءه الشيطان فلَبَّس عليه ، حتى لا يدرى كم صلى ، فإذا وجد أحدكم فليسجد سجدتين وهو جالس »(٣) .

وروى مالك عن أبى الزناد عن الأعرج عن أبى هريرة أن رسول اللّه ﷺ قال : « يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا هو نام ثلاث عقد ، يضرب مكان كل عقدة : عليك ليل طويل فارقد ، فإن استيقظ فذكر اللّه انحلت عقدة ، فإن توضأ انحلت عقدة ، فإن صلى انحلت عقدة ، فأصبح نشيطًا طيب النفس ، وإلا أصبح خبيث النفس كسلان »(٤) .

٤٠

---

(١) رواه مالك فى الموطأ [الصلاة/٦] ، والبخارى [٦٠٨] ، ومسلم [٣٨٩] .

(٢) رواه مالك فى الموطأ [الصلاة/٥٧] .

(٣) رواه مالك فى الموطأ [السهو/١٠٤] ، والبخارى [١٢٣٢] ، ومسلم [٣٨٩] .

(٤) رواه مالك فى الموطأ [قصر الصلاة/٩٥] ، والبخارى [١١٤٢] ، ومسلم [٧٧٦] .

وروى مالك عن إبراهيم بن أبى عبلة عن طلحة بن عبد الله بن كريز أن رسول الله ﷺ قال : « ما رئى الشيطان يومًا هو فيه أصغر ولا أدحر ولا أحقر ولا أغيظ منه فى يوم عرفة ، وما ذاك إلا لما رأى من تنزّل الرحمة وتجاوز الله عن الذنوب العظام ، إلا ما أُرى يوم بدر ، قيل : وما رأى يوم بدر يا رسول الله ؟ قال : أما إنه قد رأى جبريل يزع الملائكة »[1] .

(١) تقدم فى [ص : ١٥٥] ، رواه مالك فى الموطأ [الحج/٢٤٥] وهو مرسل .

بعض المعجزات النبوية فى موطأ مالك

روى مالك عن إسحاق بن عبد الله بن أبى طلحة عن أنس بن مالك أنه قال : رأيت رسول الله ﷺ وحانت صلاة العصر فالتمس الناس وَضوءا فلم يجدوه ، فأُتى رسول الله ﷺ بوضوء فى إناء ، فوضع رسول الله ﷺ فى ذلك الإناء يده ، ثم أمر الناس يتوضئون منه . قال أنس : فرأيت الماء ينبع من تحت أصابعه ، فتوضأ الناس حتى توضئوا من عند آخرهم[1] .

التعليق : ومعجزة النبى ﷺ فى هذا الحديث واضحة .

روى مالك عن إسحاق بن عبد الله بن أبى طلحة عن أنس بن مالك قال : كان رسول الله ﷺ إذا ذهب إلى قباء يدخل على أم حَرَام بنت مِلْحان فتطعمه ، وكانت أم حَرَام تحت عبادة بن الصامت ، فدخل عليها رسول الله ﷺ يومًا ، فأطعمته وجلست تُفلى رأسه ، فنام رسول الله ﷺ ، ثم استيقظ وهو يضحك . قالت : فقلت : ما يضحكك يا رسول الله ؟ قال : « ناس من أمتى عرضوا علىّ غُزاة فى سبيل الله ، يركبون ثَبَج هذا البحر ملوكًا على الأَسِرّة – أو مثل الملوك على الأَسِرّة » ، يشك إسحاق – قالت : فقلت : يا رسول الله ، ادع الله أن يجعلنى منهم ، فدعا لها، ثم وضع رأسه فنام ، ثم استيقظ يضحك . قالت : فقلت : يا رسول الله ما يضحكك ؟ قال : « ناس من أمتى عرضوا علىّ غُزاة فى سبيل الله ، ملوكًا على الأَسِرّة أو مثل الملوك على الأسرة » كما قال فى الأول . قالت : فقلت : يا رسول الله ادع الله أن يجعلنى منهم . قال : « أنت من الأولين » ، قالت : فركبتْ البحر فى زمان معاوية بن أبى سفيان فصُرعت عن دابتها حين خرجت من البحر فهلكت [2] .

---

(١) رواه مالك فى الموطأ [الطهارة : ٣٢] ، والبخارى [٢٠٠] ، ومسلم [٢٢٧٩] .

(٢) ذكره ابن عبد البر فى التمهيد [٢٢٥/١٠] ورواه مالك فى الموطأ [الجهاد/٣٩] ، والبخارى [٢٧٨٨] ، ومسلم [١٩١٢] .

وروى مالك عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة ، أنه سمع أنس بن مالك يقول : قال أبو طلحة لأم سليم ، لقد سمعت صوت رسول الله ﷺ ضعيفًا أعرف فيه الجوع ، فهل عندك من شيء ؟ فقالت : نعم . فأخرجت أقراصًا من شعير ثم أخذتْ خمارًا لها ، ثم لفت الخبز ببعضه ، ثم دسّتْه تحت يدي وردّتني ببعضه ، ثم أرسلتني إلى رسول الله ﷺ ، قال : فذهبت به فوجدت رسول الله ﷺ جالسًا في المسجد ومعه الناس ، فقمت عليهم ، فقال رسول الله ﷺ : « أرسلكَ أبو طلحة ؟ » فقلت : نعم . فقال : « بطعام ؟ » قال : قلت : نعم . فقال رسول الله ﷺ لمن معه : « قوموا » فانطلقوا ، وانطلقت بين أيديهم حتى جئت أبا طلحة فأخبرته ، فقال أبو طلحة : يا أم سليم ، قد جاء رسول الله والناس ، وليس عندنا من الطعام ما نطعمه ، فقالت : الله ورسوله أعلم . قال : فانطلق أبو طلحة حتى لقي رسول الله ﷺ ، فأقبل رسول الله ﷺ وأبو طلحة معه حتى دخلا ، فقال رسول الله ﷺ : « هلمي يا أم سليم ، ما عندك ؟ » فأتت بذلك الخبز ، فأمر به ففت وعصرت عليه أم سليم عكة لها ، فآدمته ، ثم قال رسول الله ما شاء الله أن يقول ثم قال : « ائذن لعشرة بالدخول » فأذن لهم فأكلوا حتى شبعوا ، ثم خرجوا ثم قال : « ائذن لعشرة » ، فأذن لهم فأكلوا حتى شبعوا ، ثم خرجوا ، ثم قال : « ائذن لعشرة » ، فأكل القوم كلهم وشبعوا ، والقوم سبعون أو ثمانون رجلًا [1] .

---

(١) ذكره ابن عبد البر في التمهيد [٢٨٩/١] ورواه مالك في الموطأ [صفة النبي/١٩] ، والبخاري [٥٣٨١] ، ومسلم [٢٠٤٠] .

رواية مالك لأحاديث الفتن

الإمام مالك رحمه اللَّه عقيدته فى الفتن - أعاذنا اللَّه منها - عقيدة صافية ، وهى من الأمور العقدية ، ومن الأخبار الغيبية ، التى تدخل فى الإيمان بالغيب ، فقد روى مالك رحمه اللَّه من هذا ما يدل على عقيدته السلفية ، وأنه تابع لإخوانه الذين يؤلفون مجامع ويدرجون كتاب الفتن من بين تلك المجامع ومما رواه رحمه اللَّه :

○ عن عبد اللَّه بن دينار أنه قال : رأيت رسول اللَّه ﷺ يشير إلى المشرق ويقول : « ها ، إن الفتنة ههنا ، إن الفتنة ههنا ، من حيث يطلع قرن الشيطان »[(١)] .

○ وروى أيضًا مالك بلاغًا ، أن عمر بن الخطاب أراد الخروج إلى العراق فقال له كعب الأحبار : لا تخرج إليها يا أمير المؤمنين ، فإن بها تسعة أعشار السحر ، وبها فسقة الجن ، وبها الداء العُضال [(٢)] .

○ وروى أيضًا عن عبد الرحمن بن عبد اللَّه بن عبد الرحمن بن أبى صعصعة عن أبيه عن أبى سعيد الخدرى أنه قال : قال رسول اللَّه ﷺ : « يوشك أن يكون خير مال المسلم غنمًا يتبع بها شَعَفَ الجبال ، ومواقعَ القطر ، يفر بدينه من الفتن »[(٣)] .

○ وروى مالك عن أبى الزناد عن الأعرج عن أبى هريرة ، أن رسول اللَّه ﷺ قال : « رأس الكفر نحو المشرق ، والفخر والخيلاء فى أهل الخيل والإبل ، والفَدّادين أهل الوَبر ، والسكينة فى أهل الغنم »[(٤)] .

---

(١) ذكره ابن عبد البر فى التمهيد [١١/١٧] ورواه مالك فى الموطأ [الاستئذان/٢٩] ، والبخارى [٧٠٩٣] ، ومسلم [٢٩٠٥] .

(٢) ذكره ابن عبد البر فى التمهيد [٩٧٦/٢] ورواه مالك فى الموطأ [الاستئذان/٣٠] .

(٣) ذكره ابن عبد البر فى التمهيد [٩٧٠/٢] ورواه مالك فى الموطأ [الاستئذان/١٦] ، والبخارى [٣٣٠٠] .

(٤) ذكره ابن عبد البر فى التمهيد [٩٧٠/٢] ورواه مالك فى الموطأ [الاستئذان/١٥] ، والبخارى [٣٣٠١] ، ومسلم [٥٢] .

عقيدة الإمام مالك فى الدجال

الدّجال من أشراط الساعة ، وتواتر النقل بخروجه ، وأنكره جماعة من الذين زعموا أنهم عقلانيون وعقولهم منكوسة لا خير فيها ، إذا ردت ما تواتر به النقل عن سيد الأولين والآخرين ، وقد ذكر أبو جعفر الطحاوى وهو من أئمة أهل السنة والجماعة ، أن هذا الأمر من عقيدتهم ، فقال ما نصه : ونؤمن بأشراط الساعة من خروج الدجال ونزول عيسى ابن مريم عليه السلام من السماء ، ونؤمن بطلوع الشمس من مغربها وخروج دابة الأرض [1] .

روى مالك عن أبى الزبير المكى عن طاوس اليمانى عن عبد اللّه بن عباس أن رسول اللّه ﷺ كان يعلّمهم هذا الدعاء كما يعلّمهم السورة من القرآن يقول : « اللّهُمَّ إنى أعوذ بك من عذاب جهنم ، وأعوذ بك من عذاب القبر ، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال ، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات »[2] .

---

(١) كتاب العقيدة الطحاوية [ص : ٥٦٤] .

(٢) رواه مالك فى الموطأ [القرآن/٣٣] ، ومسلم [٥٩٠] .

عقيدة الإمام مالك فى عذاب القبر

لا شك أن الإمام مالكًا رضى اللّه عنه كان على طريقة أئمة السلف ، وعقيدته عقيدتهم ، جملة وتفصيلًا ، وعذاب القبر من جملة عقيدتهم ، وقد تواترت الأخبار عن رسول اللّه ﷺ فى ثبوت عذاب القبر ونعيمه - لمن كان لذلك أهلًا - وسؤال الملكين ، فيجب اعتقاد ذلك والإيمان به ولا نتكلم فى كيفيته ، إذ ليس للعقل وقوف على كيفيته لكونه لا عهد له به فى هذه الدار ، والشرع لا يأتى بما تحيله العقول ، ولكنه يأتى بما تحار فيه العقول كما ذكر شارح الطحاوية قال أبو جعفر الطحاوى رحمه اللّه فى عقيدته السلفية : وبعذاب القبر لمن كان له أهلًا ، وسؤال منكر ونكير فى قبره عن ربه ودينه ونبيه ، على ما جاءت به الأخبار عن رسول اللّه ﷺ وعن الصحابة رضوان اللّه عليهم ، والقبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النيران (١) .

حتى جاءت المعتزلة الذين أحدثوا القلاقل فى عقيدة الأمة الإسلامية ، وأنكروا عذاب القبر ، واستحالوا وجوده بعقولهم المنكوسة ، فرد عليهم أئمة السلف بما ثبت عن اللّه وعن رسوله ، وهذا إمامنا مالك يذكر فى موطئه جملة من الأخبار التى ثبتت فى ذلك .

○ روى مالك عن يحيى بن سعيد الأنصارى عن عمرة بنت عبد الرحمن عن عائشة رضى اللّه عنها زوج النبى ﷺ ، أن يهودية جاءت تسألها فقالت : أعاذك اللّه من عذاب القبر ، فسألت عائشة رسول اللّه ﷺ : أيُعذَّب الناس فى قبورهم ؟ فقال رسول اللّه ﷺ ، عائذًا باللّه من ذلك ، ثم ركب رسول اللّه ﷺ ذات غداة مركبًا فخسفت الشمس ، فرجع ضحى فمر بين ظهرانَى الحُجَر ثم قام يصلى وقام الناس

---

(١) العقيدة الطحاوية [ص : ٤٤٧] .

وراءه ، فقام قيامًا طويلًا ، ثم ركع ركوعًا طويلًا ، ثم رفع فقام قيامًا طويلًا وهو دون القيام الأول ، ثم ركع ركوعًا طويلاً وهو دون الركوع الأول ، ثم رفع فسجد ، ثم قام قيامًا طويلًا وهو دون القيام الأول ، ثم ركع ركوعًا طويلًا وهو دون الركوع الأول ، ثم رفع فقام قيامًا طويلًا وهو دون القيام الأول ، ثم ركع ركوعًا طويلاً وهو دون الركوع الأول ، ثم رفع ثم سجد ثم انصرف ، فقال ما شاء اللَّه أن يقول ، ثم أمرهم أن يتعوذوا من عذاب القبر [1] .

○ وروى مالك عن أبى الزبير المكى عن طاوس اليمانى عن ابن عباس رضى اللَّه عنهما أن رسول اللَّه ﷺ كان يعلّمهم هذا الدعاء كما يعلمهم السورة من القرآن يقول : « اللَّهُمَّ إنى أعوذ بك من عذاب جهنم ، وأعوذ بك من عذاب القبر ، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال ، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات »[2] .

○ وروى مالك عن هشام بن عروة عن فاطمة بنت المنذر عن أسماء بنت أبى بكر الصديق أنها قالت : أتيت عائشة رضى اللَّه عنها زوج النبى ﷺ حين خسفت الشمس ، فإذا الناس قيام يصلون وإذا هى قائمة تصلّى ، فقلت : ما للناس ؟ فأشارت بيدها نحو السماء وقالت : سبحان اللَّه . فقلت : آية ؟ فأشارت برأسها أن نعم ، قالت : فقمت حتى تجلانى الغَشْىُ وجعلت أصب فوق رأسى الماء ، فحمد اللَّه رسول اللَّه ﷺ وأثنى عليه ثم قال : « ما من شىء كنت لم أره إلا قد رأيته فى مقامى هذا ، حتى الجنة والنار ، ولقد أُوحى إلىَّ أنكم تفتنون فى القبور مثل أو قريبًا من فتنة الدجال - لا أدرى أيتهما قالت أسماء - يُؤتى أحدُكم فيقال له : ما عِلْمك بهذا الرجل ؟ فأما المؤمن أو الموقن - لا أدرى أى ذلك

---

(١) رواه مالك فى الموطأ [صلاة الكسوف/٣] ، والبخارى [١٠٤٩-١٠٥٠] ، ومسلم [٩٠٣] .

(٢) رواه مالك فى الموطأ [القرآن/٣٣] ، ومسلم [٥٩٠] .

قالت أسماء - فيقول : هو محمد رسول اللّه ، جاءنا بالبينات والهدى ، فأجبنا وآمنا واتبعنا ، فيقال له : نم صالحًا قد علمنا إن كنت لمؤمنًا ، وأما المنافق أو المرتاب - لا أدرى أيتهما قالت أسماء - فيقول : لا أدرى ، سمعت الناس يقولون شيئًا فقلته »[1] .

(١) رواه مالك فى الموطأ [الكسوف/٤] ، ومسلم [٩٠٥/١١] .

عقيدة الإمام مالك فى الحشر والبعث

الإمام مالك كغيره من بقية السلف وعلماء الشريعة فى الإقرار بالبعث والنشور وجزاء الأعمال يوم القيامة ، وقد جاء فى موطئه ما يدل على هذه الحقيقة التى وضحها اللّه تبارك وتعالى فى كتابه القرآن أكثر من أى كتاب سماوى ؛ لأن الحشر والنشر مما اتفق عليه الأنبياء والرسل جميعهم .

روى مالك عن أبى الزناد عن الأعرج عن أبى هريرة أن رسول اللّه ﷺ قال : « كل ابن آدم تأكله الأرض إلاّ عجب الذنب منه خلق وفيه يركب »[1] .

(١) رواه مالك فى الموطأ [الجنائز/٤٨] ، والبخارى [٤٩٣٥] ، ومسلم [٢٩٥٥] .

عقيدة الإمام مالك فى الحوض

الإمام مالك يثبت الحوض الذى أكرم الله تعالى به نبينا ﷺ وأمته تَرِدُه إن شاء الله ، ويُذَاد عنه من يذاد .

وقد تواترت الأحاديث الواردة فى ذكره ، رواها من الصحابة بضع وثلاثون صحابيًا ، وقد استقصى طرقها وألفاظها الحافظ ابن كثير فى كتابه « البداية والنهاية » فلا مجال لإنكار الحوض .

أخرج الإمام مالك فى موطئه عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ خرج إلى المقبرة فقال : « السلام عليكم دار قوم مؤمنين ، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون ، وددت أنى قد رأيت إخواننا » فقالوا : يا رسول الله ، ألسنا بإخوانك ؟ قال : « أنتم أصحابى وإخواننا الذين لم يأتوا بعد ، وأنا فرطهم على الحوض » فقالوا : يا رسول الله كيف تعرف من يأتى بعدك من أمتك ؟ قال : « أرأيت لو كان لرجل خيل غر محجلة فى خيل دهم بهم ، ألا يعرف خيله ؟ » قالوا : بلى يا رسول الله . قال : « فإنهم يأتون يوم القيامة غرًّا محجلين من الوضوء ، وأنا فرطهم على الحوض ، فلا يُذَادنّ رجال عن حوضى ، كما يذاد البعير الضال ... »[1]

وروى مالك عن خُبَيْب بن عبد الرحمن عن حفص بن عاصم عن أبى هريرة أو عن أبى سعيد الخدرى أن رسول الله ﷺ قال : « ما بين بيتى ومنبرى روضة من رياض الجنة ، ومنبرى على حوضى »[2] .

---

(١) رواه مالك فى الموطأ [الطهارة/٢٨] ، ومسلم [٣٩/٢٤٩] .

(٢) رواه مالك فى الموطأ [القبلة/١٠] وروى على الشك والبخارى [١١٩٦] ، ومسلم [١٣٨١] عن أبى هريرة .

عقيدته فى الجنة والنار

هذه العقيدة هى التى استفاض وأفاض بذكرها القرآن ، وأقام بها الحجة على المعاندين من أهل الشرك والإلحاد والمعصية والعناد ، وبين لأهل الطاعة مآلهم ودارهم ، وأنها هى مأواهم ومسكنهم بدون انقطاع ولا تحديد بأمد ، وقد ذكر أبو جعفر الطحاوى فى عقيدته التى ذكر فيها عقيدة أهل السنة والجماعة ما لفظه : « والجنة والنار مخلوقتان لا تفنيان أبدًا ولا تبيدان ، فإن اللّه تعالى خلق الجنة والنار قبل الخلق ، وخلق لهما أهلًا ، فمن شاء منهم إلى الجنة فضلًا منه ، ومن شاء منهم إلى النار عدلًا منه ، وكُلٌّ يعمل لما قد فرغ له وصائر إلى ما خلق له ، والخير والشر مقدران على العباد » .

قال شارحه : أما قوله : إن الجنة والنار مخلوقتان ، فاتفق أهل السنة على أن الجنة والنار مخلوقتان موجودتان الآن ، ولم يزل أهل السنة على ذلك حتى نبغت نابغة من المعتزلة والقدرية ، فأنكرت ذلك وقالت : بل ينشئهم اللّه يوم القيامة ، وحملهم على ذلك أصلهم الفاسد الذى وضعوا به شريعة لما يفعله اللّه ، وأنه ينبغى أن يفعل كذا ولا ينبغى له أن يفعل كذا ، وقاسوه على خلقه فى أفعالهم فهم مشبهة فى الأفعال ، ودخل التجهّم فيهم فصاروا مع ذلك معطلة وقالوا : خلق الجنة قبل الجزاء عبث ؛ لأنها تصير معطلة مددًا متطاولة ، فردوا من النصوص ما خالف هذه الشريعة الباطلة التى وضعوها للرب تعالى ، وحرفوا النصوص عن مواضعها وضللوا وبدَّعوا من خالف شريعتهم . انتهى من شرح الطحاوية [1] .

وقد شارك الإمام مالك رحمه اللّه فى سياق النصوص لدفع هذه الشبهة الباطلة ، فعقد كتابًا فى موطئه لهذه المهمة وهو الكتاب السابع والخمسون من موطئه ، قال :

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية [ص : ٤٢٠] .

ما جاء فى صفة جهنم فى الموطأ

○ روى مالك بسنده عن أبى الزناد عن الأعرج عن أبى هريرة أن رسول اللّه ﷺ قال : « نار بنى آدم التى يوقدون جزء من سبعين جزءًا من نار جهنم » فقالوا : يا رسول اللّه ، إن كانت لكافية ، قال : « إنها فُضّلت عليها بتسعة وستين جزءًا »[1] .

○ وروى عن عمه أبى سهيل بن مالك عن أبيه عن أبى هريرة أنه قال : أترونها حمراء كناركم هذه ؟ لهى أسود من القار ، والقار الزفت [2] .

○ وروى مالك عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار أن رسول اللّه ﷺ قال : « إن شدة الحر من فَيْح جهنم ، فإذا اشتد الحر فأبردوا عن الصلاة » ، وقال : « اشتكت النار إلى ربها فقالت : يا رب ، أَكَلَ بعضى بعضًا ، فَأَذِنَ لها بنَفَسَيْن فى كل عام : نَفَس فى الشتاء ونفس فى الصيف »[3] .

○ وروى مالك عن عبد اللّه بن يزيد مولى الأسود بن سفيان عن أبى سلمة ابن عبد الرحمن وعن محمد بن عبد الرحمن بن ثوبان عن أبى هريرة أن رسول اللّه ﷺ قال : « إذا اشتد الحر فأبردوا عن الصلاة فإن شدة الحر من فيح جهنم »[4] .

التعليق : وهل فى النصوص أصرح من هذا ، وهل سيد الأولين والآخرين يكذب على الناس أو يحدثهم بما لم يوجد ، فللّه العجب ما أعمى بصر وبصيرة هؤلاء المعتزلة والقدرية عن هذه النصوص المتواترة التى تجعل المسلم يعيش على اليقين وكأنه يشاهد النار والجنة ليقينه بأخبار النبى ﷺ ، فرضى اللّه عن الإمام مالك إذ بين عقيدتنا بذكر هذه النصوص النيرة الواضحة .

---

(١) رواه مالك فى الموطأ [جهنم/١] ، والبخارى [٣٢٦٥] ، ومسلم [٢٨٤٤] .

(٢) رواه مالك فى الموطأ [جهنم/٢] .

(٣) رواه مالك فى الموطأ [وقوت الصلاة/٢٧] وهو مرسل ، ويقويه الأحاديث المتصلة .

(٤) رواه مالك فى الموطأ [وقوت الصلاة /٢٨] .

○ وذكر : « أن النار اشتكت إلى ربها ، فأذن لها فى كل عام بنفسين : نفسٍ فى الشتاء ، ونفسٍ فى الصيف »[1] .

○ وروى أيضًا عن أبى الزناد عن الأعرج عن أبى هريرة أن رسول اللَّه ﷺ قال : « إذا اشتد الحر فأبردوا عن الصلاة فإن شدة الحر من فيح جهنم »[1] .

○ وروى مالك عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن عبد اللَّه بن عباسٍ أنه قال : خسفت الشمس فصلى رسول اللَّه ﷺ والناس معه فقام قيامًا طويلاً نحوًا من سورة البقرة قال : ثم ركع ركوعًا طويلاً ، ثم رفع فقام قيامًا طويلاً وهو دون القيام الأول ، ثم ركع ركوعًا طويلًا وهو دون الركوع الأول ثم سجد ، ثم قام قيامًا طويلًا وهو دون القيام الأول ، ثم ركع ركوعًا طويلًا وهو دون الركوع الأول ، ثم رفع فقام قيامًا طويلاً وهو دون القيام الأول ، ثم ركع ركوعًا طويلاً وهو دون الركوع الأول ، ثم سجد ثم انصرف ، وقد تجلت الشمس فقال : « إن الشمس والقمر آيتان من آيات اللَّه ، لا يخسفان لموت أحد ولا لحياته ، فإذا رأيتم ذلك فاذكروا اللَّه » قالوا : يا رسول اللَّه ، رأيناك تناولت شيئًا فى مقامك هذا ، ثم رأيناك تكعكعت ، فقال : « إنى رأيت الجنة فتناولت منها عنقودًا ولو أخذته لأكلتم منه ما بقيت الدنيا ، ورأيت النار فلم أَرَ كاليوم منظرًا قط أفظع ، ورأيت أكثر أهلها النساء » ، قالوا : لم يا رسول اللَّه ؟! قال : « لِكُفرهن » ، قيل : أيكفرن باللَّه ؟ قال : « يكفرن العشير ، ويكفرن الإحسان ، لو أحسنت إلى إحداهن الدهر كله ثم رأت منك شيئًا ، قالت : ما رأيت منك خيرًا قط »[2] .

○ وروى مالك عن نافع أن عبد اللَّه بن عمر قال : إن رسول اللَّه ﷺ قال : « إن أحدكم إذا مات عُرض عليه مقعده بالغداة والعشى ، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة ، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار ، يقال له : هذا مقعدك حتى يبعثك اللَّه إلى يوم القيامة »[3] .

---

(١) سبق تخريجه [ص : ١٧٥] .

(٢) رواه مالك فى الموطأ [الكسوف/٢] ، والبخارى [١٠٥٢] ، ومسلم [٩٠٧] .

(٣) رواه مالك فى الموطأ [الجنائز/٤٧] ، البخارى [١٣٧٩] ، ومسلم [٢٨٦٦] .

جريدة المراجع

الإبانة	ابن بطة
أصول السنة	اللالكائى
أصول الاعتقاد	للبيهقى
الاعتصام	الشاطبى
الانتقاء فى فضائل الأئمة	ابن عبد البر
الأنساب	السمعانى
إيقاظ همم أولى الأبصار	لابن الهمام
البداية والنهاية	ابن كثير
تاريخ ابن معين	ابن معين
تاريخ خليفة	خليفة بن خياط
تاريخ الطبرى	ابن جرير الطبرى
تحذير الساجد	الألبانى
تذكرة الحفاظ	الذهبى
ترتيب المدارك	القاضى عياض
تفسير ابن أبى حاتم	لابن أبى حاتم
تفسير القرطبى	للإمام القرطبى
تفسير ابن كثير	للحافظ ابن كثير
تقريب التهذيب	ابن حجر العسقلانى
التمهيد	ابن عبد البر
تهذيب التهذيب	ابن حجر العسقلانى
تهذيب الكمال	المزى
تيسير العزيز الحميد	سليمان بن عبد الله بن محمد ابن عبد الوهاب
جامع بيان العلم وفضله	ابن عبد البر
حلية الأولياء	أبو نعيم الأصبهانى
الديباج المذهب	ابن فرحون
ذم الكلام	الهروى
سلسلة الأحاديث الصحيحة	الألبانى
سلسلة الأحاديث الضعيفة	الألبانى

السنة	عبد الله بن أحمد
السنة	ابن أبى عاصم
سنن ابن ماجه	الإمام ابن ماجه
سنن أبى داود	الإمام أبو داود
سنن الترمذى	الإمام الترمذى
سنن النسائى	الإمام النسائى
سير أعلام النبلاء	الإمام الذهبى
شذرات الذهب	ابن العماد الحنبلى
شرف أصحاب الحديث	الخطيب البغدادى
الصارم المسلول على شاتم الرسول	ابن تيمية
صحيح ابن حبان	لابن حبان
صحيح البخارى	الإمام البخارى
صحيح مسلم	الإمام مسلم
الصمت	لابن أبى الدنيا
العقيدة الطحاوية	للإمام الطحاوى
غاية الأمانى فى الرد على النبهانى	العلامة الألوسى
فتح البارى شرح صحيح البخارى	ابن حجر العسقلانى
الفهرست	ابن النديم
مجمع الزوائد ومنبع الفوائد	الهيثمى
مجموع فتاوى شيخ الإسلام	لابن تيمية
المدخل	لابن الحاج
المدونة	مالك بن أنس
مسند الإمام أحمد بن حنبل	أحمد بن حنبل
مشاهير علماء الأمصار	ابن حبان
مشكل الآثار	للإمام أبى جعفر الطحاوى
مصنف عبد الرزاق	لعبد الرزاق الصنعانى
المعجم الكبير	الطبرانى
مفتاح دار السعادة	لابن القيم
موطأ الإمام مالك	مالك بن أنس
وفيات الأعيان	ابن خلكان

فهرس الآيات القرآنية

الآيـة	السـورة	الصفحة
	« سورة البقرة »	
٢٢	﴿ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾	٧٧
٨٥	﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ﴾	١٠٧
١٠٢	﴿ وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ ﴾	٦١، ٦٢
١١١، ١١٣	﴿ وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ ... يَخْتَلِفُونَ ﴾	١٠٥
١٤٣	﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ ﴾	١٤١
٢٢١	﴿ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ ﴾	١٤٤
٢٥٥	﴿ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾	٨٠
	« آل عمران »	
١٠٢	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ ﴾	٣
١٦٥	﴿ أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ ... أَنفُسِكُمْ ﴾	١٤
	« النساء »	
١	﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ ﴾	٣
٨٣	﴿ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ ﴾	١٥٤
١١٥	﴿ وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ ﴾	١٥٥
	« المائدة »	
٣	﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾	٣٥
١٨	﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ ... الْمَصِيرُ ﴾	١٠٥
٦٤	﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ ﴾	١٣٨

الآيـة	السـورة	الصفحة
	« الأنعام »	
٧٣	﴿ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ ﴾	١٠٤
٨٢	﴿ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾	٢٨
٩٠	﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ﴾	١٤٥
	« الأعراف »	
٤٠	﴿ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ ﴾	٤٣
٥٤	﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ﴾	٦٦
٥٥	﴿ ٱدْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ﴾	٨٢
١٣٠، ١٣١	﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ ... وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ ...	٦٧
١٤٣	﴿ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ﴾	٩٨
١٧٢	﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ ﴾	٢٠، ١١١، ١٤٦
	« التوبة »	
١٠٠	﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ... ٱلْعَظِيمُ ﴾ ...	٤٢
	« يونس »	
٥٩	﴿ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ ... تَفْتَرُونَ ﴾ ...	٢٤
٦٤	﴿ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ﴾	١٥٨
	« هـود »	
٧	﴿ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾	١١٤
	« النحل »	
٢٥	﴿ لِيَحْمِلُوٓا۟ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ... يَزِرُونَ ﴾ ..	٤٥
٣٨	﴿ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ... يَمُوتُ ﴾	٧٩

الآيـة	السـورة	الصفحة
	« طـه »	
٥	﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾	٩٧
	« الأنبياء »	
٢٥	﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ ... فَٱعْبُدُونِ ﴾	٢٥
	« المؤمنون »	
٥٣	﴿ فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾	١٠٧
	« النـور »	
٤٧ – ٥٠	﴿ وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ ... ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾	١٠٧
٦٣	﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ ... عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾	٢٦
	« العنكبوت »	
٦٣	﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ... لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾	٧١
	« الاحزاب »	
٤	﴿ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ ﴾	١٠٣
٧٠ ، ٧١	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ... فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾	٣
	« سبأ »	
٢٢،٢٣	﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم ... إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ﴾	٨٠
	« فاطـر »	
٨	﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا ﴾	٢٨
	« الزمـر »	
٦٥	﴿ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾	٥٠
٦٧	﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ ... بِيَمِينِهِۦ ﴾	١٠٨

الآيـة	السـورة	الصفحة
	« غـافر »	
٦٠	﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ ... دَاخِرِينَ ﴾	٨٢
	« الشورى »	
١١	﴿ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾	١٣٨
٣٠	﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ ... وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴾ ...	١٤
	« الجاثية »	
٢٤	﴿ وَقَالُواْ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا ... ٱلدَّهْرُ ﴾	٧٣
	« محمد »	
٣	﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ... ٱتَّبَعُواْ ٱلْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ ﴾	١٠٣
٣١	﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ ﴾	١٣
	« الفتح »	
١٨	﴿ لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ ... وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾	٤٢
٢٩	﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ... وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾	٤٢، ٨١
	« الذاريات »	
١٠، ١١	﴿ قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ ... ٱلَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ ﴾	٢٣
٥٦	﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾	٢٠
	« الحديد »	
٢٢	﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ ... عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾	٦٨
	« المجادلة »	
٢٢	﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ... وَرَسُولَهُۥ ﴾	١٤٢

الآيـة	السـورة	الصفحة
	« الحشـر »	
٨-١٠	﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ ... رَبَّنَا ٱغْفِـرْ لَنَـا وَلِإِخْوَٰنِنَا ﴾	٨٧
	« المنافقون »	
٤	﴿ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ... مُّسَنَّدَةٌ ﴾	٣٨
	« القيامة »	
٢٢ ، ٢٣	﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ . إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾	٩٨
	« المطففين »	
١٥	﴿ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾	٩٨
	« الغاشية »	
١ - ٤	﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَـٰشِيَةِ ... تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ﴾	٢٨
	« الإخلاص »	
١	﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَـدٌ ﴾	١٢٢ ، ١٣٩

فهرس الأحاديث والآثار

طرف الحديث	الراوى	رقم الحديث
« حرف الألف »		
أترونها حمراء كناركم هذه	أبو هريرة	١٧٥
اجتنبوا السبع الموبقات	.....	٦٢
أجعلتني للّه نداً ؟ بل ما شاء اللّه وحده	.....	٧١
احلف باللّه صادقاً أو كاذباً ولا تحلف بغيره	كعب	٧٨
إذا اشتد الحر فأبردوا عن الصلاة	أبو هريرة	١٧٥، ١٧٦
إذا أمن الإمام فأمنوا ، فإنه	أبو هريرة	١٦٠
إذا نودى للصلاة أدبر الشيطان وله ضراط	أبو هريرة	١٦٣
أرسلك أبو طلحة	أنس بن مالك	١٦٦
إزرة المؤمن إلى أنصاف ساقيه	أبو سعيد الخدري	١٣٧
أسرى برسول اللّه ﷺ فرأى عفريتاً	يحيى بن سعيد	١٣١
أشد الناس عذاباً يوم القيامة الذين يضاهئون	عائشة	٦٥
أصبح من عبادى مؤمن بي وكافر بي	زيد بن خالد	٧٢
أعوذ برضاك من سخطك ، وبمعافاتك من عقوبتك	عائشة	١٢٥
اكتب ، فوالذى نفسي بيده ما خرج	.....	١٠٤
ألا أبعثك على ما بعثنى عليه رسول اللّه ﷺ	على بن أبي طالب	٦٦
ألا أخبركم عن النفر الثلاثة	أبو واقد الليثي	١١٥
الذى يجر ثوبه خيلاء لا ينظر اللّه إليه	ابن عمر	١٣٧
الذى يرفع رأسه ويخفضه قبل الإمام فإنما	أبو هريرة	١٦٣
اللّهم ارحم المحلقين	ابن عمر	١١٨
اللّهم إنى أعوذ بك من عذاب جهنم	ابن عباس	١٦٨، ١٧٠
اللّهم شفع فينا نبيك وخيار خلقك	.....	٨٠
اللّهم لا تجعل قبري وثناً يعبد	عطاء بن يسار	٥٦، ١٢٠

طرف الحديث	الراوى	رقم الحديث
اللّهم لك الحمد ، أنت نور السموات والأرض	ابن عباس	١٢٦
أما إنك لو قلت حين أمسيت :		
أعوذ بكلمات اللّه التامات	أبو هريرة	١٢٩
أمرت أن أقاتل الناس حتى	.....	٩٤
امسحه بيمينك سبع مرات ، وقل	ابن أبى العاص	١٣٦
إن أحداً لن يموت حتى يستكمل رزقه	مالك بن أنس	١٤٧
إن أحدكم إذا قام يصلى جاءه الشيطان	أبو هريرة	١٦٣
إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشى	ابن عمر	١٧٦
إن اللّه تبارك وتعالى خلق آدم ثم مسح ظهره	عمر بن الخطاب	١١١، ١٤٦
إن اللّه تبارك وتعالى لا يمل حتى تملوا	ابن أبى حكيم	١٢٠
إن اللّه يقبض يوم القيامة الأرضين	ابن عمر	١١١
إن اللّه ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم	ابن عمر	٧٧
أن حفصة زوج النبي ﷺ قتلت جارية لها سحرتها	محمد بن عبد الرحمن ابن سعد	٦٢
إن شدة الحر من فيح جهنم	عطاء بن يسار	١٧٥
إن الشمس والقمر آيتان من آيات اللّه	عائشة	١٢١
إن الشمس والقمر آيتان من آيات اللّه	ابن عباس	١٧٦
أن عبد اللّه بن عمر كتب إلى عبد الملك ابن مروان يبايعه	عبد اللّه بن دينار	١٩
أن عمر بن الخطاب أراد الخروج إلى العراق فقال له كعب الأحبار	مالك بن أنس	١٦٧
أن عمر بن عبد العزيز أخر الصلاة يوماً	ابن شهاب	١٥٩
إن كانت القبور لتسوّى بالأرض	بكر بن سوادة	٥٥
أن النار اشتكت إلى ربها فأذن لها	.....	١٧٦
إن هذا وادٍ به شيطان	زيد بن أسلم	١٦٢

طرف الحديث	الراوى	رقم الحديث
إني لا أصافح النساء	أميمة بنت رقيقة	١٨
إنما أنت حجر ولولا أني رأيت رسول الله ﷺ قبلك ما	عمر بن الخطاب	٦٠
إنها أم القرآن	.....	١١٦
أيعذب الناس في قبورهم ؟	عائشة	١٦٩
أين الله ؟	عمر بن الحكم	١٣٣
أيها الناس إنه لا مانع لما أعطى الله	معاوية بن أبى سفيان	١٤٧
حرف التاء والحاء والخاء والدال		
تحاج آدم وموسى فحج آدم موسى	أبو هريرة	١٤٦
تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما	.....	٤١
الحمد لله الذي خلق كل شئ كما ينبغى	مالك بن أنس	١٤٧
خلقت عبادى حنفاء فاجتالتهم الشياطين	عياض بن حمار	٢٠
خير القرون قرني ، ثم الذين يلونهم	عمران بن حصين	٤٢
الدعاء هو العبادة	النعمان بن بشير	٨٢
دعه فإن الحياء من الإيمان	ابن عمر	١٤٠
دعوها ذميمة	يحيى بن سعيد	٧٠
حرف الراء والسين والشين والطاء		
رأس الكفر نحو المشرق	أبو هريرة	١٦٧
رأيت رسول الله ﷺ وحانت صلاة العصر فالتمس	أنس بن مالك	١٦٥
الرؤيا الحسنة من الرجل الصالح جزء من	أنس بن مالك	١٥٧
الرؤيا الصالحة من الله ، والحلم من الشيطان	أبو قتادة بن ربعي	١٥٨
سن رسول الله ﷺ وولاة الأمور بعده سناً	مالك بن أنس	٢٢
السنة سفنية نوح من ركبها نجا	مالك بن أنس	٢٨
السلام عليكم دار قوم مؤمنين	أبو هريرة	١٧٣
الشؤم في الدار والمرأة والفرس	ابن عمر	٦٧
الطيرة على من تطير	أنس بن مالك	٦٩

طرف الحديث	الراوى	رقم الحديث
حرف الفاء والقاف		
فارجع فلن أستعين بمشرك	عائشة	٤٦
فلا يزال يدعو اللّه حتى يضحك اللّه منه	أبو هريرة	١١٠
فيما استطعتم	ابن عمر	١٧
فيما استطعتن وأطقتن	أميمة بنت رقيقة	١٨
قال اللّه تعالى : إذا أحب عبدي لقائى أحببت لقاءه	أبو هريرة	١٢٧
قال اللّه تعالى : ومن أظلم ممن ذهب يخلق	أبو هريرة	٦٥
قد تركت فيكم ما لن تضلوا بعدى	جابر بن عبد اللّه	٢١
قدم على عمر بن الخطاب رجل	محمد بن عبد اللّه	٥٢
قسمت الصلاة بيني وبين عبدى نصفين	أبو هريرة	١١٦
قل : أعوذ بكلمات اللّه التامة من غضبه	خالد بن الوليد	١٢٩
قولوا : التحيات للّه ، والزكيات للّه	عمر بن الخطاب	١١٩
حرف الكاف واللام		
كان أهل الجاهلية يقولون : إن الطيرة في المرأة	عائشة	٦٨
كان مالك إذا جاء بعض أهل الأهواء قال :	الشافعي	٢٣
كل ابن آدم تأكله الأرض إلا عجب الذنب	أبو هريرة	١٧٢
كل شئ بقدر حتى العجز والكيس	ابن عمر	١٤٧
كل قضاء المؤمن خير له	.....	١٣
كل مصور في النار يجعل له بكل صورة	ابن عباس	٦٥
كل مولود يولد على الفطرة	أبو هريرة	٢٠
كلما جاء رجل أجدل من رجل أردنا	مالك بن أنس	٩٦
الكيف منه غير معقول	مالك بن أنس	٩٧
لا تبقين في رقبة بعير قلادة من وتر	عباد بن تميم	٦٤
لا تدخل الملائكة بيتاً فيه تماثيل	أبو سعيد الخدري	٦٥
لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق	.....	١٣٤، ١٥٥
لا تسأل المرأة طلاق أختها	أبو هريرة	١٤٧
لا حاجة لنا فيهم	ابن شهاب	٤٦

طرف الحديث	الراوى	رقم الحديث
لا ومقلب القلوب	.....	١٢٨
لا يزال الناس يتساءلون حتى يقولوا : هذا خلق الله	أبو هريرة	١٣٩
لا يضحي بأربع من الضحايا البراء	بن عازب	١٣٨
لا يقل أحدكم إذا دعا : اللّهم اغفر لى إن شئت	أبو هريرة	٨٢ ٠٠
لا يقل أحدكم : يا خيبة الدهر	أبو هريرة	٧٣
لا يؤخذ العلم عن أربعة	مالك بن أنس	٣٦
لا ينظر الله يوم القيامة إلى من يجر ثوبه خيلاء	ابن عمر	١٣٧
لا ينظر الله تبارك وتعالى يوم القيامة إلى من يجر إزاره بطراً	أبو هريرة	١٣٧
لقد رأيت بضعة وثلاثين ملكاً يبتدرونها	رفاعة بن رافع	١٢٣
لكل نبى دعوة يدعو بها فأريد	أبو هريرة	٨١
لما أتى سعد بن أبى وقاص قال : وددت أن	مالك بن أنس	٥٨
لما قضى الله الخلق كتب عنده	أبو هريرة	١١٠
لن أستعين بمشرك	.....	٤٦
اولا كلمات أقولهن لجعلتني يهود حماراً	كعب الأحبار	١٣٠
ليس على مستكره طلاق	.....	١٣
ليضربن الناس أكباد الإبل	أبو هريرة	٩

حرف الميم والنون والهاء

ما أخلصه وأصوبه	الفضيل بن عياض	١١٤
ما بين بيتى ومنبرى روضة من رياض الجنة	أبو هريرة	١٧٣
ما رئى الشيطان يوماً هو فيه أصغر	طلحة بن عبد الله	١٦٤،١٦١
ما من شئ كنت لم أره إلا قد رأيته في مقامي هذا	عائشة	١٧٠
الملائكة تصلى على أحدكم ما دام في مصلاه	أبو هريرة	١٦٠
من أحدث في مسجدنا حدثاً فعليه	.....	٢٥
من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة	أبو هريرة	١٦٠
من تصدق بصدقة من كسب طيب	سعيد بن يسار	١٣٢

طرف الحديث	الراوى	رقم الحديث
من حلف بغير اللّه فقد كفر وأشرك	عمر بن الخطاب	٧٧
من شتم النبى ﷺ قتل ، ومن سب أصحابه أدب	مالك بن أنس	٨٤
من صلى بأرض فلاة ، صلى عن يمينه	سعيد بن المسيب	١٥٩
من صلى صلاة لم يقرأ فيها بأم القرآن فهى خداج	أبو هريرة	١١٦
من صور صورة في الدنيا كلف أن ينفخ فيها الروح	ابن عباس	٦٥
من غير دينه فاضربوا عنقه	.....	٥١
نار بنى آدم التى يوقدون جزء من سبعين جزءاً	أبو هريرة	١٧٥
ناس من أمتي عرضوا على غزاة	أنس بن مالك	١٦٥
نعم إذا رأت الماء	أم سلمة	١١٥
ها ، إن الفتنة ههنا	عبد اللّه بن دينار	١٦٧
هل رأى أحد منكم الليلة رؤيا	أبو هريرة	١٥٧
هى الرؤيا الصالحة يراها الرجل	عروة بن الزبير	١٥٨

حرف الواو والياء

والذي نفسى بيده إنها لتعدل ثلث القرآن	أبو سعيد الخدري	١٢٢
ومن حلف فقال في حلفه : واللات والعزى فليقل	أبو هريرة	٧٨
ومن يرد اللّه به خيراً يصب منه	.....	١٣
يا مقلب القلوب ، ثبت قلبي على دينك	.....	١٢٨
يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل	أبو هريرة	١٦٠
يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم	.....	١١٣
يخرج فيكم قوم تحقرون صلاتكم مع صلاتهم	أبو سعيد الخدري	١٥١
يستجاب لأحدكم ما لم يعجل	أبو هريرة	٨٢
يضحك اللّه إلى رجلين يقتل أحدهما الآخر	أبو هريرة	١١٠، ١٣٥
يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم	أبو هريرة	١٦٣
ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة	أبو هريرة	١٢٤
يؤذينى ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر	.....	٧٣
يوشك أن يكون خير مال المسلم غنماً	أبو سعيد الخدري	١٦٧

الفهرس

الموضـــــوع	الصفحة
مقـدمة المـــؤلف	٣
مصادر الإمام مالك العقدية	٥
المصدر الأول : القرآن الكريم	٧
المصدر الثانى : السنة المشرفة	٩
المصدر الثالث : مشايخه وأساتذته	١٥
ما جاء فى الموطأ فى البيعة على العقيدة	١٧
حديث الفطرة فى موطأ مالك	٢٠
موقف مالك من البدع والمبتدعة	٢١
موقف الإمام مالك من الزنادقة والمشركين	٤٦
موقف الإمام مالك من بدعة القبورية	٥٥
موقف الإمام مالك من السحر والسحرة	٦١
ما جاء فى الموطأ من الأخبار عن : الرقى والتمائم	٦٣
رواية الإمام مالك لأحاديث التصاوير	٦٥
موقف الإمام مالك من الشؤم والتطير	٦٧
موقف الإمام مالك ممن يستسقى بالنجوم	٧١
النهى عن سب الدهـر	٧٣
ما رواه مالك فى موطئه من : النهى عن الحلف بغير اللّه تعالى	٧٧
الشفاعة فى موطأ مالك	٨٠
إخلاص الدعاء للّه من كمال التوحيد	٨٢
موقف الإمام مالك من الشيعة	٨٤
موقفه من بدعة الجهمية وفروخهم	٨٨
صفة الحيـاء	١١٥

الموضـــــوع	الصفحة
صفة الرحمة	١١٦
صفة الغضب	١٢٠
صفة الغيرة	١٢١
ما جاء فى قراءة : ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾	١٢٢
صفة السمع	١٢٣
صفة النزول	١٢٤
صفة الرضا والسخط	١٢٥
صفتى النور والحق	١٢٦
صفة المحبة والكراهية	١٢٧
ومن صفاته سبحانه : أنه مقلب القلوب	١٢٨
ما جاء فى التعوذ بكلمات اللّه	١٢٩
صفة الوجه	١٣١
صفة الكف	١٣٢
صفة العلو	١٣٣
صفة الضحك	١٣٥
صفة العزة	١٣٦
صفة النظر	١٣٧
موقف مالك من المشبهة	١٣٨
موقفه من بدعة الإرجاء	١٤٠
موقفُ الإمام مالك من بدعة القدر	١٤٢
ما رواه مالك فى الموطأ فى الرد على القدرية	١٤٦
موقف مالك من الخوارج	١٤٩
موقف مالك من المقلدة	١٥٢
أحاديث الرؤيا فى موطأ مالك	١٥٧

الموضـــــوع	الصفحة
عقيدة الإمام مالك فى الملائكة	١٥٩
عقيدته فى الشياطين والجن	١٦٢
بعض المعجزات النبوية فى موطأ مالك	١٦٥
رواية مالك لأحاديث الفتن	١٦٧
عقيدة الإمام مالك فى الدجال	١٦٨
عقيدة الإمام مالك فى عذاب القبر	١٦٩
عقيدة الإمام مالك فى الحشر والبعث	١٧٢
عقيدة الإمام مالك فى الحوض	١٧٣
عقيدته فى الجنة والنار	١٧٤
ما جاء فى صفة جهنم فى الموطأ	١٧٥
جريدة المراجع	١٧٧
فهرست الآيات القرآنية	١٧٩
فهرست الأحاديث والآثار	١٨٤
فهرس الموضوعات	١٩٠

سلسلة العقائد السلفية

هذه السلسلة .. لماذا ؟

قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴾ . [النساء : ٥٩] .

قال ابن مسعود رضى الله تعالى عنه : « إنَّ الله نظر فى قلوب العباد ، فوجدَ قلبَ محمَّدٍ ﷺ خيرَ قلوب العباد ، فاصطفاهُ لنفسه ، فابتعثه برسالته ، ثم نظر فى قلوب العباد بعد قلب محمد ﷺ ، فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد ، فجعلهم وزراء نبيِّه ، يقاتِلون على دينه ، فما رأى المسلمون حسنًا ؛ فهو عند الله حسنٌ ، وما رأوْهُ سيئًا ؛ فهو عند الله سيىء » .

وقال ابن عمر رضى الله تعالى عنهما : « مَن كانَ مستنّاً ؛ فليستنَّ بمَن قد مات ، أولئك أصحاب محمَّد ﷺ ، كانوا خيرَ هذه الأمة ؛ أبرَّها قلوبًا ، وأعمقَها علمًا ، وأقلَّها تكلُّفًا ، قومٌ اختارهم الله لصحبة نبيِّه ﷺ ، ونقلِ دينه ، فتشبَّهوا بأخلاقهم وطرائقهم ؛ فهم أصحاب محمَّدٍ ﷺ ، كانوا على الهدى المستقيم ، واللهِ ربِّ الكعبة » .

وامتثالًا لأمر الله تعالى وطاعة لرسوله ﷺ ، وعلى نهج سلفنا الصالح ، وبعون من الله وحده نُصدر هذه السلسلة المباركة من عقائد السلف الصالح . وصلِّ الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم . والحمد لله رب العالمين .

عبد الله حجاج

مكتبة التراث الإسلامي

مطابع الأهرام بكورنيش النيل